

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَهْبَأَ الْكُفْرَ وَالشُّكُوكَ
إِلَى دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

تأليف
سعيد محمد الخطيب
مفتي دمشق

الناشر
دار العقيدة والفتوى
الاسلامية

رُحْمَةُ
أَهْلِ الْكِتَابِ
إِلَى دِينِ رَبِّ الْعِبَادِ

تأليف
سَعِيدِ عَمْرِو الْعَظِيمِ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

الناشر
بُيُوتُ الْحَقَائِدِ لِلتَّارِخِ

○ الطبعة الأولى ○

□ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م □

جميع الحقوق محفوظة

الناشر

دار العقيدة للنشر

١٠١ ش الفتح باكوس - الاسكندرية

طبعت بمطابع

الفاروق الجديدة للطباعة والنشر

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت. ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَموتنَّ إِلَّا وَأنتم مسلمون ﴾ .

(آل عمران : ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء : ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ .

(الأحزاب : ٧٠ : ٧١)

أما بعد ، ، ،

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهادي هدي محمد ﷺ وشر الأمور
محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أصبحت الدول الإسلامية لأسباب عديدة تسمى بدول العالم الثالث وفرض
عليها واقع الدول المتخلفة ثم أطلق عليها فيما بعد اسم الدول النامية وأضيف إليها
دول أمريكا اللاتينية وبدونها يمكننا أن نسميها العالم الإسلامي وتم تحريف معاني
التاريخ والجغرافيا !!! فالعصور الوسطى هي العصور المظلمة !!! - وهذا يصح
بالنسبة لأوربا - أما بالنسبة للمسلمين فالأمر ليس كذلك بل على العكس فهذه
الفترة هي أزهى عصور التاريخ ولا يفوتنا أن تاريخ البشرية يبدأ بنبي مكرم أي

بمرتبة من أعلى مراتب الهداية ثم تتواصل حلقات التاريخ في حس المسلم

﴿وان من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ (فاطر : ٢٤)

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ .

(النساء : ١٦٥)

ولا ندري كيف صارت أوروبا في وسط الدنيا بينما وضع العالم الإسلامي شرقاً من الدنيا !!! بينما الناظر إلى خريطة الجغرافيا يجد أن مهبط الوحي وكأنا أريد له أن يتزحزح عن مكانه في وسط الدنيا ولا يخفى على أحد حالة التدهور والضعف التي أصابت المسلمين فدينهم في واد وهم في واد آخر وانقسمت العبادات والساعات في حسهم وانفصلت الأرض عن السماء والدنيا عن الآخرة في حياتهم وصارت اللغة العربية - لغة القرآن - في ذيل اللغات وتم إقصاء الشريعة وقد تغير الكثير من المفاهيم عند المسلمين حتى مايتعلق منها بالعقيدة والولاء والبراء فاتخذوا أعدائهم من اليهود والنصارى والملاحدة ... أجباباً واخواناً وأصدقاء !!! وراجت عليهم شعارات الوطنية والقومية والسلام والتعايش السلمي وزمالة الأديان متناسين ماأمرهم به دينهم كقوله تعالى :

﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض فساد كبير﴾

(الأنفال : ٧٣)

قال الحافظ ابن كثير : « ومعنى قوله « إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر في اختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل » وهذا ما حصل في هذا الزمان والله المستعان .

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » رواه مسلم .

لقد أهتمت هذه الأمور المعلومة من الدين بالضرورة بل كادت الأمة التي تتشرف بالانتساب لدين الله وسادت الدنيا حيناً من الدهر تنسى سنن الصراع والتدافع بين الخير والشر والإيمان والكفر والحق والباطل ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ (البقرة : ٢٥١)

إن الصراع الذي قام بين الكنيسة والعلماء الماديين قد جعلهم يشعرون بحق أن ماتقوله الكنيسة رجعية وانحطاط وتأخر وخرافة وأنه لكي يتم التقدم والتطور والأخذ بأسباب العلم فلا بد من فصل الدين عن الدولة وأن يفصل رجال هذا الجانب عن ذلك ثم كانت الطامة عندما خيل الأعداء لضعاف البصر والبصيرة من هذه الأمة أن طريقهم الوحيد إلى التقدم هو طريق أوربا الظاهرة وأن عليهم أن ينبذوا دينهم كما نبذت أوربا دينها وإلا فسيظلون سائرين في الرجعية والانحطاط والتأخر والخرافة !!!.

ولا ننكر رواج هذه البضاعة البائرة وسط الكثيرين حتي من أبناء المسلمين وإلا فلماذا كانت المناداة بالدولة المدنية والحرص على استمرار العمل بالقوانين الوضعية بل والهمز والغمز واللمز تارة والطعن الصريح تارة أخرى في دين الله والتشهير والتشويه وإصاق التهم الكاذبة لكل من يلتزم بشرع الله ويحاول العودة بنفسه وبالأمة من حوله لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ .

إن الدنيا بأسرها وهي أشبه بقرية صغيرة تلمس تحولاً كبيراً اتجاه التدين وهذا الأمر لا يقتصر على المسلمين بل يتعداهم لغيرهم من اليهود والنصارى وخصوصاً بعد أن تقلص دور الشيوعية وذاق الناس الأمرين من الإلحاد وباءت نظريات كثيرة بالفشل الذريع ولم تصل البشرية بالعلم المادي التجريبي إلى بر الأمن والأمان وفي ذلك يقول الكاتب المشهور سومرت موم « إن أوربا قد نبذت اليوم إلهها وأمنت بإله جديد هو العلم ولكن العلم كائن متقلب فهو يثبت اليوم مانفاه بالأمس وهو ينفى غداً ما يثبت اليوم لذلك تجد عبّاده في قلق دائم لا يستقرون » .

لقد وجدوا أن الحياة بغير الله سراب وضياع واضطراب وقلق ومصحات نفسية ومستشفيات عقلية وكأس وغانية وعريضة وانتحار فكان لا بد من العودة للدين استجابة للكتب المنزلة ولدعوة الأنبياء والمرسلين وتلبية لنداء الفطرة السليمة والعقول المستقيمة .

ولكن يبقى أن نحدد ماهو الدين الذي نعنيه ونقصده ؟ ماهو الدين الذي سيتشل البشرية من وحل الضياع وينتقل بها من هذه الدار بسلام إلى دار السلام ؟ ماهو الدين الذي يرضى عنه خالق العباد ورب البشر ؟ هل هو اليهودية أم النصرانية أم الإسلام ، أم القيم الروحية المأخوذة من هذه الأديان ؟

إن الدين الذي يحقق لنا سعادة الدارين هو دين الإسلام لا شئ سواه ، بل لن ينصلح آخر الدنيا إلا بما انصلح به أولها فلا بد من الرجوع لهدي الأنبياء والمرسلين ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (الأنعام : ٩٠)

من لدن آدم حتى رسول الله ﷺ وكلهم كان على الإسلام .

﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران : ١٩) ﴿ ومن يتبع غير الإسلام

ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ . (آل عمران : ٨٥)

وقد ثبتت النصوص الشرعية بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام فى آخر الزمان ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويحكم بحكم الإسلام وهذا هو الذي ندين به وندعو البشرية عامة واليهود والنصارى خاصة أن يسارعوا للعمل بمقتضاه

قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن آمن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ﴾ الروم (٤٣ - ٤٤) ولا يشفع لهم كثرتهم وقلة عدد المسلمين أو قوتهم وضعف المتسبين للإسلام أو التبعية الذليلة لليهود والنصارى من المتخاذلين

المحسوبين على الإسلام، فالإسلام أت وحزب الله هم الغالبون والحق لا يُعرف بكثرة ولا بقلة فاعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من أتاه واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين فإن أبيتم رددنا معكم قول ربنا ﴿ **وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون، ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ومارك بغافل عما تعملون** ﴾ (هود : ١٢١، ١٢٢، ١٢٣).

وهذه دعوتنا لكم مدعمة بالحجج والبراهين تفند كل ما عداها بإذن الله مما عليه أهل الكتاب^(١) من اليهود والنصارى راجين بها وجه الله والنفع .
قال تعالى :

﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ (الشعراء : ٨٨، ٨٩)
وأملين لكم الخير إذا أسلمتم وجوهكم لله ، فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ونصيحتي لك أن تتجرد من العصبية المقيتة والهوى البغيض وتقليد الآباء والأجداد بالباطل ولا تلتفت لواقع المسلمين المنحرف عن دينهم فلعلك تكون واحداً ممن يعالج هذا الأمر الواقع بإذن الله ، وما ذلك على الله بعزيز ، ولا يختلطن عليك التزييف والتمميع كعبارات أهل الإيمان وأهل الأديان (ويقصدون بها اليهود والنصارى والمسلمين) فدين الحق واحد والأديان الباطلة كثيرة لا تنحصر وكل الطرق مسدودة إلا طريق رسول الله ﷺ فهو الطريق الموصل إلى الله .
والتوحيد توحيدان توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول ﷺ وهذا مقتضى قولنا : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(١) أهل الكتاب هم من يدينون بكتاب سماوي ويتبعون نبياً من الأنبياء ومنهم اليهود أتباع نبي الله موسى عليه السلام الذي تنزلت عليه التوراة والنصارى أتباع عيسى عليه السلام الذي تنزل عليه الإنجيل ، ومن بقي على ملة نبيه منهم ولم يدرك زمن بعثة النبي ﷺ أو أدرك زمنه ولم تبلغه دعوته فهو مؤمن ، ومن بقي على ملته بعد أن علم ببعثته ودعوته عليه الصلاة والسلام يدخل في زمن الكافرين .

وهذا أوان الشروع في المقصود . والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة
إلا بالله وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين .

الأسكندرية في ٦ من شوال سنة ١٤١٦هـ
الموافق ٢٥ من فبراير سنة ١٩٩٦م

تعالوا إلى كلمة سواء

في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأريسين^(١) ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (آل عمران : ٦٤) رواه مسلم .

والخطاب في الآية يتوجه لليهود والنصارى جميعاً لأنهم جعلوا أحبارهم في الطاعة لهم كالأرباب والكلمة السواء هي الكلمة العادلة المستقيمة التي ليس فيها ميل عن الحق وهي أن لا نعبد إلا الله وقد نهاهم سبحانه عن اتخاذهم بعضهم بعضاً أرباباً من دونه فقال جل وعلا : ﴿ ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ (آل عمران : ٦٤)

أي لا نتبعه في تحليل شيء أو تحريمه إلا فيما حلله الله تعالى وهونظير قوله تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ (التوبة : ٣١) . معناه أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحله الله ثم قال سبحانه : ﴿ فإن تولوا ﴾ أي عرضوا عما دعوا إليه فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أي متصفون بدين الإسلام منقادون لأحكامه معترفون بما لله علينا في ذلك من المن والإنعام غير متخذين أحداً رباً لا عيسى ولا عزيزاً ولا الملائكة لأنهم بشر مثلنا تحدث كحدوثنا ولا نقبل من الرهبان شيئاً بتحريمهم علينا ما لم يحرمه الله علينا فنكون قد اتخذناهم أرباباً .

وروى أنس بن مالك قال : قلنا يارسول الله أينحنى بعضنا لبعض ؟ قال : لا . قلنا : أيعانق بعضنا بعضاً ؟ قال لا . ولكن تصافحوا « أخرجه ابن ماجه في سننه .

١- الفلاحين .

رضينا بالله رباً

قال ابن القيم رحمه الله : لا إله إلا هو الذي تأله القلوب محبة وإجلالاً وإناابة وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخوفاً ورجاءاً وتوكلاً .

وقال ابن رجب رحمه الله : لا إله إلا هو الذي يطاع فلا يعصى هيبه له وإجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاءاً وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عزوجل فمن أشرك مخلوقاً في شئ من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول : لا إله إلا الله ونقصاً في توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك .

وقال البقاعي : لا إله إلا الله أي انتفى إنتفاء عظيماً أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً وإنما يكون نافعاً إذا كان الإذعان والعمل بما تقتضيه ، وإلا فهو جهل صرف ويقول تعالى في السورة التي تعدل ثلث القرآن ﴿ قل هو الله أحد، الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (الإخلاص) فأخبر عن نفسه بالأحدية المطلقة التي تتناول وحدة الذات والصفات والأفعال وبأنه الصمد يعني السيد الغني الذي يصمد إليه الخلق ويقصدونه في حوائجهم ثم نفى عن نفسه الولد لتمام ملكه وغناه فهو لا يحتاج إليه وكذلك نفى أن يكون غيره والدأ له فيكون أصلاً له سابقاً عليه ثم نفى أن يكون أحد كفواً له أي مماثلاً ومشابهاً .

وفي تفسير قوله سبحانه : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون ﴾ (سورة المؤمنون : ٩١) يقول شارح الطحاوية : ^(١)

فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضرر فلو كان معه سبحانه إله آخر

(١) العقيدة الطحاوية - الطحاوي .

يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفردة بالملك والإلهية دونه فعل وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه فلا بد من أحد ثلاثة أمور :

(١) إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه .

(٢) وإما أن يعلو بعضهم علي بعض .

(٣) وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولا يتصرفون فيه بل يكون وحده هو الإله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه .

وانتظام امر العالم كله وإحكام أمره من أدل دليل على أن مدبره إله واحد وملك واحد ورب واحد لا إله للخلق غيره ولا رب لهم سواه فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متمائلين ممتنع لذاته مستقر في الفطرة معلوم بصريح العقل بطلانه ، فكذا تبطل إلهية اثنين ، فالأية الكريمة موافقة لما ثبت واستقر في الفطرة من توحيد الربوبية دالة مثبتة مستلزمة لتوحيد الإلهية أ . هـ .

وتوحيد الربوبية يعنى الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت وهذا يستوي فيه كل الخلق ولا ينكره إلا الدهريون قديماً والشيوعيون حديثاً ولا يوجد بين طوائف البشر من يقول بوجود ريبين أو إلهين متكافئين في الصفات والأفعال حتى أهل التثليث من النصارى الذين يجعلون الآلهة ثلاثة الأب والإبن والروح القدس لا يجعلون هذه الأقسام الثلاثة بدرجة واحدة بل الأب عندهم هو الأقوم الأول والإله الأكبر .

أما توحيد الألوهية فهو استحقاقه سبحانه أن يُعبد وحده لا شريك له ، وقد غلط البعض كالشيخ محمد عبده في اعتباره توحيد الربوبية والإنفراد بالخلق هو الغاية العظمى من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فإن هذا النوع من التوحيد كانت تقر به الأمم التي بعثت إليها الرسل ولم يقع نزاع فيه بينهم وبين الرسل وإنما

كان النزاع في توحيد الألوهية والعبادة ، ولهذا لم يجرى على لسان الرسل عليهم السلام الدعوة إلى اعتقاد أن الله هو وحده ، وإنما كان مدار دعوتهم هو عبادة الله وحده لا شريك له فكل منهم كان مفتح دعوته لقومه :

﴿ اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ (الأعراف : ٦٥) .

وقد أحسن العلامة السيد رشيد رضا حين قال مستدر كماً على أستاذه : فات^(١) الأستاذ أن يصرح بتوحيد العبادة وهو أن يُعبد الله وحده ولا يُعبد غيره بدعاء ولا بغير ذلك مما يتقرب به المشركون إلى ما عبدوا معه من الصالحين والأصنام وغير ذلك كالنذور والقرايين تذبح بأسمائهم أو عند معابدهم ، هذا التوحيد هو الذي كان أول ما يدعو إليه كل رسول قومه بقوله : ﴿ اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ أ. هـ .

بضاهنون قول الذين كفروا من قبل

فطر الله عباده على توحيدهِ والإقرار بوجوده وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى :
﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل خلق الله ﴾ (الروم : ٣٠) .

ويقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء »

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : « خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » فهذه الآيات والأحاديث تدل صراحة على أن التوحيد هو الأصل والشرك طارئ عليه وأن الناس كانوا أولاً على هدى قبل أن تنحرف بهم الأهواء وتزلهم الشياطين ولسنا بحاجة لإيراد الأبحاث العلمية القائمة على التجربة التي تؤيد أن أمر التوحيد والتدين أصيل في النفس الإنسانية وأنه لم يحدث نتيجة لعوامل اقتصادية أو اجتماعية كما يزعم بعض السطحيين .

(١) محمد عبده .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما :

« كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على التوحيد ».

قال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ﴾

(البقرة : ٢١٣) وهذه الأمة كانت متفقة على الحق والهدى وهذا هو المأثور عن

ابن عباس وأبي بن كعب وابن مسعود وعكرمة وقتادة وأبي العالية ومجاهد

وغيرهم مما يكاد يكون إجماعاً وهذا هو الموافق للواقع .

وقد ذكر سبحانه عن قوم نوح أنهم قالوا : ﴿ لا تذرنا آلهم ولا تذرنا وداً ولا

سواهاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ (نوح : ٢٣) وهؤلاء كانوا رجالاً صالحين فلما

ماتوا عكف قومهم على قبورهم ليتأسوا بهم في العبادة ثم زين لهم الشيطان أن

يتخذوا لهم صوراً ليتذكروا كلما رأوها كيف كان نشاط هؤلاء في عبادة الله فيكون

ذلك أدعى إلى الإقتداء بهم فلما طال عليهم الأمد وانقرض ذلك الجيل وجاء جيل

آخر أوهمهم الشيطان أن آباءهم كانوا يعبدون هذه الصور ويستسقون بها فعبدوها .

والغلو في الصالحين داء وبيل ابتلى به أهل الكتاب قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود

عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهنون قول

الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ (التوبة : ٣٠) .

وهذا القول في عزير نقل عن بعض أشراف اليهود كسلام بن مشكم ونعمان بن

أبي أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف أنهم قالوه للنبي ﷺ وأقوال السادة

عادة مشهورة في الناس يُحتج بها وحكى الطبري أن عزيراً لما جاء بني إسرائيل

بالتواراة المدفونة قالوا : إن هذا لم يتهاى له إلا وهو ابن الله وظاهر قول النصارى أن

المسيح ابن الله إنما أرادوا بنوة النسل كما قالت العرب في الملائكة كذلك يقتضي

قول الضحاك والطبري وغيرهما ، وهذا أشنع الكفر .

قال أبو المعالي : أطبقت النصارى على أن المسيح إله وأنه ابن إله .

قال ابن عطية : ويقال إن بعضهم يعتقدونها بنوة حنو ورحمة . وهذا المعنى أيضاً

لا يحل أن تطلق البنوة عليه وهو كفر وقوله تعالى: ﴿ ذلك قولهم بأفواههم ﴾ المعنى أنه لما كان قول ساذج ليس فيه بيان ولا برهان وإنما هو قول بالفم مجرد نفس دعوى لا معنى تحته صحيح لأنهم معترفون بأن الله سبحانه لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون أن له ولداً، فهو كذب وقول لساني فقط بخلاف الأقوال الصحيحة التي تعضدها الأدلة ويقوم عليها البرهان .

ومعنى يضاهئون قول الذين كفروا من قبل على ثلاثة أقوال :

١ - يشابهون قول عبدة الأوثان .

٢ - قول الكفرة : الملائكة بنات الله .

٣ - قول أسلافهم فقلدوهم في الباطل واتبعوهم على الكفر كما أخبر عنهم

بقوله : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ (الزخرف : ٢٣)

﴿ قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ (التوبة : ٣٠)

قال القرطبي : أي لعنهم الله يعني اليهود والنصارى لأن الملعون كالمقتول .

وقال ابن عباس : كل شئ في القرآن قتل فهو لعن وقيل : بل هو دعاء عليهم

أو تعجب منهم .

النصارى يعتقدون في المسيح مايعتقده الهنود في كرشنة !!!

جاء في كتاب «مقارنات الأديان - الديانات القديمة» «لمحمد أبو زهرة مانصه :
وقد عقد صاحب كتاب «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» موازنة بين أقوال
الهنود في كرشنة وأقوال المسيحيين في المسيح فتقارب الإعتقاد حتى أوشك أن
يتطابق وإذا كانت البرهمية أسبق من النصرانية المحرفة فقد علم إذن المشتق والمشتق
منه ، والأصل وماتفرع عنه وعلي المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم .
ولنتقل لك بعضاً من هذه الموازنة علي سبيل المثال وغيره يقاس عليه

[أقوال النصارى المسيحيين]

فى يسوع المسيح ابن الله]

يسوع المسيح : « هو المخلص
والمعزي والمعزي والصالح والوسيط
وابن الله والأقنوم الثاني
من الثالوث المقدس ، وهو الأب
والإبن وروح القدس » .

- ١- دخل الملاك على مريم العذراء
والدة يسوع المسيح وقال لها سلام
لك أيها المنعم عليها ، الرب معك .
- ٢- لما ولد يسوع المسيح ظهر
نجمه في المشرق وبواسطة ظهور
نجمه عرف الناس محل ولادته .

[أقوال الهنود الوثنيين]

فى كرشنة ابن الله]

كرشنة : « هو المخلص والفادي
والمعزي والراعي الصالح والوسيط
وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث
المقدس ، وهو الأب والإبن
وروح القدس » .

- ١- قد مجد الملائكة ديفاكي والدة
كرشنة ابن الله وقالوا يحق للكون أن
يفخر بابن هذه الطاهرة .
- ٢- عرف الناس ولادة كرشنة
من نجمه الذي ظهر في السماء .

١- إنجيل لوقا الإصحاح الثالث ص ٢٨ ، ٢٩
وإنجيل مريم الإصحاح السابع
٢- إنجيل متى الإصحاح الثاني العدد ٣

١- كتاب تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣٢٩
٢- كتاب تاريخ الهند المجلد الثاني ٣١٧ ، ٣٦٧

٣- لما ولد كرشنه سبحت الأرض
وأناها القمر بنوره وترنمت
الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحا
وطرباً ورتل السحاب بأنغام مطربة.
٤- كان كرشنه من سلالة ملوكانية
ولكنه ولد في غار بحال الذل والفقر.

٥- لما ولد كرشنه أضى الغار
بنور عظيم وصار وجه أمه ديفاكاي
يرسل أشعة نور ومجد .

٦- ومن بعد ما وضعته صارت
تبكي وتندب سوء عاقبة رسالته
فكلمها وعزاها .

٧- وعرفت البقرة أن كرشنه
إله وسجدت له .

٨- آمن الناس بكرشنه واعترفوا

٣- لما ولد يسوع المسيح رتل
الملائكة فرحاً وسروراً وظهر من
السحاب أنغام مطربة .
٤- كان يسوع المسيح من سلالة
ملوكانية ويدعونه « ملك اليهود »
ولكنه ولد في حالة الذل والفقر بغار
٥- لما ولد يسوع المسيح أضى الغار
بنور عظيم أعيا بلمعانه عيني القابلة
وعيني خطيب أمه يوسف النجار .
٦- وقال يسوع المسيح لأمه وهو
طفل : يا مريم أنا يسوع ابن الله وجئت
كما أخبرك جبرائيل الذي أرسله أبي
إليك وقد أتيت لأخلص العالم .
٧- وعرف الرعاة يسوع
وسجدوا له .

٨- وآمن الناس بيسوع وقالوا

بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب . بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر .

٣- إنجيل لوقا الإصحاح الثاني العدد ١٣ .

٤- دوان ص ٢٧٩ .

٥- إنجيل ولادة يسوع المسيح الإصحاح ١٢
والعدد ١٣ .

٦- إنجيل الطفولية الإصحاح الأول العدد
الثاني والثالث .

٧- إنجيل لوقا الإصحاح الثاني عدد ٨- ١٠ .

٨- إنجيل متى الإصحاح الثاني العدد ٢ .

٣- كتاب فشنوبورانا ص ٥٠٢ .

٤- كتاب دوان ص ٢٩٧ .

٥- دوان ص ٢٩٧ .

٦- تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١١ .

٧- داون ص ٢٧٩ .

٨- كتاب الديانات الشرقية ص ٥٠٠ ، وكتاب

الديانات القديمة المجلد الثاني ص ٣٥٣ .

٩- وسمع نبي الهنود «نارد» بمولد
الطفل الإلهي كرشنه فذهب وزاره
في «توكول» وفحص النجوم فتبين
له من فحصها أنه مولود إلهي يعبد .
١٠- لما ولد كرشنه كان «ناندا»
خطيب أمه ديفاكي غائباً عن البيت
حيث أتى إلى المدينة كي يدفع ماعليه
من الخراج للملك.

١١- ولد كرشنه بحال الذل
والفقر مع أنه من عائلة ملوكانية .
١٢- وسمع ناندا خطيب أمه
ديفاكي والدة كرشنه نداء من السماء
يقول له : قم وخذ الصبي وأمه
فهربهما إلى كاكول واقطع نهر جمنة
لأن الملك طالب إهلاكه .

٩- ولما سمع يسوع في بيت لحم
اليهودية في أيام هيرودس الملك إذ
المجوس من المشرق قد جاؤا إلى أورشليم
قائلين : أين هو المولود ملك اليهود .
١٠- ولما ولد يسوع كان خطيب
أمه غائباً عن البيت وأتى كي يدفع
ماعليه من الخراج للملك .

١١- ولد يسوع المسيح بحال الذل
والفقر مع أنه من سلالة ملوكانية .
١٢- وأنذر يوسف النجار خطيب
مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ
الصبي وأمه ويفربهما إلى مصر
لأن الملك طالب إهلاكه .

٩- إنجيل متى الإصحاح الثاني عدد ١، ٢ .
١٠- إنجيل لوقا الإصحاح الثاني من عدد ١- ١٧ .
١١- انظر تعداد نسبه في إنجيل متى وإنجيل لوقا .
١٢- إنجيل متى الإصحاح الثاني عدد ١٣ .

٩- تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٧ .
١٠- كتاب فشنو بورانا الفصل الثاني من
الكتاب الخامس .
١١- التنقيبات الآسيوية المجلد الأول .
ص ٢٥٩ ، وتاريخ الهند المجلد الثاني ص ١٣٠ .
١٢- كتاب فشنو بورانا الفصل الثالث .

١٣ - وسمع حاكم البلاد بولادة
الطفل يسوع الإلهي وطلب قتله وكي
يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة
الأولاد الذين ولدوا في الليلة التي
ولد فيها يسوع المسيح .

١٤ - واسم المدينة التي هاجر
إليها يسوع المسيح في مصر لما ترك
اليهودية « المطرية » ويقال إنه عمل فيها
آيات وقوات عديدة

١٥ - وكانت ولادة يوحنا
المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح
بزمن قليل وقد سعى الملك هيرودس
في إهلاك الطفل يسوع المسيح وكان
يوحنا مبشراً بولادة يسوع المسيح .

١٣ - وسمع حاكم البلاد بولادة
كرشنة الطفل الإلهي وطلب قتل
الولد وكي يتوصل إلى أمنيته أمر
بقتل كافة الأولاد الذكور الذين
ولدوا في الليلة التي ولد فيها كرشنة .
١٤ - واسم المدينة التي ولد فيها
كرشنة « مطرا » وفيها عمل الآيات
العجبية ولم تزل محل التعظيم والإحترام
عند الهنود العابدين للأوثان القائلين
عن كرشنة إنه ابن الله وإنه الله إلى يومنا هذا .

١٥ - كانت ولادة القديس
راما قبل ظهور كرشنة في الناسوت
بزمن قليل وقد سعى فانسا ملك
البلاد في إهلاك القديس راما
وإهلاكه كرشنة أيضاً .

١٣ - إنجيل متى الإصحاح الثاني .
١٤ - المقدمة على إنجيل الطفولية تأليف هيجين .
١٥ - إنجيل تاريخ ولادة يسوع المسيح الإصحاح
السادس .

١٣ - دوان ص ٢٨٠ .
١٤ - تاريخ الهند المجلد الثاني ص ١٧
، والتنقيبات الآسيوية المجلد الأول ص ٢٥٩ .
١٥ - تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٦ .

١٦ - وربى كرشنة بين الرعاة ولما
جئ به إلى مطرا كان في احتياج
عظيم إلى التعليم فأتى له بمعلم خبير
وفي وقت قليل فاق على أستاذه في
العلوم وأعياه في المسائل العلمية
السنسكريتية الدقيقة .

١٦ - وأرسل يسوع المسيح إلى
المعلم زاخوس كي يعلمه
فكتب له أحرف ألف باء وقال ليسوع
قل - ألف - فقال الرب يسوع أخبرني
أولاً عن معنى حرف الألف ومن
بعده أقول حرف الباء فتهدد المعلم
يسوع بالضرب فقام يسوع وفسر
معنى الألف والباء وأخبره عن
الحروف المستقيمة والحروف
المنحنية والحروف المثناة والتي لها
نقط وحركات والتي ليس لها نقط
ولماذا وضعت في هذا الترتيب أي
بعض الحروف قبل غيرها وطفق
يخبر عن أشياء لم يسمع بها المعلم من
قبل ولم يقرأها في كتاب .

١٧ - وفي شهر أزار جمع يسوع
الأولاد ورتبهم كأنه ملك عليهم وإذا
مر بهم أحد كانوا يأخذونه غصباً
ويأمرونه بالسجود للملك .

١٧ - وفي أحد الأيام كان كرشنة
سائراً مع قطيع من البقر فاختراره
ملكاً عليهم وذهبت كل بقرة إلى
المكان الذي عينه لها هذا الملك

١٦ - إنجيل الطفولية الإصحاح العشرين عدد ١ - ٨ .
١٧ - إنجيل الطفولية الإصحاح ١٨ ص عدد ١ - ٣ .

١٦ - دوان ص ٢٨٠ وتاريخ الهند المجلد
الثاني ص ٣٢١ .
١٧ - تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٢ .

١٨ - وبينما كان يسوع يلعب
لسعت الحية أحد الصبيان الذين كان
يلعب معهم فلمس يسوع ذاك
الصبي بيده فعاد إلى حال صحته.

١٩ - وأخفى الأولاد الذين
يلعبون مع يسوع أنفسهم في فرن
فبدلوا إلى هيئة جداء فناداهم يسوع
تعالوا إلى هنا يا أيها الأولاد لنلعب
فأعيدت تلك الجداء إلى هيئتهم الأولى
صبياناً.

٢٠ - وأول الآيات والعجائب التي
عملها يسوع المسيح هي شفاء الأبرص.
٢١ - وفيما كان يسوع في بيت عتيا
في بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه
امرأة معها قارورة طيب كثيرة الثمن
فسكبته على رأسه وهو متكئ.

١٨ - إنجيل الطفولية الإصحاح ١٨ .
١٩ - إنجيل الطفولية الإصحاح ١٨ .
٢٠ - إنجيل متى الإصحاح الثامن العدد
الثاني .
٢١ - إنجيل متى الإصحاح السادس
والعشرين عدد ٦ ، ٧ .

١٨ - وفي أحد الأيام لسعت الحية
بعض أصحاب كرشنة الذين يلعب
معهم فماتوا فأشفق عليهم لموتهم
الباكر ونظر إلى ألوهيته .

١٩ - وسرق بعض أصحاب
كرشنة مع عجولهم وأخفاهم السارقون
في غار فخلق كرشنة أصحاباً وعجولاً
مثلهم في الشكل والهيئة .

٢٠ - وأول الآيات والعجائب
التي عملها كرشنة شفاء الأبرص .
٢١ - وأوتي كرشنة بامرأة فقيرة
مقعدة معها إناء فيه طيب وزيت
وصندل وزعفران وغير ذلك من
أنواع الطيب فدهنت منه جبين
كرشنة بعلامة مخصصة وسكبت
الباقى على رأسه .

١٨ - تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣٤٣ .
١٩ - تاريخ الهند المجلد الثاني ص ١٥
، وكتاب خرافات الآريين المجلد الثاني
ص ١٣٦ .
٢٠ - تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٩ .
٢١ - تاريخ الهند المجلد الثاني .

٢٢- كرشنة صلب ومات على
الصليب .

٢٣- لما مات كرشنة حدثت

مصائب وعلامات شر عظيم وأحاط
بالقمر هالة سوداء وأظلمت الشمس
في وسط النهار وأمطرت السماء
ناراً ورماداً وتأججت أشعة نار
حامية وصار الشياطين يفسدون
في الأرض وشاهد الناس ألوفاً من
الأرواح في جو السماء يترأخون
صباحاً ومساءً وكان ظهورها في كل
مكان .

٢٢- يسوع صلب ومات على
الصليب .

٢٣- لما مات يسوع حدثت

مصائب جمّة متنوعة وانشق حجاب
الهيكل من فوق إلى تحت وأظلمت
الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة
التاسعة وفتحت القبور وقام كثيرون
من القديسين وخرجوا من قبورهم .

٢٤- وثقب جنب يسوع بحربة .

٢٥- وقال يسوع لأحد اللصين

اللذين صلبا معه الحق أقول لك إنك
اليوم تكون معي في الفردوس .

٢٦- ومات يسوع ثم قام من

بين الأموات .

٢٤- وثقب جنب كرشنة بحربة .

٢٥- وقال كرشنة للصيد الذي

رماه بالنبله وهو مصلوب اذهب
أيها الصيد محفوظاً برحمتي إلى السماء
مسكن الآلهة .

٢٦- ومات كرشنة ثم قام

من بين الأموات .

٢٣- كتاب ترقمي التصورات الدينية المجلد
الأول ص ١٧ .

٢٤- دوان ص ٢٨٢ .

٢٤- دوان ص ٢٨٣ .

٢٥- إنجيل لوقا الإصحاح الثالث والعشرين عدد ٣، ٤ .

٢٥- فشنو بورانا ص ٢٨٢ .

٢٦- إنجيل متى الإصحاح ٢٨ .

٢٦- دوان ص ٢٨٢ .

- ٢٧- ونزل كرشنة إلى الجحيم .
 ٢٨- وصعد كرشنة بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً .
 ٢٩- ولسوف يأتي كرشنة في اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء .
- ٢٧- ونزل يسوع إلى الجحيم .
 ٢٨- وصعد يسوع إلى السماء . وكثيرون شاهدوه صاعداً .
 ٢٩- ولسوف يأتي يسوع في اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء .
- ٣٠- ويدين يسوع الأموات في اليوم الأخير .
 ٣١- ويقولون عن كرشنة : الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدي .
 ٣٢- كرشنة الألف والباء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء .
- ٣٠- ويدين يسوع الأموات في اليوم الأخير .
 ٣١- ويقولون عن كرشنة : الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدي .
 ٣٢- كرشنة الألف والباء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء .

- ٢٧- دوان ص ٢٨٢ ، وكذلك كتاب الإيمان المسيحي .
 ٢٨- إنجيل متى الإصحاح الرابع والعشرين .
 ٢٩- إنجيل متى الإصحاح ٢٤ .
 ٣٠- إنجيل متى الإصحاح ٢٤ العدد ١ ، ٣ ، ورسالة الرومانيين .
 ٣١- إنجيل يوحنا الإصحاح الأول من عدد ١ ، ٣ ، ورسالة كورنثوس الأولى افسس الأصحاح الثالث العدد ٩ .
 ٣٢- سفر الرؤيا الإصحاح الأول العدد ٨ .
- ٢٧- دوان ص ٢٨٢ .
 ٢٨- دوان ص ٢٨٢ .
 ٢٩- دوان ص ٢٨٢ .
 ٣٠- دوان ص ٢٨٣ .
 ٣١- دوان ص ٢٨٢ .
 ٣٢- دوان ص ٢٨٢ .

- ٣٣- لما كان كرشنة على الأرض
حارب الأرواح الشريرة غير مبال
بالأخطار التي كانت تكتنفه ونشر
تعاليمه بعمل العجائب والآيات
كأحياء الميت وشفاء الأبرص
والأصم والأعمى وإعادة المخلوع كما
كان أولاً ونصرة الضعيف على القوي
والمظلوم على ظالمه وكانوا إذ ذاك
يعبدونه ويزدحمون عليه ويعدونه إلهاً .
- ٣٤- كان كرشنة يحب تلميذه
أرجونا أكثر من بقية التلاميذ .
- ٣٣- لما كان يسوع على الأرض
كان يحارب الأرواح الشريرة غير
مبال بالأخطار التي كانت تكتنفه
وكان ينشر تعاليمه بعمل العجائب
والآيات كإحياء الميت وشفاء
الأبرص والأصم والأخرس
والأعمى والمريض وينصر الضعيف
على القوي والمظلوم على ظالمه
وكان الناس يزدحمون عليه ويعدونه إلهاً .
- ٣٤- كان يسوع يحب تلميذه
يوحنا أكثر من بقية التلاميذ .

-
- ٣٣- انظر الإنجيل والرسائل ترى كثيراً من هذا
الذي ذكرناه .
- ٣٤- كتاب بها كافات كيتا . ٣٤- إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣ العدد ٢٣ .

٣٥- وفي حضور أرجونا بدلت
هيئة كرشنة وأضاء وجهه كالشمس
ومجد العلي واجتمع إله الألهة فأحني
أرجونا رأسه تذلاً ومهابة وتكتف
تواضعا وقال باحترام : الآن رأيت
حقيقتك كما أنت وإني أرجو رحمتك
يارب الأرياب فعد واطهر في ناسوتك
ثانية أنت المحيط بالملكوت .

٣٥- وبعد ستة أيام أخذ يسوع
بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد
بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت
هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس
وصارت ثيابه بيضاء كالثلج وفيما
هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم
وصوت من السحابة قائل هذا هو
ابن الحبيب الذي سررت له اسمعوا
ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم
وخافوا جداً .

٣٦- وكان كرشنة خير الناس
خلقاً وخلقاً وعلماً بإخلاص ونصح
وهو الطاهر العفيف مثال الإنسانية
وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل
أرجل البرهيمين وهو الكاهن

٣٦- وكان يسوع خير الناس
خلقاً وعلماً بإخلاص وهو الطاهر
العفيف مكمل الإنسانية ومثالها وقد
تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل
التلاميذ وهو الكاهن العظيم القادر

٣٥- كتاب مورس وليمس المدعو «دين الهنود» ص ٢١٥ .
٣٦- المرجع السابق ص ١٤٤ .

٣٥- إنجيل متى الإصحاح ١٧ من عدد إلى ٩ .
٣٦- إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣ .

العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر
لنا بالناسوت .

٣٧- كرشنه هو برهما العظيم

القدوس وظهوره بالناسوت سر
من أسراره العجيبة الإلهية .

٣٨- كرشنه الأفتوم الثاني من

الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين
القائلين بألوهيته .

٣٩- وأمر كرشنه كل من

يطلب الإيمان بإخلاص أن يترك
أملأكه وكافة مايشتهييه ويحبه من

مجد هذا العالم ويذهب إلى مكان
خال من الناس ويجعل تصوره في

الله فقط .

٤٠- وقال كرشنه لتلميذه

٣٧- فشنو بورانا ص ٤٩٢ عند شرح
حاشية عدد ٣ .

٣٨- كتاب مورس وليمس المدعو العقائد .
٣٩- ديانة الهنود الوثنية ص ٢١١ .

٤٠- مورس وليمس ديانة الهنود الوثنيين
ص ٢١١ .

ظهر لنا بالناسوت .

٣٧- يسوع هو يهوه العظيم

القدوس وظهوره في الناسوت سر
أسراره العظيمة الإلهية .

٣٨- يسوع الأفتوم الثاني من

الثالوث المقدس عند النصارى .

٣٩- وأمر يسوع كل من يطلب

الإيمان بإخلاص أن يفعل كما يأتي
وأما أنت فمتى صلبت فادخل إلى

مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك
الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في

الخفاء يجازيك علانية .

٤٠- فإذا كنتم تأكلون أو

٣٧- رسالة تيموثاوس الأولى الإصحاح
الثالث .

٣٨- انظر كافة كتبهم الدينية وكذلك
الأناجيل والرسائل .

٣٩- إنجيل متى الإصحاح ٦ عدد ٦ .

٤٠- رسالة كورنثوس الأولى الإصحاح
العاشر من عدد ١٥ : ٣ .

الحبيب أرجونا إنه مهما عملت
ومهما أعطيت الفقير ومهما أكلت
ومهما قربت من قربان ومهما فعلت
من الأفعال المقدسة فليكن جميعه
بإخلاص لي أنا الحكيم والعليم ليس
لي ابتداء وأنا الحاكم المسيطر والحافظ.

٤١ - قال كرشنه أنا علة وجود
الكائنات في كانت وفي تحمل وعلي
جميع مافي الكون يتكل وفي يتعلق
كاللؤلؤ المنظوم في خيط .

٤٢ - وقال كرشنه أنا النور
الكائن في الشمس والقمر وأنا
النور الكائن في اللهب وأنا نور
كل ما يضيء ونور الأنوار ليس
في ظلمة.

٤٣ - قال يسوع أنا هو الطريق
للعالم وربيه وملجؤه وطريقه .

- ٤١ - مورس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٢ . ٤١ إنجيل يوحنا الإصحاح الأول من عدد ٣١ .
٤٢ - كتاب موريس وليمس ديانة الهنود ص ٢١٣ . ٤٢ - إنجيل يوحنا الإصحاح ٨ العدد ١٢ .
٤٣ - دوان ص ٢٨٣ . ٤٣ إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر عدد ٦ .

٤٤ - وقال يسوع ، أنا هو الأول
والآخر ولي مفاتيح الهاوية والموت.

٤٥ - وقال يسوع للمفلوج : ثق
يابني مغفورة لك خطاياك يا بني
أعطني قلبك والمدينة لا تحتاج إلى
شمس ولا إلى قمر ليضيئنا فيها
الحروف سراجها .

٤٤ - وقال كرشنه ، أنا صلاح
الصالح وأنا الإبتداء والأوسط
والأخير والأبدي وخالق كل شيء
وأنا فناؤه ومهلكه .

٤٥ - وقال كرشنه لتلميذه
الحبيب لا تخزن يا أرجونا من كثرة
ذنوبك أنا أخلصك منها فقط تثق
بي وتتوكل علي واعبدني واسجد لي
ولا تتصور أحداً سواي لأنك
هكذا تأتي إلى المسكن العظيم الذي
لا حاجة فيه لضوء الشمس والقمر
اللذين نورهما مني .

٤٤ - رؤيا يوحنا الإصحاح الأول من عدد
١٧-١٨ .
٤٥ - إنجيل متى الإصحاح ٩ عدد ٢ ، وسفر
الأمثال الإصحاح ٣٢ عدد ٢٦ ، وسفر الرؤيا
الإصحاح ١٢ عدد ٢٣ .

٤٤ - كتاب موريس وليمس ديانة الهنود
والوثنيين ص ٢١٣ .
٤٥ - كتاب موريس وليمس ديانة الهنود
والوثنيين ص ٢١٣ .

تطابق اعتقاد النصارى على اعتقاد الهنود في بوذا !!!!

جاء في نفس المصدر مانصه : « ومن الغريب أن الأوهام التي جعلها بوذيوا التبت أوصافاً لبوذا تتوافق مع ما ينحله المسيحيون بشخصية المسيح بعد تغيير النصرانية وهاهي ذي بعض المقابلات بينهما لتعرف وجه التطابق :

أقوال النصارى المسيحيين

فى المسيح ابن الله

١- كان تجسد يسوع المسيح

بواسطة حلول الروح القدس على

العذراء مريم .

٢- لما نزل يسوع من مقعده

السماوي ودخل في جسد مريم العذراء

صار رحمها كالبلور الشفاف النقي

وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة .

٣- وقد دل على ولادة يسوع

نجم ظهر في المشرق وقال دوان :

من الواجبات أن يدعى « نجم المسيح » .

٤- لما ولد يسوع فرحت ملائكة

السماء والأرض ورتلوا الأناشيد

حمداً للواحد المبارك قائلين المجد لله

أقوال الهنود الوثنيين

فى بوذا ابن الله

١- كان تجسد بوذا بواسطة

حلول روح القدس على العذراء

مايا .

٢- لما نزل بوذا من مقعد

الأرواح ودخل في جسد العذراء

مايا صار رحمها كالبلور الشفاف

النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة .

٣- وقد دل على ولادة بوذا

نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه

« نجم بوذا » .

٤- لما ولد بوذا فرحت جنود

السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد

للمولود المبارك قائلين : ولد اليوم

في الأعالى وعلى الأرض السلام
وبالناس المسرة .

بوذا على الأرض كي يعطي الناس
المسرات والسلام ويرسل النور
إلى المحلات المظلمة وتهب بصرأ
للعمي .

٥ - وقد زار الحكماء يسوع
وأدركوا أسرار لاهوته ولم يميض
يوم على ولادته حتى دعوه إله الآلهة .
٦ - وأهدوا يسوع وهو طفل
هدايا من ذهب وطيب ومر .

٥ - وعرف الحكماء بوذا وأدركوا
أسرار لاهوته ولم يميض يوم على
ولادته حتى حياه الناس ودعوه إلهها .
٦ - وأهدوا بوذا وهو طفل
هدايا من مجوهرات وغيرها من
الأشياء الثمينة .

٧ - لما كان يسوع طفلاً قال
لأمه مريم (أنا ابن الله) .
٨ - كان يسوع ولداً مخيفاً سعى
الملك هيرودوس وراء قتله كيلا
ينزع الملك من يده .

٧ - لما كان بوذا طفلاً قال لأمه
مايا إنه أعظم الناس جميعاً .
٨ - كان بوذا ولداً مخيفاً وقد
سعى الملك بميسارا وراء قتله لما
أخبره أن هذا الغلام سينزع الملك
من يده إن بقي حياً .

- ٥ - إنجيل متى الإصحاح الثاني عدد ١ إلى ١١ .
٦ - إنجيل متى الإصحاح ٢ عدد ١١ .
٧ - إنجيل الطفولية الإصحاح ١ عدد ٣ .
٨ - إنجيل متى الإصحاح الثاني العدد الأول .

- ٥ - دوان ص ٢٩٠ .
٦ - دوان ص ٢٩٠ .
٧ - كتاب هردي المدعو العقائد البوذية
ص ١٤٥ ، ١٤٦ .
٨ - كتاب تاريخ البوذية تأليف نيل ص ١٠٣ - ١٠٤ .

٩- لما أرسل يسوع إلى المدرسة
أدهش أستاذه ذاخيوس وقال لأبيه
يوسف « لقد أتيتني بولد لأعلمه
مع أنه أعلم من كل معلم ».

١٠- لما صار عمر يسوع اثنتي
عشرة سنة جاءوا به إلى أورشليم
وصار يسأل الأجرار والعلماء مسائل
مهمة ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع .
١١- وكان يسوع مارا قرب
حاملي الأعلام فأحنت الأعلام
رؤوسها سجوداً له .

١٢- ويعدون سلالة يسوع من
أبيه يوسف في أشخاص مختلفين
وكلهم من سلالة ملوكانية إلى آدم
أبي البشر وكثير من الأسماء
٩- إنجيل الطفولية الإصحاح ٢٠ عدد ، وإنجيل
لوقا .
١٠- إنجيل الطفولية الإصحاح ٢١ عدد ٢١ .
١١- إنجيل نيكوديموس الإصحاح الأول
العدد ٢٠ .

٩- لما أرسل بوذا إلى المدرسة
أدهش الأساتذة مع أنه لم يدرس
من قبل وفاق الجميع في الكتابة
والرياضيات والعلوم العقلية والهندسة
والتنجيم والكهانة والعرافة .

١٠- لما صار عمر بوذا اثنتي
عشرة سنة دخل الهياكل وصار
يسأل أهل العلم مسائل عويصة ثم
يوضحها لهم حتى فاق كافة مناظريه .
١١- ودخل بوذا مرة أحد
الهياكل فقامت الأصنام من أماكنها
وتمددت عند رجله سجوداً له .

١٢- ويصلون نسب كوتاما بوذا
من أبيه « صدودانا » في أناس كلهم
من سلالة ملوكانية إلى ماها سماطا
وهو على زعمهم أول ملك صار

٩- كتاب هردي « العقائد البوذية » ، وتاريخ
الديانة البوذية لنيل .
١٠- بنصن « الملاك المسيح » ص ٣٧ .
١١- بنصن « الملاك المسيح » ٦٧- ٦٩ .
١٢- دوان ص ٢٩١ .

والحوادث المذكورة في سلالة
مذكورة في التوراة كتاب اليهود .

في الدنيا والحوادث والأنساب
المذكورة في كتاب « بيوراز » البرهمي
وجد في أنسابه غير أنه لا يمكن
تحقيق الحوادث ونسبتها مع غيرها
وسبب ذلك هو أن مؤرخي البوذية
اخترعوا فيها أسماء تمكنهم من
إعلان نسب حكيمهم فوق اعتبارهم
إياه إلهًا .

١٣ - لما شرع يسوع في التبشير
ظهر له الشيطان كي يجربه .

١٣ - لما عزم بوذا على السياحة
قصد التعبد والتنسك وظهر عليه
« مارا » أي الشيطان كي يجربه .

١٤ - وقال « أي إبليس » له
(أي يسوع) أعطيك هذه « أي الدنيا »
جميعها إذا خررت وسجدت لي .

١٤ - وقال مارا « الشيطان »
لبوذا لاتصرف حياتك في الأعمال
الدينية لأنك بمدة سبعة أيام تصير
ملك الدنيا .

١٥ - فأجابه المسيح وقال اذهب
يا شيطان .

١٥ - فلم يعبأ بوذا بكلام
الشيطان بل قال له اذهب عني .

١٣ - إنجيل متي الإصحاح ٤ عدد ١ - ٨ .
١٤ - إنجيل متي الإصحاح ٤ من ١٠ - ١١ .
١٥ - إنجيل لوقا الإصحاح ٤ عدد ٨ .

١٣ - دوان ص ٢٩٢ .
١٤ - دوان ص ٢٩٢ .
١٥ - دوان ص ٢٩٢ .

- ١٦ - ولما ترك مارا « أي الشيطان »
تجربة بوذا أمطرت السماء زهراً
وطيباً ملاً الهواء طيب عرفه .
- ١٧ - وصام بوذا وقتاً طويلاً .
١٨ - وقد عمد بوذا المخلص حين
عمادته بالماء وكان روح الله حاضراً
وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل
وروح القدس الذي صار تجسد
كوتاما لما حل على العذراء مايا .
- ١٩ - ولما كان بوذا على الأرض
في أواخر أيامه بدلت هيئته وهو
إذ ذاك على جبل « بندافا » أي
الأصفر المبيض في « سيلان » ونزل
عليه بغتة نور أحاط برأسه على شكل
إكليل ويقولون إن جسده أضاء
- ١٦ - ثم تركه إبليس وإذا ملائكة
قد جاءت فصارت تخدمه .
- ١٧ - وصام يسوع وقتاً طويلاً .
١٨ - ويوحنا عمد يسوع بنهر
الأردن وكانت روح الله حاضرة وهو
لم يكن الإله العظيم فقط بل والروح
القدس الذي فيه تم تجسده عندما حل
بالعذراء مريم فهو الأب والإبن
وروح القدس .
- ١٩ - ولما كان يسوع على الأرض
بدلت هيئته « وبعد ستة أيام أخذ
يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه
وصعد بهم إلى جبل عال منفردين
وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه
كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور .

- ١٦ - إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ١١ .
١٧ - إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٢ .
١٨ - إنجيل متى الإصحاح ٧ عدد ١، ٢ .
- ١٦ - دوان ص ٢٩٢ .
١٧ - دوان ص ٢٩٢ .
١٨ - كتاب المسيح ص ٤٥ تأليف بمصن
١٩ - كتاب الملاك المسيح ص ٤٥ .

منه نور عظيم وصار كتمثال من ذهب براق مضئ كالشمس أو كالقمر وحينئذ تحول إلى ثلاثة أقسام مضيئة وحينما رأى الحاضرون هذا التحول في هيئته قالوا ما هذا بشراً إن هو إلا إله عظيم .

٢٠- وعمل يسوع عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكرى أعظم العجائب مما يمكن تصوره .

٢١- وفي صلاتهم ليسوع يتأمل المؤمنون بألوهيته دخول الفردوس .

٢٢- لما مات يسوع ودفن انحلت الأكفان وفتح القبر بقوة إلهية .

٢٣- وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لما أكمل عمله في الأرض .

٢٠- وعمل بوذا عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكرى أعظم العجائب مما يمكن تصوره .

٢١- وفي صلاتهم لبوذا يتأمل المؤمنون به دخول الفردوس .

٢٢- لما مات بوذا ودفن انحلت الأكفان وفتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية « أي بقوة إلهية » .

٢٣- وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض .

-
- ٢٠- دوان ص ٢٩٣ . ٢٠- إنجيل متى الإصحاح ٨ عدد ٢٨- ٣٤ وغيره .
- ٢١- دوان ص ٢٩٣ . ٢١- دوان ص ٢٩٣ .
- ٢٢- كتاب بنصن الملاك المسيح ٤٩ . ٢٢- إنجيل متى الإصحاح ٢٨ ، وإنجيل يوحنا الإصحاح ٢٠ .
- ٢٣- دوان ص ٢٩٣ . ٢٣- أعمال الرسل الإصحاح الأول عدد ١- ١٢ .

٢٤ - ولسوف يأتي بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها .

٢٥ - وسيدين بوذا الأموات .

٢٦ - يسوع الألف والباء ليس له انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأزلي .

٢٧ - يسوع هو مخلص العالم وكافة الذنوب التي ارتكبت في العالم تقع عليه عن الذين اقترفوها ويخلص العالم .

٢٨ - قال يسوع أخفوا الأعمال الحسنة التي تفعلونها واعترفوا بذنوبكم علانية .

٢٩ - ويصفون بوذا أنه ذات من نور غير طبيعية والشرير مارا

٢٤ - دوان ص ٢٩٣ .
 ٢٥ - دوان ص ٢٩٣ .
 ٢٦ - دوان ص ٢٩٣ .
 ٢٧ كتاب مولر المدعو تاريخ الآداب السنسكريتية ص ٨٠ .
 ٢٨ - مولر كتابه المدعو العلوم الدينية ص ٢٨ .
 ٢٩ - بنصن الملك المسيح ص ٢٩ ودوان ص ٢٩٤ .

٢٤ - أعمال الرسل الإصحاح الأول .
 ٢٥ - إنجيل متى الإصحاح ٦ عدد ٢٢ .
 ٢٦ - إنجيل يوحنا الإصحاح ١ عدد ١ .
 ٢٧ دوان ص ٢٩٣ وكذلك التعليم المسيحي .
 ٢٨ - إنجيل متى الإصحاح ٦ عدد ١ ورسالة يعقوب .
 ٢٩ - إنجيل يوحنا الإصحاح ٤ العدد ١ وإنجيل لوقا .

ويدعونه أيضاً الحية ذات مظلمة غير طبيعية. الشيطان الحية القديمة

٣٠- وفي أحد الأيام التقى أناثا
تلميذ بوذا وهو سائر في البلاد بالمرأة
مناجي « وهى من سبط الكندلاس
المرذولين قرب بئر ماء فطلب منها
قليلاً من الماء فأخبرته عن سبطها
وأنه لا يجوز له أن يقترب منه لأنها
من سبط محتقر فقال لها ياأختي
إنني لم أسألك عن سبطك وعن
عائلتك انما سألتك شربة ماء فصارت
من ذلك الحين تلميذة بوذية .

٣١- قال يسوع لا تظنوا أنني
جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء
عند نفسه حلقة في سلسلة المعلمين الحكماء .
ماجئت لأنقض بل لأكمل .

٣٢- وبِحسب تعليم بوذا يجب
أن تكون كافة أعمالنا مع أهلنا
وجيراننا بالمحبة والحسنى .

٣٣- وفي أوائل أيام يسوع التي

-
- ٣٠- كتاب مولر المدعو العلوم الدينية ص ١٤٠ .
٣١- إنجيل متى الإصحاح ٥ عدد ١٧ .
٣٢- إنجيل متى الإصحاح ٥ عدد ٤٤ .
٣٣- إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ١٣- ٢٥ .

علم وبشر فيها إلى مدينة كفر
ناحوم وعلم فيها فتبعه من ذلك الحين
أربعة رجال صيادين وصاروا تلاميذ
له ومن هذا الحين صار أينما كرز يتبعه
رجال ونساء كثيرون يؤمنون به .

٣٤- وقال يسوع للذين صاروا
تلاميذ له ليركوا غناهم وينذروا
عيشة الفقر والفاقة .

٣٥- وجاء في كتب النصارى
المقدسة أن الجموع طلبوا من يسوع
آية لكي يؤمنوا به .

٣٦- لما اقترب انتهاء أيام يسوع
على الأرض أخبر عن الحوادث التي
ستقع من بعده وقال لتلاميذه : اذهبوا
وتلمذوا جميع الأمم وعلموهم أن
٣٤- إنجيل متى الإصحاح ٨ عدد ١٩ ، ٢٠
والإصحاح ١٦ عدد ٣٥ ، ٢٦ .
٣٥- إنجيل متى الإصحاح ١٢ عدد ١٢ .
٣٦- إنجيل متى الإصحاح ٢٤ وإنجيل مرقس
الإصحاح ٨ عدد ٣١ .

علم وبشر فيها ذهب إلى مدينة بينارس
وعلم فيها فتبعه كوندينا ثم تبعه أربعة
رجال آخرين وصاروا جمعهم
تلاميذ له ومن ذلك الحين صار أينما
علم وكرز يتبعه رجال ونساء كثيرون
ويصيرون من أتباعه وتلاميذه .

٣٤- وقال بوذا للذين صاروا
تلاميذ ليركوا الدنيا وغناهم وينذروا
عيشة الفقر والفاقة .

٣٥- وجاء في كتاب البوذية
القانونية المقدسة أن الجموع طلبوا
من بوذا علامة « أي آية » ليؤمنوا به .

٣٦- لما اقترب انتهاء أيام بوذا
على الأرض وعلم الحوادث المقبلة
التي ستقع قال لتلميذه أناندا ما يأتي :
يا أناندا متى أنا ذهبت لاتظن أنه لم

٣٤- هاردي في كتابه المدعو الرهبانية في
الشرق ص ٥ ، ٦٢ .
٣٥- كتاب علم الأديان ص ٣٧ تأليف مولر .
٣٦- كتاب الموناشيزم الشرقية ص ٢٣٠
تأليف هاردي .

يحفظوا هم جميع ما أوصيتكم به وها
أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر .

٣٧- وإذا واحد تقدم وقال

له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل
ليكون الحياة الأبدية قال له يسوع :
إن أردت أن تكون كاملاً فإذهب
وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون
لك كنز في السماء وتعال اتبعني
لا تكتنزوا لكم كنوزاً على الأرض
حيث يفسد السوس والصدأ وحيث
ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا
لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد
سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب
سارقون ولا يسرقون

٣٨- ومن ذلك الزمان ابتدأ

يسوع يكرز يقول توبوا لأنه

٣٧- إنجيل متى الإصحاح ٦ عدد ١٩ ، ٢٠ .

٣٨- إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٧ .

يعد لبوذا وجود كلا ، فالكلام الذي
قلته والفرائض التي افترضتها تكون
خلفاً عني وهي لك كذاتي أنا .

٣٧- وجاء في التعاليم البوذية

أن إنفاق الإنسان لما له من أعظم
الصعوبات ومن ينفق غناه هو أشبه
بمن يهب روحه : لأن النفس تبخل
بالمال وتمسك به وبوذا قد وهب
ونذر حياته شفقة وحنواً خيراً
الناس فلماذا نتمسك بغناء الدنيا
الزهيد ولما تخلص بوذا من حب
المشتهيات الدنيوية وملذاتها نال
المعرفة الإلهية وصار الرأس فليعمل
الرجل الحكيم الهاجر للملذات الدنيا
الخير مع كل أحد حتى تقديم نفسه
فداء عن الغير عندها يصل إلى
المعرفة الحقيقية

٣٨- وكان قصد بوذا تشييد

مملكة دينية أي مملكة سماوية .

٣٧- مولر في كتاب علوم الدين ص ٢٤٤ .

٣٨- بيل تاريخ البوذية ص ١٠ .

- ٣٩- وقال بوذا الآن أحببت إدارة دولاب الشريعة العظيم ومن أجل هذا فإني ذاهب إلى مدينة بينارس لأهب نوراً للتائهين في الظلام وأفتح باب الحياة للإنسانية .
- ٣٩- اقترب ملكوت السموات .
- ٤٠- وقال بوذا للتلميذ الحبيب أناندا إن كلامي لا ريب فيه فلا يزول قطعياً ولو وقعت السموات على الأرض وابتلع العالم وجفت البحار وانذك جبل سومر وصار قطعاً .
- ٤٠- وقال بوذا لأهلب نوراً للتائهين في الظلام وأفتح باب الحياة للإنسانية .
- ٤٠- الناموس أعطي لموسى أما النعمة والحق فييسوع المسيح صار الحق أقول لكم السماء والأرض تزول ولكن كلامي لا يزول .
- ٤١- قال يسوع : قد سمعتم أنه
- ٤١- إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٢١، ١٧ .
- ٤٠- إنجيل يوحنا الإصحاح الأول عدد ١٧ ، وإنجيل لوقا .
- ٤١- إنجيل متى الإصحاح الخامس عدد ٢٧- ٢٨
- ٤١- كتاب تقدم الأفكار الدينية المجلد الأول ص ٢٢٨ .
- ٣٩- بيل تاريخ البوذية ص ١٤٤ .
- ٤٠- بيل تاريخ البوذية ص ١١ .

أعظم فعلاً في الإنسان من الإشتهاء
والهواء الشهواني ولحسن الحظ
والسعادة لا يوجد سوى اشتها
شهواني واحد ولو كان يوجد اشتها
آخر لما كان على وجه الأرض رجل
يتبع الحق فاحترسوا من تحقيق
بصركم في النساء وإن كنتم مجتمعين
معهن فاجعلوا اجتماعكم كأنكم غير
حاضرين معهم وإذا كلمتوهن
فاحترسوا على قلوبكم .

٤٢ - وقال بوذا الرجل العاقل
الحكيم لا يتزوج قط ويرى الحياة
الزوجية كأتون نار متأججة ومن
لم يقدر على المعيشة الرهبانية يجب
عليه الإبتعاد عن الزنى .

٤٣ - ومن جملة التعاليم البوذية
قولهم إذا أصاب الإنسان حزن

قيل للقديس لاتزن وأما أنا فأقول
لكم إن كل من ينظر إلى امرأة
ليشتهيها فقد زنى بها قلبه .

٤٢ - فحسن للرجل أن لا يمس
امرأة ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم
فليزوجوا لأن التزويج أصلح من
التحرق .

٤٣ - وفيما هو مجتاز رأى إنساناً
أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه

- ٤٢ - ريس دانس في كتابه المدعو البوذية ص ١٠٣ .
٤٣ - ريس دانس في كتابه المدعو البوذية ص ١٠٤ .
٤٢ - رسالة كورنثوس الأولى الإصحاح ٧
عدد ١ - ١٩ .
٤٣ - إنجيل يوحنا الإصحاح التاسع عدد ١ ، ٢ .

قائلين : يامعلم من الخطأ هذا
أم أبواه حتى ولد أعمى.

٤٤ - كان يسوع يعلم أفكار الناس
عندما يدير تصوراته نحوهم وأنه قادر
على معرفة أفكار المخلوقات كلها .
٤٥ - قال يسوع فإن كانت عينك
اليمين تعثرك فاقلعها وألقها عنك .

٤٦ - لما كان يسوع داخلا
أورشليم راكباً على حمار فرشت له
الجموع الطريق بأغصان النخيل .

٤٤ - إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع كلامه مع
المرأة السامرية .
٤٥ - إنجيل متى الإصحاح ٥ عدد ٢٩ .
٤٦ - إنجيل متى الإصحاح ٢١ عدد ١، ٩ .

وآلام ويؤس وقنوط فإن ذلك يدل
على أنه ارتكب آثاماً وهذه الآلام
جزاء عليها وإذا لم يكن ارتكب
شيئاً من حياته لا بد أن يكون قد ارتكبه
في أحد الأدوار السابقة من ظهوره
« أي في أحد أدوار تقمصه » .

٤٤ - كان بوذا يعلم أفكار الناس
عندما يدير تصوراته نحوهم ويقدر
على معرفة أفكار المخلوقات كلها .
٤٥ - وجاء في كتاب الصوماديفا
حكاية منسوبة لأحد القديسين
البوذيين أنه أفلح عينه ورمها لأنها
شككته .

٤٦ - لما عزم بوذا على التنسك
كان راكباً جواداً يدعى كتتاكو
فرشت الملائكة طريقه بالزهر .

٤٤ - هردي في كتابه المدعو خرافات البوذيين
ص ١٨ .
٤٥ - كتاب مولر المسمى العلوم الدينية ص ٥٤٢ .
٤٦ - هردي في كتابه المسمى خرافات البوذيين
ص ١٣ .

« وويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم »

حذر سبحانه من التبديل والتغيير والزيادة في الشرع فكل من بدل أو غير أو ابتدع في دين الله ما ليس منه ولا يجوز فيه فهو داخل في هذه الآية

﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (البقرة : ٧٩).

وفيها وعيد شديد وعذاب أليم لكل من صنع ذلك ونسبه إلى الله وقد حذر رسول الله ﷺ أمته لما قد علم ما يكون في آخر الزمان فقال : « ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » فحذرهم أن يحدثوا من تلقاء أنفسهم في الدين خلاف كتاب الله أو سنته أو سنة أصحابه فيضلوا به الناس .

وقد وصف الله تعالى ما يأخذونه بالقلّة إما لفنائه وعدم ثباته وإما لكونه حراماً لأن الحرام لا بركة فيه ولا يربو عند الله. قال ابن اسحاق وغيره كانت صفة رسول الله ﷺ في كتابهم ربّعه أسمر فجعلوه آدم سميّطاً طويلاً وقالوا لأصحابهم وأتباعهم : انظروا إلى صفة النبي ﷺ الذي يبعث في آخر الزمان ليس يشبهه نعت هذا . وكانت للأخبار والعلماء رئاسة ومكاسب فخافوا إن بينوا أن تذهب مآكلهم ورئاستهم فمن ثم غيروا .

حال الأناجيل الموجودة

الإنجيل معناه البشارة بالعبرية ، والأناجيل المعروفة لدى النصارى أربعة (متى ويوحنا ولوقا ومرقص) أما إنجيل برنابا فلا تعترف به الكنيسة وهذه الأناجيل تختلف فيما بينها وقد ألفها التلاميذ بعد رفع المسيح وهي تتسم بانقطاع السند وعدم العلم بالمؤلف الحقيقي والمترجم ولم تسلم من المسخ والتحريف بالزيادة والحذف وهذه الأربعة المذكورة هي التي أقرتها الكنيسة وإلا فالأناجيل تزيد على المائة ويعتبر إنجيل (متى) أقدمها وهو مترجم والأصل مفقود ثم هناك اختلاف في

إنجيل مرقص وهل هو بطرس أم مرقص الذي كان ينكر ألوهية عيسى ، أما بالنسبة لـ لوقا فقد كان من تلاميذ بولس وكان بولس يهودياً متعصباً على المسيحية وأباح لهم أكل الميتة وشرب الخمر ويأتي بعده يوحنا الذي تعتمد الكنيسة في معتقدها عليه مع علمها اليقيني بعدم صحة نسبة هذا الإنجيل إليه .

وهذه الأناجيل جميعاً تختلف عن الإنجيل المنزل على عيسى صلوات الله وسلامه عليه ولم يذكر نسب المسيح إلا في الإنجيلين (متى ولوقا) فقد انفردا بذكر النسب واختلفا اختلافاً كبيراً في نسبه بل والتناقض بينهما واضحاً لا يمكن معه التوفيق فنسبه في لوقا ينتهي إلى يهود بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم وكذلك متى وفي لوقا من أولاد ناثان بن داود وأن آباء المسيح غير سلاطين وغير مشهورين وفي متى من أولاد سليمان وأن آباء المسيح سلاطين مشهورين !!! .

فالقوم يكتبون بلا تحقيق ويؤمنون بلا تثبت ويصدقون بكل ما يلقى عليهم من رؤساء الدين في الكتاب المقدس وغيره وإن شئت قلت هم قوم بلا إسناد فلا سند متصل صحيح عندهم فكيف يوثق بأخبارهم ومن المعلوم أن الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء كما قال ابن المبارك رحمه الله لما قيل له : ما بال هذه الأحاديث الموضوعة. قال تعيش لها الجهابذة .

إنجيل برنابا

وهو أقربها إلى الحق والصواب وقد جاء فيه ما يلي : « ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم ، صدقوني إنني رأيته وقدمت له الإحترام كما رآه كل نبي لأن الله يعطيهم من روحه نبوة ولما رأيته امتلأت عزاء قائلاً : يا محمد ليكن الله معك وليجعلني أهلاً أن أحل سيرَ حذائك لأنني إن نلت هذا صرتُ نبياً عظيماً وقدوس الله ،

وجاء في إنجيل « يوحنا » وهو من الأناجيل المعتمدة عند النصارى لفظ فارقليط وهو معرب من اللفظ اليوناني الأصل « باركلي طوسن » ومعناه « المعزّي ، والمعين والوكيل » ويشابهه لفظ « بير كلوطوس » ومعناه « محمد وأحمد ومحمود » .
 يري صاحب كتاب « إظهار الحق » العلامة « رحمة الله الهندي » :
 (أنه من الواضح أن التفاوت بين اللفظين يسير جداً وأن الحروف اليونانية كانت متشابهة وأن تصحيف بيركلوطوس إلى « باركلي طوس » من الكاتب في بعض النسخ قريب القياس ثم رجح أهل التثليث هذه النسخة على النسخ الأخرى)
 وأهل التثليث هم النصارى الذين يقولون : إن الله هو الآب والإبن عيسى وروح القدس (جبريل) وقد حكى القرآن الكريم قولهم حين قال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ (سورة المائدة : ٧٣) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهكذا فأتت ترى أن لفظ « المعزّي أو فارقليط » المذكور في الأناجيل المعتمدة عندهم هو التبشير باسمه « محمد » أو « أحمد » وهذه البشارة هي المذكورة حكاية عن المسيح في قوله جل وعلا : ﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد ﴾ (الصف : ٦)

كنت في المطبعة يوماً في السبعينات وتقابلت هناك مع رجل يُدعي « بسة » يطبع كتباً للكنيسة ودار حوار بيننا فقلت له : بشارة النبي ﷺ باسمه الصريح المذكورة في إنجيل برنابا فرد عليّ قائلاً : برنابا كان زانياً ولذلك طردته الكنيسة !! فانتهى الحوار وانصرفنا .

«اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله»

روى الترمذي عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال : « ما هذا يا عدي ، اطرحه عنك هذا الوثن » وسمعتة يقرأ في سورة براءة قوله تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ﴾ (سورة التوبة : ٣١) ثم قال : « أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه » قال : هذا حديث غريب ، وأخرج ابن سعد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ في سورة براءة في قوله تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ فقال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه » وأخرجه أيضاً أحمد وابن جرير ، وقد سئل حذيفة عن هذه الآية هل عبدوهم ؟ فقال : لا ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه .

والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى أو الأحبار العلماء والرهبان العباد وكان عبد الله بن المبارك يقول :

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها .

وينبغي التفريق بين من تابع في الإعتقاد وبين من تابع في العمل كما ذكر ابن تيمية فمن اعتقد حل الخمر مع معرفته بأن الله حرمها يكفر بعكس من شربها معتقداً حرمتها لضعف إيمانه مع إقراره على نفسه بالذنب فهذا يفسق وله حكم أهل الذنوب والمعاصي .

مجمع قسطنطين وقانون الإيمان

كان هذا المجمع في نيقية سنة ٣٢٥ م في عشرين من مايو وقد عُقد بأمر الإمبراطور الروماني قسطنطين وقد حضره بنفسه وحشره البطارقة والأساقفة من سائر الآفاق للإتفاق على عقيدة واحدة حتى اجتمع منهم ألفان وثمانية وأربعون أسقفًا وكانوا مختلفي الآراء متبايني الأهواء فكثرت لغتهم.

ولم يتفق منهم إلا ٣١٨ أسقفًا على رأي، وناظروا فيه بقية الأساقفة وظهروا عليهم وكان السبب في عقد هذا المجمع قول أريوس (أن يسوع المسيح ليس أزلياً وإنما هو مخلوق من الأب وأن الإبن ليس مساوياً للأب في الجوهر) وقرر المجمع تحريم بدعة أريوس وخرق كتبه وقد فصل المجمع أيضاً في مشكلة تحديد اليوم الذي يقع فيه عيد الفصح أي يوم القيامة وفي مشكلة معمودية الهراطقة (المبتدعة) العائدين إلى المسيحية وفي غير ذلك من المسائل وقد عقد الملك لهؤلاء الأساقفة مجلساً خاصاً جلس في وسطه ودفع إليهم خاتمه وسيفه وقضيبه وقال لهم : سلطتكم على المملكة فاصنعوا ما فيه قوام دينكم وصلاح أمتكم فباركوه عليه وقلدوه سيفه وقالوا له : أظهر دين النصرانية وذبح عنه ودفعوا إليه الأمانة التي اتفقوا على وضعها فلا يكون عندهم نصراني من لم يقر بها ولا يتم قربان إلا بها وهذه الأمانة يسميها النصارى الآن

« قانون الإيمان » ونصها مايلي :

« نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء صانع مايري ومالا ييري وبالرب الواحد يسوع بن الله الواحد بكر الخلاق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنساناً وحمل به ثم ولد من مريم البتول وأولم وأوجع وقتل وصلب ودفن وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد

للمجى مرة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه روح محيية وبعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية جايلتقية وبقيامة أبداننا والحياة الدائمة أبد الأبدين « فصرحوا فيها بأن المسيح رب وأنه ابن إله وإنه بكره ليس له ولد غيره وأنه ليس بمصنوع أي ليس بعبد مخلوق بل هو رب خالق وأنه إله حق استل وولد من إله حق وأنه مساو لأبيه في الجوهر وأنه بيده أتقنت العوالم وهذه اليد التي أتقنت العوالم بها عندهم هي التي ذاقت حر المسامير كما صرحوا به في كتبهم ثم تعددت مجامعهم وفي كل مرة يعلنون تمسكهم بهذه العقيدة ويزيدون عليها ضلالات ويلعنون ويكفرون كل من خرج عليها من أساقفتهم .

ففي عام ٤٥٠ م قرر مؤتمر الكنيسة البزنطية تحت رعاية الإمبراطور بولشير المنعقد بمدينة خلكيدون بأسيا الصغرى اعتبار نسطور وجماعته خارجين عن الجماعة المسيحية المؤمنة ومستحقين لللعنة الرب والمسيح بسبب أنهم أنكروا وجود ثلاث ذوات مستقلة وقالوا إن هذه الألفاظ : الله والكلمة والروح القدس ترجع مدلولاتها إلى شىء واحد ولا تدل على ذوات ثلاث في واقع الأمر بل الله هو الذات الواحدة وهو وحده أصل العالم وكلمته على معنى علمه والروح القدس على معنى القوة المدبرة حالان أو اعتباران لذاته » .

وفي المجمع التاسع وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية وبترك أنطاكية ولم يكن لبيت المقدس والإسكندرية بترك لعنوا من تقدم من القديسين الذين خالفوهم وسموهم واحداً واحداً وهم جماعة ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة ولما لعنوا هؤلاء جلسوا فخلصوا الأمانة المستقيمة بزعمهم فقالوا : « نؤمن بأن الواحد من اللاهوت الإبن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم المستوي مع الآب الإله في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعالين ومشيتتين في أنفوس واحد ووجه واحد يُعرف تاما بلاهوته تاما بناسوته وشهدت كما شهد مجمع الخيلقدونية

على ماسبق أن الإله الإبن في آخر الأيام اتحد مع العذراء السيدة مريم القديسة جسداً إنساناً بنفسين وذلك برحمة الله تعالى محب البشر ولم يلحقه اختلاط ولا فساد ولا فرقة ولا فصل ولكن هو واحد يعمل بما يشبه الإنسان أن يعمل في طبيعته وما يشبه الإله يعمل في طبيعته الذي هو الإبن الوحيد والكلمة الأزلية المتجسدة إلى أن صارت في الحقيقة لحمًا كما يقول الإنجيل المقدس من غير أن تنتقل عن محلها الأزلي وليست بمتغيرة ولكنها بفعلين ومشيتين وطبيعتين إلهي وإنسي الذي بهما يكون القول الحق وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتهما مشيتين غير متضادين ولا متضارعتين ولكن مع المشيئة الإنسية في المشيئة الإلهية القادرة على كل شيء» .

ثم كان لهم « مجمع عاشر » لما مات ملك قسطنطينية وولي بعده ابنه واجتمع فريق المجمع السادس وزعموا أن اجتماعهم كان على الباطل فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفًا فثبتوا قول المجمع السادس ولعنوا من لعنهم وخالفهم واثبتوا قول المجمع الخمسة ولعنوا من لعنوا وانصرفوا فانقرضت هذه المجمع والحشود وهم علماء النصارى وقدماءهم وناقلوا الدين إلى المتأخرين وإليهم يستند من بعدهم . وقد اشتملت هذه المجمع العشرة المشهورة على زهاء أربعة عشر ألفاً من الأساقفة والبتاركة والرهبان كلهم يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً فدينهم إنما قام على اللعنة بشهادة بعضهم على بعض وكل منهم لاعن ملعون .

المسيح لم يفوضهم في التشريع

هم يقرون أن المسيح قال : « إنما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبلي وما جئت ناقضاً بل متمماً ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى ومن نقض شيئاً من ذلك يُدعى ناقضاً في ملكوت السماء»^(١) وقال لأصحابه : « اعملوا بما رأيتُموني أعمل وارضوا من الناس بما أرضيتكم به

١- الإصحاح الخامس من متي الآية (١٧) وما بعدها

ووصوا الناس بما وصيتكم به وكونوا معهم كما كنت معكم وكونوا لهم كما كنت لكم»^(١) وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريباً من ثلاثمائة سنة كما يذكر الإمام ابن القيم رحمه الله ثم أخذ القوم في التغيير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهون ومكايده اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والإنسلاخ منه جملة فرأوا اليهود قد قالوا في المسيح : إنه ساحر مجنون ممخرق ولد زنية فقالوا : هو إله تام وهو ابن الله !! ورأوا اليهود يختنون فتركوا الختان ! ورأوهم يبالغون في الطهارة فتركوها جملة ، ورأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض وملاستها ومخالطتها جملة فجامعوها !! ورأوهم يحرمون الخنزير فأباحوه وجعلوه شعار دينهم ورأوهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا مادون الفيل إلى البعوضة وقالوا : كل ماشئت ودع ماشئت لآحرج ورأوهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة فاستقبلوا هم الشرق ورأوهم يحرمون على الله نسخ للشريعة شرعها فجوزوا هم لأساقفتهم وبتارتكهم أن ينسخوا ماشاءوا ويحللوا ماشاءوا ويحرموا ماشاءوا ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموا هم الأحد وأحلوا السبت مع إقرارهم بأن المسيح كان يعظم السبت ويحفظه ورأوهم ينفرون من الصليب فإن في التوراة « ملعون من تعلق بالصليب »^(٢) والنصارى تقر بهذا فعبدوا هم الصليب وهكذا ذهبت النصارى تنقض شريعة موسى وعيسى شريعة مكايده لليهود ومغايرة لهم واحتيالاً بذلك على الأم ليحببهم إلى دين المسيح ويدخلوهم فيه وكانوا كلما أرادوا إحداث شئ اجتمعوا مجتمعاً وافترقوا فيه على ما يريدون أحداثه !!

صناديق الغفران

ليس عند النصارى علي من زنا أو لاط أو سكر حد في الدنيا أبداً ولا عذاب في الآخرة لأن القس والراهب يغفره لهم فكلما أذنب أحدهم ذنباً أهدي للقس هدية أو أعطاه شيئاً ليغفر له به !! وإذا زنت امرأة أحدهم بيتها عند القس ليطيبها له فإذا

٢- سفر التثنية الإصحاح (٢١) الآية (٢٣).

١- الإصحاح الثالث والعشرون من متي .

انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيها قبل ذلك منها وتبرك به !!
مَنْ يطيب من ، ومن يطهر من ؟! وأين هذا من قوله سبحانه : ﴿ وإذا سألك
عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم
يرشدون ﴾ (البقرة : ١٨٦) وقوله تعالى : ﴿ نبيّ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن
عذابى هو العذاب الأليم ﴾ (الحجر : ٤٩ ، ٥٠) .

وقوله عز وجل : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾
(آل عمران : ١٣٥) .

فالتوبة النصوح يشترط فيها الندم على ماضى والعزم على عدم العودة فيه
مرة ثانية والإقلاع بالجوارح عن كل ما يغضب الله ورد الحقوق لأصحابها إن تعلق
المظلمة بالآدميين .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾ (التحريم : ٨) .

أول من ابتدع اللاهوت والناسوت

في شأن المسيح هو بولس

وأول من ابتدع شارة الصليب قسطنطين

انتهى عصر دقيانوس وقصته مع أصحاب الكهف معلومة ثم قام بعده قيصر آخر
وفي زمنه جعل في انطاكية بتركا يسمى « بولس الشمشاطي » وهو أول من ابتدع في
شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصرارى قبله كلمتهم واحدة أنه عبد
رسول مخلوق مصنوع مربوب لا يختلف فيه اثنان منهم فقال بولس هذا - وهو أول
من افسد دين النصرارى - إن سيدنا المسيح خُلق من اللاهوت إنساناً كواحد منا في
جوهره وأن ابتداء الإبن من مريم وأنه اصطفى ليكون مخلصاً لجوهر الإنسي صحبتته
النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ولذلك سمي ابن الله وقال إن الله
جوهر واحد وأقنوم واحد .

« قال سعيد بن البطريق » : وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفاً في مدينة انطاكية ونظروا في مقالة « بولس » فأوجبوا عليه اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول بقوله وانصرفوا .

ثم ذكر سعيد بن البطريق ماكان من قسطنطين وكيف أنه كان مبغضاً للشر محباً للخير فلما سمع أهل رومية به وأن أهل مملكته معه في هدوء وسلام كتب رؤسائهم إليه يسألونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم فلما قرأ كتبهم اغتم غمّاً شديداً وبقي متحيراً لا يدري كيف يصنع .

قال سعيد بن البطريق : « فظهر له على مايزعم النصارى نصف النهار في السماء « صليب » من كوكب مكتوباً حوله « بهذا تغلب » فقال لأصحابه رأيتم ما رأيتم ؟ قالوا : نعم فأمن حينئذ بالنصرانية فتجهز لمحاربة قيصر المذكور وصنع صليباً من ذهب وصيره على رأس الجند وخرج بأصحابه فأعطى النصر على قيصر فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وهرب الملك ومن بقي من أصحابه فخرج أهل رومية إلى قسطنطين بالإكليل الذهب وبكل أنواع اللهو واللعب فتلقوه وفرحوا به فرحاً عظيماً فلما دخل المدينة أكرم النصارى وردهم إلى بلادهم بعد النفي والتشريد وأقام أهل رومية بضعة أيام يُعيدون للملك وللصليب ...وقد ذكر يوسابيوس القيصري في كتابه « حياة قسطنطين العظيم » ترجمة القمص مرقس داود مانصه : « أن الله أظهر لقسطنطين وهو يصلي هيئة صليب من نور في السماء في منتصف النهار وكتبت تحته عبارة تنصحه بأنه بهذا يغلب ثم ظهر له في نومه مسيح الله وأمره بأن يستعمل في حروبه علماً مصنوعاً على شكل صليب .

تعليق على اتخاذ النصارى للصليب

لاندرى كيف ساغ القوم أن يعظموا الصليب بل ويعبدوه بهذه الكيفية وقد ورد في التوراة « ملعون من تعلق بالصليب » وهم يقرون أن المسيح قال : « إنما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبلي وماجئت ناقضاً بل متمماً » وهل كان

أوائلهم وأصحاب عيسى على باطل وضلال ونقصان عندما لم يتخذوا الصليب وهل كان أمرهم ينتقصه مجئ قسطنطين بشارة الصليب؟! وهل يسوغ لهم مخالفة المسيح بفعل قسطنطين وغيره؟! وهل يصح ترك نصوص الإنجيل عندهم بما يراه قسطنطين يقظةً أو مناماً؟! وهل هم يقصرون هذا الأمر على قسطنطين. أم هو أمر مطرد عندهم؟! نحن لا ننتظر إجابة من النصارى فأمرهم أوضح من أن يخفى على من عنده شئ من الفطرة أو العقل البسيط فإن زعموا أن المسيح قُتل على الصليب قلنا : هذه مقدمة بحاجة لإثبات وبرهان ثم لو صحت - وهي غير صحيحة - فكيف تعظمون وتعبدون ما صُلب عليه إلهكم ومعبودكم؟! وهل يستطيع الإنسان أن ينظر للسكين التي ذبح بها ابنه؟! .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبساً علينا فنفضل واجعلنا للمتقين إماماً .

النصارى أشد الأهم اختلافاً في معبودها ونبياها ودينها

يقول الإمام ابن القيم^(١): « فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر ولو اجتمع عشرة منهم يتذكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث وعبادة الصليب وأن المسيح ابن مريم ليس بعبد صالح ولا نبي ولا رسول وأنه إله في الحقيقة وأنه هو خالق السموات والأرض والملائكة والنبين وأنه هو الذي أرسل الرسل وأظهر على أيديهم المعجزات والآيات وأن للعالم إلهاً هو آب والد لم يزل ، وأن ابنه نزل من السماء وتجسم من روح القدس ومن مريم وصار وهو ابنها الناسوتي إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً وخالقاً واحداً ورازقاً واحداً وحبلت به مريم وولدتها ، وأخذ وصلب وألم ومات ودفن وقام بعد ثلاثة أيام وصعد إلى السماء وجلس عن يمين

١- هداية الحيارى ٣٠٧ وما بعدها .

أبيه ، قالوا والذي ولدته مريم وعايته الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله فالقديم الأزلي خالق السموات والأرض هو الذي حبلت به مريم وأقام هناك تسعة أشهر وهو الذي ولد ورضع وفطم وأكل وشرب وتغوط وأخذ وصلب وشد بالحبال وسمرت يدها ثم اختلفوا : فقالت « اليعقوبية » إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين : إحداهما .. طبيعة الناسوت والأخرى طبيعة اللاهوت وأن هاتين الطبيعتين تركبتا فصار إنساناً واحداً وجوهرأ واحداً وشخصاً واحداً فهذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح وهو إله كله وإنسان كله وهو شخص واحد وطبيعة واحدة من طبيعتين وقالوا : إن مريم ولدت الله وأن الله سبحانه قبض وصلب وسمر ومات ودفن ثم عاش بعد ذلك . (١)

وقالت الملكية وهى الروم نسبة إلى دين الملك إن الإبن الأزلي الذي هو الكلمة تجسدت من مريم تجسداً كاملاً كسائر أجساد الناس وركبت في ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس وأنه صار إنساناً بالجسد والنفس الذين هما من جوهر الناس وإلها بجوهر اللاهوت كمثله أبوه لم يزل وهو إنسان بجوهر الناس مثل إبراهيم وموسى ودواود وهو شخص واحد لم يزد عدده ، وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل ، وصح له جوهر الناسوت الذي لبسه من مريم وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة فله بلاهوته مشيئة مثل الآب وله بناسوته مشيئة إبراهيم ودواود

وقالوا : إن مريم ولدت « المسيح » وهو اسم تجمع اللاهوت والناسوت وقالوا : إن الذي مات هو الذي ولدته مريم وهو الذي وقع عليه الصلب والتسمير والصفع والربط بالحبال واللاهوت لم يمت ولم يألَم ولم يدفن قالوا : وهو إله تام بجوهر لاهوته وإنسان تام بجوهر ناسوته وله المشيئتان : مشيئة اللاهوت ومشيئة الناسوت

١- وهذا مذهب النصارى الأرثوذكس وهؤلاء عناهم سبحانه بقوله : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ .

فأتوا بمثل ما أتى به اليعقوبية من أن مريم ولدت الإله إلا أنهم بزعمهم نزهوا الإله عن الموت وإذا تدبرت قولهم^(١) وجدته في الحقيقة هو قول اليعقوبية مع تنازعهم وتناقضهم فيه فاليعقوبية أطردهم لكفرهم لفظاً ومعنى .

وأما النسطورية فذهبوا إلى القول بأن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما إرادة واحدة واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصاناً ولا يمتزج بشيء والناسوت يقبل الزيادة والنقصان فكان المسيح بذلك إلهاً وإنساناً فهو الإله بجوهر اللاهوت الذي لا يقبل الزيادة والنقصان وهو إنسان بجوهر الناسوت الذي يقبل الزيادة والنقصان وقالوا : إن مريم ولدت المسيح بناسوته وإن اللاهوت لم يفارقه قط .

وكل هذه الفرق استنكفت أن يكون المسيح عبد لله وهو لم يستنكف من ذلك ورغبت به عن عبودية الله وهو لم يرغب عنها بل أعلى منازل العبودية عبودية الله ومحمد وإبراهيم خير منه وأعلى منزلتهما تكميل مراتب العبودية فالله رضيه أن يكون له عبداً فلم ترض المثلثة بذلك

وقالت « الأريوسية » منهم وهم أتباع أريوس : إن المسيح عبد الله كسائر الأنبياء والرسل .

وهو مربوب مخلوق مصنوع وكان النجاشي على هذا المذهب وإذا ظفرت المثلثة بواحد من هؤلاء قتلته شر قتلة وفعلوا به ما يفعل بمن سب المسيح وشتمه أعظم سب .

الفاتيكان يبرئ اليهود من دم المسيح !!

من المعلوم أن اليهود هم شيوخ النصارى في نقل الصلب وأمره ، وإلا فهذا الحدث لم يحضره أحد من النصارى وإنما زعمه اليهود وقالوا : قتلناه وصلبناه وأخبار النصارى وأخبار اليهود عن المسيح لا يلتفت إليها لإختلافهم في شأنه أشد

١- وهذا قول النصارى الكاثوليك .

الإختلاف وعدم تيقنهم لجميع أمره ، ولذلك قلنا للنصارى فإن صدقتم اليهود في الصلب فصدقوهم في سائر مذكروه ، وإن كذبتموهم فيما نقلوه عنه فما الموجب لتصديقهم في الصلب وتكذيب أصدق الصادقين الذي قامت البراهين القطعية على صدقه أنهم ماقتلوه وماصلبوه ، بل صانه الله وحماه وحفظه وكان أكرم على الله وأوجه عنده من أن يبتليه بما تقولون أنتم واليهود .

والنصرانية تقوم على عقيدة الصلب والفداء ولاندرى ماهى حالة القوم وماهى عقيدتهم بعد أن استصدر اليهود وثيقة من الفاتيكان في روما تبرئ ساحتهم من قتل المسيح؟! وهل سيُتهم الفاتيكان بالعمالة لليهود؟! وهل التأخي معهم من الممكن أن يأتي على حساب العقيدة في أساسها وصلبها وموقف الأرثوذكس وغيرهم من طوائف النصارى من فعلة الفاتيكان الكاثوليكي؟

ومن قتل المسيح إذن في اعتقاد الكاثوليك والفاتيكان وهل هم مازالوا نصارى؟

عموماً نحن كمسلمين نؤمن أن المسيح لم يُقتل قال تعالى :

﴿ وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ﴾ (النساء : ١٥٧) .

وأن الله تعالى ألقى شبه المسيح على يهوذا الخائن فقتله اليهود ظانين أنهم قتلوا

المسيح قال تعالى : ﴿ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (النساء : ١٥٨)

وهو الآن في السماء ينتظر الإذن بالتزول فينزل قرب قيام الساعة يكسر الصليب

ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويحكم بحكم الإسلام وهو ماسنينه فيما بعد بالتفصيل

بإذن الله .

لاتغلو في دينكم غير الحق

الغلو هنا مجاوزة الحد ، وقد ورد التحذير منه في أكثر من موضع من كتاب الله قال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب لاتغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ (المائدة : ٧٧) .

وقال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لاتغلو في دينكم لاتقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله لاتقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ﴾ (النساء : ١٧١) .

ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم وغلو النصارى فيه حتى جعلوه رباً فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر ولذلك قال مطرف ابن عبد الله : الحسنه بين سيئين .

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ « لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى وقولوا عبد الله ورسوله » .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا على الله إلا الحق ﴾ أي لاتقولوا إن له شريكاً أو ابناً ثم بين تعالى حال عيسى عليه السلام وصفته فقال تعالى : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ﴾ .

ولم يذكر سبحانه امرأة وسماها باسمها في كتابه إلا مريم ابنة عمران فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين موضعاً لحكمة ذكرها بعض الأشياخ فإن الملوك والأشراف لا يذكرون في حرائرهم في الملأ ولا يبتذلون أسماءهن بل يكونون عن الزوجة بالعريس والأهل والعيال ونحو ذلك فإن ذكروا الإمام لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها .

فلما قالت النصارى في مريم ما قالت وفي ابنها صرح الله باسمها ولم يكن عنها بالأئمة والعبودية التي هي صفة لها وأجري الكلام على عادة العرب في ذكر إمامتها

ثم اعتقاد أن عيسى عليه السلام لا أب له واجب فإذا تكرر اسمه منسوباً للأمم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاد هـ من نفي الأب عنه وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله وقوله تعالى : ﴿ وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾ أي هو مكوّن بكلمة ﴿ كن ﴾ فكان بشراً من غير أب والعرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان صادراً عنه وقيل ﴿ كلمته ﴾ بشارة الله تعالى مريم ورسالته إليها على لسان جبريل وذلك قوله ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يشرك بكلمة منه ﴾ (آل عمران : ٤٥) أو أن الكلمة ههنا بمعنى الآية ، قال الله تعالى : ﴿ وصدقت بكلمات ربها ﴾ (التحريم : ١٢) و ﴿ مانفدت كلمات الله ﴾ (لقمان : ٢٧).

وكان لعيسى أربعة أسماء ، المسيح وعيسى وكلمة وروح . قوله تعالى : ﴿ وروح منه ﴾ هذا الذي أوقع النصارى في الإضلال فقالوا : عيسى جزء منه فجهلوا وضلوا وعنه أجوبة :

الأول : قال أبي بن كعب : خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق ثم ردها إلى صلب آدم وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم فكان منه عيسى عليه السلام فلهذا قال ﴿ روح منه ﴾ .
وقيل : هذه الإضافة للتفضيل وإن كان جميع الأرواح من خلقه وهذا كقوله تعالى : ﴿ وطهر بيتي للطائفين ﴾ (الحج : ٢٦) .

وقيل : قد يسمى من تظهر منه الأشياء العجيبة روحاً وتضاف إلى الله تعالى فيقال : هذا روح من الله أي من خلقه كما يقال في النعمة إنها من الله وكان عيسى يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى فاستحق هذا الاسم .

وقيل : يسمى روحاً بسبب نفخة جبريل عليه السلام ويسمى النفخ روحاً لأنه ريح يخرج من الروح وقد ورد أن جبريل نفخ في درع مريم فحملت منه بإذن الله **وقيل :** ﴿ روح منه ﴾ أي من خلقه كما قال تعالى : ﴿ وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه ﴾ (الجاثية : ١٣) أي من خلقه .

وقيل ﴿ روح منه ﴾ أي رحمة منه فكان عيسى رحمة من الله لمن اتبعه.

وقيل ﴿ وروح منه ﴾ أي برهان منه وكان عيسى برهاناً وحجة على قومه .

وفي الحديث عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » . أخرجاه في الصحيحين .

قال النووي : هذا حديث عظيم جليل الموقع وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج عن ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها فاقصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يبين به جميعهم أ . هـ .

ومعنى لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا إله واحد وهو الله وحده لا شريك له كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (الأنبياء : ٢٥) وقوله جل وعلا : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (النحل : ٣٦) .

فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ماسوى الله ليس بإله وأن إلهية ماسواه أبطل الباطل وإثباتها أظلم الظلم فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الإلهية لغيره فتضمنت نفي الإلهية عما سواه وإثباتها له وحده لا شريك له وذلك يستلزم الأمر باتخاذها إلهاً وحده والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله بالحب والخضوع والإنقياد له وحده لا شريك له فيجب إفراد الله تعالى بها كالدعاء والخوف والمحبة والتوكل والإنابة والتوبة والذبح والنذر والسجود وجميع أنواع العبادة فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له فمن صرف شيئاً مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله فهو مشرك ولو نطق بلا لا إله إلا الله إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص .

«إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم»

إن الله قادر على كل شيء لا يعجزه شيء قال تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ (يس : ٨٣) وقال سبحانه وتعالى: ﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً﴾ (الشوري : ٤٩).

وخلق عيسى من أم بلا أب ليس أدل في القدرة من خلق آدم فقد خلقه سبحانه من تراب وفي الحديث: «خلق آدم مما وصف لكم» أي من لا أم ولا أب والناظر في ملكوت السموات والأرض يجد من عجائب القدرة والتدبير مايزداد به إيمانه ويقينه

وفي كل شيء له آية **تدل علي أنه الواحد.**

فالإجابة عن خلق آدم وحواء ويحيى بن زكريا تصلح إجابة لسؤالهم عن خلق المسيح وكلها تنفي عنه صفة البنوة أو الألوهية أو أنه ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وفي الأناجيل التي بين أيدي النصارى ما يكذب دعوى ربوبيته وألوهيته ويصرح بأنه نبي بشر ومن ذلك قوله:

« إن الله مسخني وأرسلني وأنا عبد الله وإنما أعبد الله الواحد ليوم الخلاص »

لوقا : ١٨

وفي انجيل لوقا أيضاً : « لم يقتل أحد من الأنبياء في وطنه فكيف تقتلونني » وقال : « ما أبعدني وأتعبني إن أحدثت شيئاً من قبل نفسي ولكن أتكلم وأجيب بما علمني ربي » يوحنا ٧ : ١٦ وقال :

« لست أدين العباد بأعمالهم ولا أحاسبهم بأعمالهم ولكن الذي أرسلني هو الذي يلي ذلك منهم » يوحنا ٥ : ٣٠ وفيه أن المسيح قال : « يارب قد علموا إنك قد أرسلتني وقد ذكرت لهم اسمك » يوحنا ١٧ : ٦-١ وقال : « إنني لم أجيء لأعمل بمشيئة نفسي ولكن بمشيئة من أرسلني » يوحنا ٧ : ١٦

وقال : « إن الله ربي وربكم وإلهي وإلهكم » يوحنا ٢٠ : ١٧ .

وقال في دعائه : « إن الحياة الدائمة إنما تجب للناس بأن يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق وأنت أرسلت يسوع المسيح » وهذه حقيقة شهادة المسلمين أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وقال في دعائه : لما سأل ربه أن يحيي الميت « أنا أشكرك وأحمدك لأنك تجيب دعائي في هذا الوقت وفي كل وقت فأسألك أن تحي هذا الميت ليعلم بنوا إسرائيل أنك أرسلتني وأنت تجيب دعائي » يوحنا ١١ : ٤١ وما بعدها .
فهل يضير المسيح صلوات الله وسلامه عليه بعد ذلك شرك من أشرك وكفر من كفر ؟!

بل هو واحد ، وواحد ، وواحد

قام المدرس أمام التلاميذ يصلي فصلب على وجهه ثم قال بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد فردت عليه الطفلة الصغيرة مستغربة : بل هو واحد وواحد وواحد .

إن النصارى عندما خالفوا المسيح والإنجيل المنزل عليه ناقضوا العقل والفطرة في آن واحد ترى ذلك في كل شئ ففي الصلاة مثلاً - وصلاتهم استهزاء بالمعبود - يقوم أعبدهم وأزهدهم إليها والبول على ساقه وأفخذه فيستقبل الشرق ثم يصلب على وجهه ويعبد الإله المصلوب ويستفتح الصلاة بقوله :

« أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكون مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين »^(١) ثم يحدث من هو إلى جانبه وربما سأل عن سعر الخمر والخنزير و عما كسب في القمار و عما طبخ في بيته وربما أحدث وهو في صلته ويقولون في صلواتهم ومناجاتهم « أنت أيها المسيح اليسوع تحيينا وترزقنا وتخلق

١- متي ٦ : ٩-١٣ .

أولادنا وتقييم أجسادنا وتبعثنا وتجازينا « فهذه الصلاة لا يرضاها المخلوق لنفسه فضلاً أن يرضى بها الخالق .

يقول الإمام ابن القيم : « فالعاقِل إذا وازن بين ما اختاروه ورغبوا فيه وبين ما رغبوا عنه تبين له أن القوم اختاروا الضلالة على الهدى والغبي على الرشاد والقبيح على الحسن والباطل على الحق وأنهم اختاروا من العقائد أبطلها ومن الأعمال أقبحها وأطبق على ذلك أساقفهم وبتاركهم ورهبانهم فضلاً عن عوامهم وسقطهم ولم يقل أحد من المسلمين أن ما ذكرتم من صغير وكبير وذكر وأنثى وحر وعبد وراهب وقسيس كلهم تبين له الهدى بل أكثرهم جهال بمنزلة الدواب السائمة معرضون عن طلب الهدى فضلاً عن تبيينه لهم وهم مقلدون لرؤسائهم وكبرائهم وعلمائهم وهو أقل القليل وهم الذين اختاروا الكفر على الإيمان بعد تبين الهدى .

قال : وأي إشكال يقع للعقل في ذلك ؟ ولم يزل في الناس من يختار الباطل ومنهم من يختار جهلاً وتقليداً لمن يحسن الظن به ومنهم من يختاره مع علمه ببطلانه كبراً وعلواً ومنهم من يختاره طمعاً ورغبة في مآكل أو جاه أو رياسة ، ومنهم من يختاره حسداً وبغياً ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقاً ومنهم من يختاره خشية ومنهم من يختاره راحة ودعة فلم تنحصر أسباب اختيار الكفر في حب الرياسة والمأكلة أ . ه .

كيف يتواجد في القرن العشرين من يعتقد مثل هذا ؟!

اعتقادات قائمة على سب الله وشمته والشرك به سبحانه واعتقادات ينتزه عنها الصبيان بل يستغربها حتى عبّاد البقر فكيف يقبلها عاقل سلمت فطرته وأخلص لله نيته ، كيف يُقبل الناس في القرن العشرين عصر الحضارة والتطور والعلم والمدنية كما يقولون على اعتقاد أن رب السموات والأرض تبارك وتعالى نزل عن كرسي عظمتة وعرشه ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط وتحيض فالتحم بطنها وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو ودم طمث وبول ثم خرج إلى الدنيا ينام

على السرير كلما بكى ألقمته أمه ثديها ثم انتقل إلى المكتب بين الصبيان ثم آل أمره إلى لطم اليهود خديه وصفعهم قفاه وبصقهم في وجهه ووضعهم تاجاً من الشوك على رأسه والقصة في يده إستخفافاً به وإنتهاكاً لحرمة ثم قربوه من مركب خص بالبلاء راكبه فشدوه عليه وربطوه بالحبال وسمروا يديه ورجليه وهو يصيح ويبيكي ويستغيث من حر الحديد وألم الصلب ، كما يقول النصارى الأرثوذكس وغيرهم وهذا هو الذي خلق السموات والأرض وقسم الأرزاق والآجال ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن يمكن أعدائه من نفسه لينالوا منه ما نالوا فيستحقوا بذلك العذاب والسجن في الجحيم ويفدي أنبياءه ورسله وأولياءه بنفسه فيخرجهم من سجن إبليس فإن روح آدم و ابراهيم ونوح وسائر النبيين عندهم كانت في سجن إبليس في النار حتى خلصها من سجنه بتمكينه أعدائه من صلبه وهذا اعتقاد جميع النصارى .

وأما قولهم في مريم فإنهم يقولون إنها أم المسيح ابن الله في الحقيقة وولدت في الحقيقة لا أم لابن الله إلا هي ولا والدة له غيرها ولا أب لابنها إلا الله ولا ولد له سواه وإن الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها ولكن اختصت عن النساء بأنها حبلت بابن الله وولدت ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره ولا والد له سواه وإنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها وابنها عن يمينه والنصارى يقولون في دعائهم :

« ياوالدة الإله اشفعي لنا » وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين ويسألونها مايسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة ويعتبرها الأرثوذكس والكاثوليك « إله » لأنها في زعمهم « أم الإله » .

ولعل هذا هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ أَنْتَ قَلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ

من دون الله ﴿؟﴾ . (المائدة : ١١٦) .

وقد وضع مجمع أفسس سنة ٤٣١ م مقدمة لقانون الإيمان هذا نصها :
« نعظمك يَا مَنُ النور الحقيقي ونمجِّدك أيتها العذراء المقدسة والدة الإله لأنك
ولدت لنا مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا المجد لك ياسيدنا وملكننا المسيح فخر
الرسول ، أكليل الشهداء تهليل الصديقين ثبات الكنائس غفران الخطايا نبشر
بالثالوث المقدس لاهوت واحد نسجد له ونمجده يارب ارحم ، يارب ارحم ، يارب
بارك آمين » أ. هـ . (العذراء في التاريخ الكنسي) .

سبحانك سبحانك ما أعظم شأنك

يقول سبحانه وتعالى : ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ (طه : ٨)
وقال : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾
(الأعراف : ١٨٠)

وقال جل وعلا : ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾

وقال : ﴿لاتدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ (الأنعام : ١٠٣) .

ولا ندري كيف ضلت العقول وزاغت القلوب وسفهت النفوس عندما وصفت
النصارى ربها بذلك وهو تعالى المختص بصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال
الذي ما وسعته سمواته ولا أرضه وكرسيه وسع السموات والأرض .

فكيف وسعه فرج إمراة تعالى الله عما يقول الجاحدون والكافرون علواً كبيراً

وكلهم متفقون على أن المسيح كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وينام .

من كان المسك للسموات والأرض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة

الصليب وقد شدت يده ورجلاه بالحبال وسمرت اليد التي أتقنت العوالم .

فهل بقيت السموات والأرض خلواً من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا

الأمر العظيم؟! هل استخلف على تدبيرها غيره وهبط عن عرشه لربط نفسه على

خشبة الصليب وليذوق حر المسامير وليوجب اللعنة على نفسه حيث قال في التوراة

« ملعون من تعلق بالصليب »، ؟

أم تقولون : كان هو المدير لها في تلك الحال فكيف وقد مات ودفن؟ وما الذي دلکم على إلهية المسيح؟ هل قبض اليهود عليه وسوقه إلى خشبة الصليب على رأسه تاج من الشوك وهم يبصقون في وجهه ويصفعونه ثم فاضت نفسه وأودع ضريحه أم لكونه لم يولد من البشر؟ فإذا صح استدلالكم هذا فاعتبروا آدم إلهاً لأنه لا أم له ولا أب واعتبروا حواء إلهاً لأنها لا أم لها وهي أعجب من خلق المسيح .

وإن قلتم كان المسيح إلهاً لكونه أحيا الموتى وظهرت على يديه العجائب وأطعم من الأرغفة اليسيرة آلافاً من الناس وصاح بالبحر فسكنت أمواجه فاعتبروا موسى إلهاً أيضاً لأن مثل ذلك جرى على يديه فعصاه صارت حية تسعى وضرب البحر بعصاه فانفلق اثني عشر طريقاً وقام الماء بين الطرق كالحيطان وأطعم أمته أربعين سنة من المن والسلوى .

وآيات رسول الله ﷺ أعجب من ذلك فهل اعترفتم وأقررتم بنبوته ورسالته؟! ثم اعلّموا أن كل من ادعى الإلهية من دون الله فهو من أعظم أعداء الله كفرعون وغرود فهل ادعى ذلك المسيح حاشاه من ذلك قال تعالى : ﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ﴾ ولا يبقى إلا أنكم ادعيتم ذلك ونسبتموه له مخالفين بذلك الأناجيل التي بين أيديكم كلها ومعاندين لمقتضى العقل والفطرة .

استدلّهم بكلمة الآب والرب والاله والسيد على إلهية المسيح

جميع ما استدل به النصارى على إلهية المسيح من ألفاظ وكلمات في الكتب فإنها مشتركة بين المسيح وغيره كتسميته أباً وكلمة وروح حق وإلهاً وكذلك ما أطلق من حلول روح القدس فيه وظهور الرب فيه أو في مكانه فإن جاز الاستدلال بذلك على إلهية المسيح فاستدلوا بها أيضاً على ألوهية غيره .

وكما قالوا : ما احتج صاحب بدعة على بدعته بدليل إلا وكان في الدليل ما يرد عليه ويدحض بدعته .

ومن أمثلة ذلك استدلالهم بقول المسيح « إني ذاهب إلى أبي » يوحنا ٢٠-١٧
« وإني سائل أبي » يوحنا ١٧-٩ فسمى نفسه ابن الله واستتجوا هم أن ابن الإله إله.
قلنا لهم المقدمة فاسدة والنتيجة أفسد وإلا فاجعلوا أنفسكم كلكم آلهة ففي الأناجيل
التي بين أيديكم قول المسيح « أذهب إلى أبي وأبيكم » يوحنا ٢٠-١٧ وفيها
« لاتدعوا لكم أباً على الأرض فإن أباكم واحد الذي في السماء » متى ٢٣-٨
وقوله : « أبي وأبوكم الذي في السموات » وهذا كثير في الإنجيل وهو يدل على أن
الأب عندهم الرب ، ثم أناجيلكم التي بين أيديكم كلها صريحة أظهر صراحة بأن
تلاميذ المسيح كمتى ولو قامادعوا له إلا ماداعاه لنفسه من أنه عبد .
ومن أمثلة ذلك : « هذا عبدي الذي اصطفيته وحببي الذي ارتاحت نفسي له »
متى ١٢-٧١ .

وصعود المسيح إلى السماء لا يخرج عن العبودية كصعود إلياس وادريس
ورسول الله ﷺ بل وصعود الملائكة وأرواح المؤمنين بعده فارقتها الأبدان
وتسمية الأنبياء له إلهاً ورباً وسيداً ونحو ذلك فلم يزل كثير من أسماء الله عز وجل
تقع على غيره عند جميع الأمم وفي سائر الكتب كتسمية النبي ﷺ بالرؤوف الرحيم
كما سمي نفسه سبحانه بذلك ويقال رب المنزل ورب الإبل .
وقد قال أشعياء : « عرف الثور من اقتناه والحمار مربوط ربه ولم يعرف بنو
إسرائيل » الإصحاح الأول .

وفي السفر الثاني من التوراة في قصة الخروج من مصر : « إني جعلت إلهاً
لفرعون » وفي المزمور الثاني والثمانين لداود « لقد ظننت أنكم آلهة وأنكم أبناء الله
كلكم » واستدلالهم بقول دانيال « يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأمم »
قالوا : ومن يطبق تخليص الأمم غير الإله التام قيل لكم : فاجعلوا جميع الرسل
آلهة فإنهم خلصوا الأمم من الكفر والشرك وخلصوهم من النار بإذن الله وحده فإن
وجبت بذلك الإلهية لعيسى وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

أحق بها منه والإبن الذي يقوم لداود ويسمى بالإله فهو لمخلوق مصنوع مولود
لرب العالمين وخالق السموات والأراضين .

وكذلك مافي التوراة : « جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من
جبال فاران » فهذا لا يدل على أن موسى ومحمداً إلهان والمراد بهذا مجيئ دينه
وكتابه وشرعه وهداه ونوره .

وكذلك قول زكريا في نبوته : « ترغمي وافرحي يابنت صهيون لأنني آتيك وأحل
فيك وأترأى وتؤمن بالله في ذلك اليوم الأمم الكثيرة ويكونون له شعباً واحداً ويحل
هو فيهم ويعرفون أنني أنا الله القوي الساكن فيك ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك
من يهوذا ويملك عليهم إلى الأبد » سفر زكريا ٢- ١٠ وما بعدها.

فهل أوجبتم الإلهية بهذا لإبراهيم وغيره من الأنبياء فإن عند أهل الكتاب وأنتم
معهم : « أن الله تجلى لإبراهيم واستعلن له وترأى له » .

وأما قوله : « وأحل فيك » ليس معناه حلول ذاته سبحانه في بيت المقدس فإن
الله لا تسعه السموات والأرض ثم المسيح مادخل بيت المقدس إلا وهو مغلوب
مقهور ومستخف في غالب أحواله وعموماً فلا مستند لهم في هذه النصوص
والألفاظ التي احتجوا بها على دعوى ربوبية وألوهية عيسى وقد أجبننا عليها على
فرض صحتها وصحة ترجمتها فإن الحكم على شئ فرع عن تصوره والتفسير فرع
التصحيح كما قرر العلماء .

الكتاب (المقدس) !!!

التقديس : التطهير ، وتقديس : تطهر ، قال تعالى على لسان ملائكته : ﴿ ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ (البقرة : ٣١) أي نظهر أنفسنا لك فمادة الكلمة دالة
على التنزيه والتطهير في اللغة ، والقدسي : نسبة إلى القدس ، وهي نسبة تدل على
التعظيم والكتاب المقدس لا بد أن يكون منزهاً عن التحريف والتبديل مطهراً من
الشركيات والكفريات داعياً إلى الفضيلة ناهياً عن الرذيلة فما هو حظ الأنجيل من

ذلك حتى توصف بهذا الوصف؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول: إن الرأي استقر على أربعة أناجيل وأخذت عن أربعة نفر اثنان منهم لم يريا المسيح أصلاً (وهما مرقص ولوقا) واثنان رأياه واجتمعا به (وهما متى ويوحنا) وكل منهم يزيد وينقص ويخالف إنجيله إنجيل أصحابه في أشياء وفيها ذكر القول ونقيضه ففيه أنه قال : « إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة ولكن غيري يشهد لي » .
يوحنا ٣١ .

وفي موضع آخر : « إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأنني أعلم من أين جئت ؟ وإلى أين أذهب » يوحنا ٨ - ١٤ وفيه أنه لما استشعر بوثوب اليهود عليه قال : « قد جزعت نفسي الآن فماذا أقول ؟ يآبتاه سلمني من هذا الوقت »
متى ٢٦ : ٣٨-٣٩ .

وأنه لما رُفِعَ على خشبة الصلب صاح صياحاً عظيماً وقال :

« يا إلهي لم أسلمتني ؟ » متى ٢٧ : ٤٦ .

يقول ابن القيم : فكيف يجتمع هذا مع قولكم : إنه هو الذي اختار إسلام نفسه إلى اليهود ليصلبوه ، ويقتلوه رحمة منه بعباده حتى فداهم بنفسه من الخطايا واخرج بذلك آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وجميع الأنبياء من جهنم بالحيلة التي دبرها على إبليس ؟ وكيف يجزع إله العالم من ذلك ؟ وكيف يسأل السلامة منه وهو الذي اختاره ورضيه ؟! وكيف يشتد صياحه ويقول : « يا إلهي لم أسلمتني » وهو الذي أسلم نفسه ؟! وكيف لم يخلصه أبوه مع قدرته على تخليصه وإنزال صاعقة على الصليب وأهله أم كان ريباً عاجزاً مقهوراً مع اليهود .

وفيه أيضاً : « أن اليهود سألته أن يظهر لهم برهاناً أنه المسيح فقال : تهدمون هذا البيت - يعنى بيت المقدس - وأبنيه لكم في ثلاثة أيام ، فقالوا له : بيت مبني في ست وأربعين سنة تبنيه أنت في ثلاثة أيام » يوحنا ٢ : ١٤ وما بعدها ثم ذكرتم في الإنجيل أيضاً « أنه لما ظفرت به اليهود وحمل إلى بلاط عامل قيصر واستدعيت عليه بنية أن

شاهدي زور جاء إليه وقالوا سمعناه يقول أنا قادر على بنيان بيت المقدس في ثلاثة أيام « متى ٢٦ : ٦١ .

فيالله العجب كيف يدعي أن تلك المعجزة والقدرة له ويدعي أن الشاهدين عليه بها شاهدا زور؟ وفيه أنه قال : « لاتحسبوا أنني قدمت لأصلح بين أهل الأرض لم أت لصالحهم لكن لألقي المحاربة بينهم ، إني قدمت لأفرق بين المرء وابنه والبنت وأمها حتى يصير أعداء المرء أهل بيته » متى ١٠ - ٣٤ .

ثم فيه أيضاً : « إنما قدمت لتحيوا وتزادوا خيراً وأصلح بين الناس » يوحنا ٥ : ٣٩ وأنه قال : « من لطم خدك اليمين فانصب له الآخر » متى ٥ : ٣٩ .

وفيه أيضاً أنه قال : « طوباك يا شمعون ابن يونا ، وأنا أقول أنك بطرس وعلى هذا الجهر تبني بيعتي فكما أحللته على الأرض يكون محلاً في السماء وعقدته على الأرض يكون معقوداً في السماء » متى ١٦ : ١٧ - ٢٠ .

ثم فيه بعينه بعد أسطر يقول له : « اذهب يا شيطان ولا تعارض فإنك جاهل » متى ١٦ : ٢٣ فكيف يكون شيطان جاهل مطاع في السموات ولو ذهبت تستقصي وجدت من ذلك الإختلاف الكثير ، ومن العجب أن في إنجيل متى - ١ نسبة المسيح إلى أنه ابن يوسف فقال عيسى بن يوسف بن فلان ثم عد إلى إبراهيم الخليل تسعة وثلاثين أباً ثم نسبه في لوقا - ٣ أيضاً إلى يوسف وعد منه إلى إبراهيم نيفاً وخمسين أباً فبينما هو إله تام إذ صيره ابن الإله ثم جعلوه ابن يوسف النجار .

يقول ابن القيم مانصه : « والمقصود أن هذا الإضطراب في « الإنجيل » يشهد بأن التغيير وقع فيه قطعاً ولا يمكن أن يكون ذلك من عند الله بل الإختلاف الكثير الذي فيه يدل على أن ذلك الإختلاف من عند غير الله وأنت إذا اعتبرت نسخه ونسخ التوراة التي بأيدي اليهود والسامرة والنصارى رأيتها مختلفة اختلافاً يقطع من وقف عليه بأنه من جهة التغيير والتبديل « أ . هـ . فإذا أضفت إلى ذلك ماسبق أن ذكرناه علمت الوصف الحقيقي الذي يليق بالكتاب .

مجتمع القديسين !!!

كثيراً ما اعترتني الدهشة وأنا أقرأ نصاً لنصراني أن العزاء فيه أن روحه تخلق وتسيح في الملكوت وأنه انتقل من الأرض إلى الأمجاد السماوية !!! ولكن سرعان ما تزول الدهشة عندما أتذكر قول الله تعالى عنهم: ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (البقرة ١١١) وقوله سبحانه: ﴿ وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ (المائدة : ١٨) .

ووصف الإنسان بأنه قديس أو مقدس فيه نوع من المغالاة في الأشخاص ورجم بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله فبواطن العباد وسرائرهم أمرها إلى الله ولذلك كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: « أيها الناس إن الوحي قد انقطع فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه ليس لنا في سريرته ، الله يتولاه في سريرته ومن أظهر لنا شراً لم نؤمنه ولم نقر به وإن قال إن نيته حسنة» . وكان أبو عبيدة يسير وسط الجند ويقول « رب مبيض لشوبه مدنس لدينه رب مكرم لنفسه وهو لها مهين» .

وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ صفات عديدة للمنافقين الذين يظهرون مالا يبطنون وهم في الدرك الأسفل من النار وقد تعلمنا من دين الله عدم القطع لأحد بخاتمة إلا إذا قطع الشرع بخاتمته فنحن نرجو للمحسن ونخاف على المسئ وإلا فالكافر قد يُسلم والمسلم قد يرتد على عقبه القهقري ولذلك لا بد وأن نظل بين رغبة ورهبة ﴿ كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ (الأنبياء : ٩٠) .

وقال جل وعلا: ﴿ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ (الإسراء : ٥٧) . وقد تضافرت نصوص الشريعة على المعنى الذي ذكرناه فإذا انتقلنا إلى دين النصرانية علمت أنهم أخذوا دينهم عن أصحاب المجامع وكان من أعظمها المجمع

الأول في عهد قسطنطين الرومي ابن هيلانة الحرانية الفندقية وفي زمنه بدل دين المسيح وهو الذي أشاد دين النصرى المبتدع وقام به وقعد وكان عدتهم زهاء ألفي رجل فقرروا تقريراً ثم رفضوه ولم يرتضوه ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً منهم والنصارى يسمونهم الآباء فقرروا هذا التقرير الذي هم عليه اليوم ، وهو أصل الأصول عند جميع طوائفهم لا يتم لأحد منهم نصرانية إلا به ويسمونه « سنهورس » وهي « الأمانة » .

وهذه الأمانة هي أعظم خيانة للدين فقد امتلأت كفرأ وغلوا .

قالوا : « وعندنا أن المسيح ابن آدم وهو ربه وخالقه ورازقه وابن ولده ابراهيم وربه وخالقه ورازقه وابن اسرائيل وربه وخالقه ورازقه وابن مريم وربها ورازقها وخالقها » .

وقالوا : « فالذي حبلت به مريم هو الله وابن الله وكلمة الله » .

قالوا : « وهو الذي وكد ورضع وفطم وأخذ وصلب وصنع وكتفت يدها وسمر وبصق في وجهه ومات ودفن وذاق ألم الصلب والتسمير والقتل لأجل خلاص النصرى من خطاياهم قالوا : وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنبي ولا عبد صالح بل هو رب الأنبياء وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة » وقالوا : « فمننا من يطلق في لفظه وعبارته حقيقة هذا المعنى فيقول : مريم حبلت بالإله وولدت الإله ومات الإله ومنا من يمتنع من هذه العبارة لشناعة لفظها ويعطي معناها وحقيقتها ويقول : مريم حبلت بالمسيح في الحقيقة وولدت المسيح في الحقيقة وهي أم المسيح في الحقيقة والمسيح إله في الحقيقة ورب في الحقيقة وابن الله في الحقيقة وكلمة الله في الحقيقة لابن لله في الحقيقة سواه ولا أب في الحقيقة إلا هو » قالوا : « فهؤلاء يوافقون في المعنى قول من قال حبلت بالإله وولدت الإله وتألم الإله ومات الإله وأن هذا كله حل ونزل بالإله الذي هو أب ولكننا نقول هذا كله نزل بالمسيح والمسيح عندنا وعند طوائفنا إله تام من إله تام من جوهر أبيه فنحن

واخواننا في الحقيقة شيء واحد لا فرق بيننا إلا في العبارة فقط» .

قالوا : « فهذا حقيقة ديننا وإيماننا والآباء والقُدوة قد قالوه قبلنا وسنوه لنا ومهدوه وهم أعلم بالمسيح منا » أ . ه .

يقول عبد الرحمن عبد الخالق : « وهكذا استطاع قسطنطين أن يجعل دين القلة وهو الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً هو الدين الرسمي وينفي الكثرة المخالفة لألوهية المسيح ويضطهدها و زاد قسطنطين أن أعطى خاتمه وسيفه إلى هؤلاء وسلطهم على من يخالفهم في الإعتقاد هذا مع إن قسطنطين هذا لم يعلن الدخول في المسيحية إلا وهو على فراش الموت .

وهكذا نشأ الحكم الكهنوتي الذي يحتكر فهم الدين وتفسيره ويحرم من الجنة من يخالفه ويطرد من الكنيسة والنصرانية من يضاده وكان هذا من أعظم البلاء على دين النصرانية حيث فرض عليهم الإنحراف والخروج عن تعاليم المسيح عليه السلام وأمر هذا المجمع بتحريق جميع الكتب التي تخالف العقيدة التي خرج بها مجمع نيقية « أ . ه .

وتوالت مجامع الأساقفة والبتاركة وكلهم لاعن ملعون يكفر من خالفه فهل أورثتهم هذه العقيدة المذكورة تزكية وطهراً؟! وهل يمثلها يصير المجتمع قديساً حقاً؟! وهل يستحق صاحبها أن تنادي عليه الملائكة على أبواب الجنة ﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ (الزمر : ٧٣) .

يا قوم : إن السلوك مرآة الفكر فإذا فسدت العقيدة تخرب السلوك والإعتراف بالحق فضيلة وجحده رذيلة فالتوحيد طهارة والشرك نجاسة ولذلك قال سبحانه :

﴿ إنما المشركون نجس ﴾ (التوبة : ٢٨) والعملة الزائفة لاتروج على الله

﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (البقرة : ١١١) .

«قل يا أهل الكتاب لستم علي شئ حتى»

قال ابن عباس : جاء جماعة من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : ألسنت تُقرّ أن التوراة حق من عند الله ؟ قال : « بلى » فقالوا : « فإننا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت الآية ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ﴾ (المائدة : ٦٨) . أي لستم على شئ من الدين حتى تعملوا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد ﷺ والعمل بما يوجبه ذلك منهما .

وقال أبو علي : ويجوز أن يكون ذلك قبل النسخ لهما . وقوله تعالى : ﴿ وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ﴾ (المائدة : ٦٤) أي يكفرون به فيزدادون كفراً على كفرهم والطغيان تجاوز الحد في الظلم والغلو فيه ثم ورد الخطاب لرسول الله ﷺ تسليّة له ﴿ فلا تأس على القوم الكافرين ﴾ (المائدة ٦٨) وليس بنهي عن الحزن لأنه لا يقدر عليه ولكنه تسليّة ونهي عن التعرض للحزن ولا غرابة في جحد أهل الكتاب رسالة محمد ﷺ وقد سبوا الله فامة أطبقت على أن الإله الحق سبحانه عما يقولون صلب وصنع وصفح وسمر ووضع الشوك على رأسه ودفن في التراب ثم قام في اليوم الثالث وصعد وجلس على عرشه يدبر الأمر للسموات والأرض لا يكثر عليها أن تطبق على جحد نبوة محمد ﷺ وكيف ننكر على أمة أطبقت على صلب معبودها وإلهها ثم عمدت إلى الصليب فعبدته وعظّمته وكان ينبغي لها أن تحرق كل صليب تقدر على إحراقه وأن تهينه غاية الإهانة إذ صلب عليه إلهها الذي يقولون تارة : إنه الله ، وتارة يقولون إنه ابنه وتارة يقولون ثالث ثلاثة فجحدت حق خالقها وكفرت به أعظم كفر وسبته أقبح مسبة وجحدت حق عبده ورسوله وكفرت به ، فاليهود والنصارى كفروا بالرسالة المنزلة على نبيهم في الوقت الذي كفروا فيه برسول الله ﷺ ولم يقيموا التوراة والإنجيل في الوقت الذي لم يدخلوا فيه في الإسلام .

الأصول الخمس التي اتفقت عليها الشرائع

قال تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾
(الأعراف : ٣٣)

هذه الآية تشتمل على الأصول الخمس في جميع الشرائع كما يقرر ابن تيمية فالفواحش كالزنا واللواط والإثم وهو ما يوجب الذم ويتناول كل معصية يتسبب عنها الإثم والبغى بغير الحق أي التعدي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم من غير أن يكون على جهة القصاص والمماثلة وفيها تحريم الشرك به سبحانه والقول عليه بلا علم في أسمائه وصفاته وشرعه وهذه المحرمات الخمس التي حرمها جميع الرسل والشرائع والكتب هي محرمات على كل أحد في كل حال لا تباح قط .
وأصل الشرك والكفر القول على الله بلا علم فكل مشرك قائل على الله بلا علم دون العكس إذ القول على الله بلا علم قد يتضمن التعطيل والإبتداع في الدين فهو أعم من الشرك وهذه المحرمات المذكورة فيها مفسد عامة وخاصة وضررها شديد وهي عظمة الخطر على الأنفس وعلى الأمة جمعاء .

وفي هذه الآية إشارة إلى أن أصول الإيمان لا تقبل إلا بوحي من الله يؤيده البرهان ودلت على عظم شأن الدليل في الدين وأنه لا يحل لأحد أن يحرم شيئاً تحريماً دينياً على عباد الله أو يوجب عليهم شيئاً إلا بنص صريح عن الله ورسوله وأن من تهجم على ذلك فقد تجرأ على الله وأساء إلى نفسه وإلى عباد الله وأن من تبعه على ذلك فقد جعله رباً له .

ومن ثم كان فقهاء الصحابة والتابعين ومن تبعهم من السلف يتحاشون القول في الدين بالرأي ، أو فيها الإنكار على من نسب إلى دين الله تحليل شيء أو تحريمه من عنده لا دليل عليه من كتاب ولا سنة قال تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ﴾ الآية كما أن فيها تحريم تشبيه الله بخلقه لأنه قول

على الله بلا علم وفيها لطف الله بخلقه حيث حرم عليهم ما فيه مضرة عليهم وحذرهم من الشرك فكل الأدلة على تحريمه وأوجب التوحيد لله جل وعلا وتقدس

ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً

حرص اليهود على نسبة إبراهيم لليهودية كما حرص النصارى على نسبته للنصرانية ومن المعلوم أن نبي الله إبراهيم كان قبل زمن موسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقد نزهه سبحانه من دعاويهم الكاذبة وبين أنه كان على الحنيفية الإسلامية ولم يكن مشركاً .

والحنيف الذي يوحد ويضحى ويختن ويستقبل القبلة قال تعالى : ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ (آل عمران : ٦٧) كما نهاهم عن الجدال بلا علم في أمره وقال تعالى : ﴿ هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ﴾ (آل عمران : ٦٦) يعني في أمر محمد ﷺ لأنهم كانوا يعلمونه فيما يجدون من نعته في كتابهم فحاجوا فيه بالباطل قال تعالى : ﴿ فلمَ تحاجون فيما ليس لكم به علم ﴾ يعني دعواهم في إبراهيم أنه كان يهودياً أو نصرانياً .

قال ابن عباس : قال رؤساء اليهود والله يا محمد لقد علمت أنا أولى الناس بدين إبراهيم منك ومن غيرك فإنه كان يهودياً ومابك إلا الحسد فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴾ (آل عمران : ٦٨) فاحق الناس بإبراهيم الذين هم على ملته وستته ، وأفرد ذكر النبي ﷺ ﴿ وهذا النبي ﴾ تعظيماً له .

وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال « إن لكل نبي ولاة من النبيين وإن وليّ منهم أبى وخليل ربي ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي ﴾ وقد بين سبحانه أن إبراهيم كان إماماً للناس كلهم قال تعالى : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً ﴾ (البقرة : ١٢٤)

وهو القدوة ومعلم الخير الذي يؤتم به قال تعالى : ﴿ إن ابراهيم كان أمة ﴾ .
اللهم لك أسلمنا وبك آمنة

قال تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك واله آباءك إبراهيم واسماعيل واسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ، تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ﴾ (البقرة : ۱۳۰- ۱۳۴) .

فقد بين أنه لا يرغب عن ملة إبراهيم إلا من هو سفیه وأنه أمر بالإسلام فقال أسلمت لرب العالمين وأن هذه وصيته إلى بنیه ووصية إسرائيل إلى بنیه وقد اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ثم قال تعالى : ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ (البقرة : ۱۳۵) فأمر باتباع ملة إبراهيم ونهى عن اليهود والتنصر وأمر بالإيمان الجامع كما أنزل على النبيين ما أتوه والإسلام له أن نصبغ بصبغة الله وأن نكون له عابدين ورد على من زعم أن إبراهيم وبنیه وإسرائيل وبنیه كانوا هوداً أو نصارى وقد قال تعالى قبل هذا ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولن اتبع أهواءهم ﴾ الآية (البقرة : ۱۲۰) والمعنى ولن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتهم ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقد يستدل بهذا على أن لكل طائفة ملة لقوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ ﴾ وفى آخر السورة ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ﴾ (البقرة : ۲۸۵) إلى آخر السورة وكما قال فى أولها ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هو يوقنون ﴾ (البقرة : ۴) ففتحها بالإيمان الجامع

وختتمها بالإيمان الجامع ووسطها بالإيمان الجامع ونبينا ﷺ أعطى فواتح الكلم
وخواتمه وجوامعه.

وقال تعالى في آل عمران بعد أن قص أمر المسيح ويحيى ﴿ قل يا أهل الكتاب
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا
بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (الآية : ٦٤) وهى
التي كتبها النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم لما دعاهم إلى الإسلام وقال تعالى : ﴿
يا أهل الكتاب لم تحآجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون
﴿ (آل عمران : ٦٥) إلى قوله تعالى : ﴿ واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من
كتاب وحكمة ﴾ آية (٨١) من نفس السورة ، إلى قوله تعالى : ﴿ وله أسلم من فى
السموات والأرض طوعاً وكرهاً ﴾ آية (٨٣ آل عمران) ، فانكر على من يبغى غير دين
الله كما قال تعالى فى أول السورة : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم
قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين
أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ﴾ (آل عمران : ١٩) فأخبر أن
الدين عند الله الإسلام وأن الذين اختلفوا من أهل الكتاب وصاروا على ملل شتى
ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ، وفيه بيان أن الدين واحد لا خلاف فيه وقال
تعالى : ﴿ قل إننى هدانى ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان
من المشركين ، قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ﴾
(الأنعام : ١٦١-١٦٢) .

هذا بعد أن ذكر الأنبياء قال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾
(الأنعام : ٩٠) وذكر فى الأعراف دعوة المرسلين جميعهم واتفاقهم على عبادة الله
وحده لا شريك له ، وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت ﴾ (النحل : ٣٦)

وقال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ، شاكراً

لأنعمه ، اجتباه وهداه الى صراط مستقيم ، وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين ، ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وماكان من المشركين ﴿ (النحل : ١٢٥ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤) .

وقال تعالى : ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ﴾ الى قوله تعالى : ﴿ مشهد يوم عظيم ﴾ (مريم : ٣٤-٣٧) وقال تعالى فى سورة الأنبياء ﴿ وماأرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (الأنبياء : ٢٥) .

وقال تعالى بعد أن قص قصصهم : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (الأنبياء : ٩٢) وقال تعالى فى آخرها : ﴿ قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ﴾ (الأنبياء : ١٠٨) وقال تعالى فى سورة المؤمنون : ﴿ ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم ، وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (الآيات (٥١-٥٣) سورة المؤمنون .

وقال فى آخر سورة الحج التى ذكر فيها الملل الست وذكر ماجعل لهم من المناسك والمعابد وذكر ملة إبراهيم خصوصاً قال جل وعلا : ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ (الحج : ٧٨)

وقال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك ﴾ (الشورى : ١٣) .

دين الأنبياء واحد

وهذا فى القرآن مذكور فى مواضع كثيرة وكذلك فى الأحاديث الصحيحة مثل ما ترجم عليه البخاري فقال : باب ماجاء فى أن دين الأنبياء واحد وذكر الحديث

المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إنا معشر الأنبياء إخوة لعلات »
ومثل صفته في التوراة « لن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء فأفتح به أعينا عمياً
وأذانا صماً وقلوباً غلفاً » ولهذا وحد الصراط والسبيل في مثل قوله تعالى :

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين ﴾ ومثل قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

والإسلام دين جميع المرسلين ، قال نوح عليه السلام : ﴿ فإن توليتم فما سألتكم
من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ (يونس : ٧٢)
وقال الله عن سحرة فرعون : ﴿ ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴾
(الأعراف : ١٢٦)

وقال عن فرعون : ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل
وأنا من المسلمين ﴾ (يونس : ٩٠)

وقال الحواريون : ﴿ آمانا واشهد بأننا مسلمون ﴾ وفي السورة الأخرى :
﴿ واشهدوا بأننا مسلمون ﴾ (آل عمران : ٦٤) .

وقال يوسف عليه السلام : ﴿ توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين ﴾ (يوسف : ١٠١)
وقال موسى : ﴿ إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾
(يونس : ٨٤)

وقالت بلقيس : ﴿ رب إنى ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾
(النمل : ٤٤) .

وقال عن التوراة : ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون
والأحبار ﴾ .

قال ابن تيمية في توحيد الملة وتعدد الشرائع وقد قررت في غير هذا الموضع الإسلام العام والخاص والإيمان العام والخاص كقوله: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (البقرة: ٦٢). وأما تنوع الشرائع وتعددتها فقال تعالى لما ذكر القبلة بعد الملة ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ﴾ (البقرة: ١٤٤-١٤٨)

فأخبر أن لكل أمة وجهة ولم يقل جعلنا لكل أمة وجهة بل قد يكون هم ابتدعوها كما ابتدعت النصارى وجهة المشرق بخلاف ما ذكره في الشرع والمنهاج فإنه قال تعالى: ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ إلى قوله ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ (المائدة: ٤١-٥٠). أ. ه .

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يحكم بينهم بما أنزل الله إليه ونهاه أن يأخذ بمنهاج غيره وشرعته وقال تعالى: ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ (المائدة: ٤٨) .

والشرعة الشريعة وهي السنة والمنهاج والطريق والسبيل وقال سبحانه: ﴿ تم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ (الجاثية: ١٨) . وقال: ﴿ الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ (الأعراف: ١٥٦)

وقال في النسخ ووجوب اتباعهم للرسول: ﴿ وإذ أخذَ اللهُ ميثقَ النبيينَ لما أتيتكم من كتاب وحكمة ﴾ (آل عمران: ٨١) إلى قوله تعالى: ﴿ وأنا معكم من الشاهدين ﴾ وقال: ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ﴾ (الأعراف: ١٥٦)

والتي بعدها إلى غير ذلك من النصوص التي أمروا فيها بالإيمان بما أنزل الله على محمد ﷺ.

وكما أمر سبحانه الأنبياء جميعهم بالإسلام أمرنا بملازمة الإسلام إلى الممات وأن نعتصم بحبله جميعاً ولا نتفرق ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا من بعد ماجائهم البيئات وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ (آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣) .
إلى قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ (آل عمران : ١٠٢ - ١١٠)
وذكر أنه تبيض وجوه وتسود وجوه .

قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة .

وذكر أنه يقال لهم : ﴿ أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ وهذا عائد إلى قوله تعالى : ﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ فأمر بملازمة الإسلام وبين أن المسودة وجوههم أهل التفرق والاختلاف يقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم .

التوراة ودعوتها إلى التوحيد

التوراة شريعة مستقلة كالقرآن بعكس الإنجيل فإنه عبارة عن بعض الأحكام والمواعظ والآداب التي أضيفت للتوراة ولذلك سُمي الإنجيل بالعهد الجديد والتوراة بالعهد القديم .

وفي قوله تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، يا قومنا أجبوا داعي الله وآمنوا به ﴾ فهنا قالت الجن أنزل من بعد موسى ولم تقل أنزل من بعد عيسى للسبب الذي ذكرنا وقد ورد ذكر التوراة في القرآن في عدة مواضع ووصفت

بأنها هدى ونور وضياء وذكر وتمام على الذي أحسن وتفصيل لكل شئ وأن الله أمر بني إسرائيل أن يأخذوا بأحسنها وأن يأخذوها بقوة وأن يقيموا أحكامها وأن لا يشترروا بها ثمناً قليلاً وأن لا يحرفوا كلمها عن مواضعه .

وقد وردت نصوص عديدة في التوراة تدعوا إلى التوحيد وتحذر من صور الشرك. فقد جاء في سفر الخروج : « أن الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر أرض العبودية » .

وفي سفر التثنية « فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة العظيم الجبار المهيب ، الرب إلهك تتقي وإياه تعبد وبه تلتصق وباسمه تحلف وهو إله واحد لاشريك له الرب إلهنا رب واحد ، لاتسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم لأن الرب إلهكم إله غيور في وسطكم » .
وجاء في سفر اللاويين « لاتلتفتوا إلى الأوثان ، وآلهة مسبوكة لاتصنعوا لأنفسكم »
، وكما نُهوا عن عبادة الأوثان نهوا عن عبادة النجوم وغيرها كما جاء :

« لاترفع عينيك وتنظر إلى السماء وتنظر الشمس والقمر والنجوم كل جند السماء التي قسمها الرب إلهك لجميع الشعوب التي تحت كل السماء فتغتر وتسجد لها وتعبدها » بل وأمروا أن يعاملوا بالشدة جميع الأمم التي تدين بعبادة الأوثان كقوله في سفر التثنية :

« فإنك تحرمهم لاتقطع لهم عهداً ، ولاتشفق عليهم ولا تصاهرهم ، بنتك لاتعط لإبنه وبنته لاتأخذ لإبنك لأنه يرد إبنك من ورائي فيعبد آلهة أخرى ، تهدمون مذابحهم وتكسرون أصنامهم وتقطعون سواريتهم وتحرقون تماثيلهم بالنار وتماثيل آلهتهم تحرقون بالنار لاتشته فضة ولا ذهباً عما عليها لتأخذ لك لثلا تصاد به لأنه رجس عند الرب إلهك » .

، وكما أمروا بالقسوة على الأمم الوثنية أمروا بمثل ذلك في حق من يشرك منهم .
، فقد أمر موسى عليه السلام بني لاوي رهطه بقتل عبدة العجل حين عبُد العجل في

غيبته. ففي سفر الخروج « هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه » ، وفي سفر الخروج : « من ذبح لألهة غير الرب يهلك » .
، وفي التثنية: « والرجل أو المرأة الذي يذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو للشمس أو للقمر أو كل من جند السماء يخرج ويرجم بالحجارة حتى يموت والقرية التي تعبد آلهة أخرى يضرب سكانها بحد السيف ويحرم كل ما فيها مع بهائمها بحد السيف وتحرق جميع أمتعتها بالنار وتكون تلا إلى الأبد لا تبنى بعد وإذا أغرى أحد بالشرك يقتل ولو كان المغربي أخاك ابن أهلك أو ابنك أو بنتك أو امرأة تخصك أو صاحبك الذي مثل نفسك فلا ترض منه ولا تسمع له ، ولا تشفق عليه ، ولا ترق له ولا تستره بل تقتله قتلاً ، يدك تكون عليه أو لا تقتله ثم أيدي جميع الشعب أخيراً ترجمه بالحجارة حتى يموت » .

الدعوة إلى التوحيد في الأناجيل

في إنجيل متى

ورد في الإصحاح الرابع قول إبليس للمسيح : « إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل فإنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك ، فيقول له المسيح : مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك » ، وحين أخذه إبليس إلى جبل عال جداً أو أراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي قال له يسوع : إذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » .

وفي الإصحاح السادس يقول المسيح لتلاميذه : « فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكون مشيئتكم كما في السماء كذلك على الأرض خبزنا كفافنا وأعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين

إلينا ولاتدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد
آمين» .

وفي الإصحاح الثاني والعشرين يقول : « إنما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله
القائل : أنا إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب ليس الله إله أموات بل إله أحياء » .

وفى إنجيل مرقس من الإصحاح الثاني عشر يسأل أحد الكتبة يسوع :

« آية وصية هي أول الكل ؟ فيجيبه بأن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل :
الرب إلهنا رب واحد ونحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل
فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى » .

وفي الإصحاح الثامن عشر : « وسأله رئيس قائلًا : أيها المعلم الصالح ماذا
أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً
إلا واحد وهو الله » .

وفي إنجيل يوحنا

الإصحاح الخامس : « كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجد بعضهم من
بعض والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه » .

وفي الإصحاح السابع عشر من هذا الإنجيل يقول يسوع المسيح : « وهذه هي
الحياة الأبدية أن يعرفك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته » .

، وهذه النصوص السابقة تدل على أن المسيح عليه السلام دعا إلى عبادة الله
وحده ولم يدع أحداً إلى عبادة نفسه والقرآن يشهد له أنه ماخالف الأنبياء والمرسلين
في دعوة التوحيد قال تعالى في سورة الزخرف : ﴿ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد
جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون، إن الله
هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ (الزخرف : ٦٣ ، ٦٤) .

ويحكي لنا القرآن في سورة المائدة صورة لما سيكون يوم القيامة حين يُسأل
عيسى عليه السلام عما يقوله النصاري من أمرهم أن يتخذوه وأمه إلهين من دون

الله فيجيب علي ذلك البهت بهذا الجواب المفحم :

﴿ سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (المائدة : ١١٦-١١٧) .

أصول متفق عليها بين جميع النبوات تتعلق بالله جل وعلا

« **أحدها** » أن الله سبحانه وتعالى قديم واحد لا شريك له في ملكه ولانده ولا ضد ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ، ولا شافع إلا من بعد إذنه .

« **الثاني** » أنه لا والده ولا كفؤ ولا نسيب بوجه من الوجوه ولا زوجة .

« **الثالث** » أنه غني بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج إلى شيء مما يحتاج إليه خلقه بوجه من الوجوه .

« **الرابع** » أنه لا يتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم والمرض والسنة والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو ذلك .

« **الخامس** » أنه لا يماثل شيئاً من مخلوقاته بل ليس كمثلته شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

« **السادس** » أنه لا يحل في شيء من مخلوقاته ولا يحل في ذاته شيء منها بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائون عنه .

« **السابع** » أنه أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء وفوق كل شيء وعال علي كل شيء وليس فوقه شيء البتة .

« **الثامن** » أنه قادر على كل شيء فلا يعجزه شيء يريد به بل هو الفعال لما يريد .

« **التاسع** » أنه عالم بكل شيء يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون قال تعالى : ﴿ **وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس** ﴾ (الأنعام : ٥٩) ولا متحرك إلا وهو يعلمه على حقيقته .

« **العاشر** » أنه سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ويرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء فقد أحاط سمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المبصرات وعلمه بجميع المعلومات وقدرته بجميع المقدورات ونفذت مشيئته في جميع البريات وعمت رحمته جميع

المخلوقات ووسع كرسية الأرض والسموات .

« **الحادى عشر** » أنه الشاهد الذي لا يغيب ولا يستخلف أحداً على تدبير ملكه ولا يحتاج إلى من يرفع إليه حوائج عباده أو يعاونه عليها أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم .

« **الثانى عشر** » أنه الأبدى الباقي الذي لا يضمحل ولا يتلاشى ولا يعدم ولا يموت .

« **الثالث عشر** » أنه المتكلم الأمر الناهي قائل الحق وهادي السبيل ومرسل الرسل ومنزل الكتب والقائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر ومجازي المحسن بإحسانه والمسع بإساءته .

« **الرابع عشر** » أنه الصادق في وعده وخبره فلا أصدق منه قيلاً ولا أصدق منه حديثاً وهو لا يخلف الميعاد .

« **الخامس عشر** » أنه تعالى صمد بجميع الصمدية فيستحيل عليه ما يناقض صمديته .^(١)

« **السادس عشر** » أنه قدوس سلام فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص .

« **السابع عشر** » أنه الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه .

« **الثامن عشر** » أنه العدل الذي لا يجور ولا يظلم ولا يخاف عباده منه ظملاً .

قال الإمام ابن القيم فهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل وهو من المحكم الذي لا يجوز أن تأتي شريعة بخلافه ولا يخبر نبي بخلافه أصلاً ، فترك المثلثة عبّاد الصليب هذا كله ، وتمسكوا بالمتشابهة من المعاني والمجمل من الألفاظ وأقوال من :
﴿ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ (المائدة : ٧٧) .

وأصول المثلثة ومقاتلتهم في رب العالمين تخالف هذا كله أشد المخالفة وتباينه أعظم المباينة .

١- الصمد : السيد لأنه يُصمد إليه في الحوائج أي يُقصد .

الله محبة

مالذي فهمه النصارى من هذه العبارة ؟

فما أحب الله من سبه أعظم مسبة ولم يُقربَّ بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ولم يجعله أكبر من كل شيء بل قال فيه سبحانه وتعالى : ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ﴾ (مريم ٩٠) فقل ماشئت في طائفة أصل عقيدتها « إن الله ثالث ثلاثة » وأن مريم صاحبتة وأن المسيح ابنه وأنه أنزل عن كرسي عظمته والتحم ببطن الصاحبة وجرى له ماجرى إلى أن قُتل ودُفن ومات فدينها عبادة الصلبان ودعاء الصور المنقوشة بالأحمر والأصفر في الحيطان ، يقولون في دعائهم « يا والدة الإله ارزقينا ، واغفري لنا وارحمينا ».

، فدينهم شرب الخمر وأكل الخنزير وترك الختان والتعبد بالنجاسات واستباحة كل خبيث من الفيل إلى البعوضة ، والحلال ما حلله القس والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه ، وهو الذي يغفر لهم الذنوب ، وينجيهم من عذاب السعير .

ما أحب الله من ترك عقيدة التوحيد وأخذ دينه من الوثنيات فشا به مات قوله الهنود في كرشنة وبوذا وقال بالتثليث وتوافق معهم في عقيدة الفداء والصلب لتخليص العالم من الخطيئة والقول بتجسد الإله المخلص ونزوله إلى الأرض وولادته وظهور نجم في السماء غد ولادته وحدوث الظلمة في الأرض عند قتله وتجربة الشيطان لأبناء الآلهة المخلصين ونزولهم إلى الجحيم لتخليص الأموات .

إن جميع المذاهب المسيحية المعروفة الآن مهما اختلفت في تحديد شخصية المسيح فإنها مؤهلة له ليس فيها من يدين بدين الحق الذي يجعل عيسى مجرد رسول من عند الله ليس إلهاً ولا ابن إله بل هو في معتقدهم الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس وكلمة الله المتجسد من مريم العذراء لخلاص العالم !!

ما أحب الأساقفة والبتاركة بعضهم بعضاً فما اجتمعوا في مجمع من المجمع إلا

ولعنوا وتبرأوا وكفروا من خالفهم فكلهم لاعن ملعون فمتى استشعروا معنى الحب في الله !؟

قال تعالى : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ (المائدة : ١٤) .

والميثاق المأخوذ عليهم في التوحيد والإيمان بمحمد ﷺ إذ هو مكتوب في الإنجيل والحظ الذي نساه النصارى هو الإيمان بمحمد ﷺ أي لم يعملوا بما أمروا به وجعلوا ذلك الهوى والتحريف سبباً للكفر بمحمد ﷺ .

وفي قولهم : ﴿ إنا نصارى ﴾ ولم يقل من النصارى دليل على أنهم ابتدعوا النصرانية وتسموا بها وروي معناه عن الحسن ، يقول سبحانه ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء ﴾ (المائدة : ١٤) . صار بعضهم لبعض عدواً وافترقوا إلى اليعاقبة والنسطورية والملكانية ، أي كفر بعضهم بعضاً فكل فرقة مأمورة بعداوة صاحبته وإبغاضها لأنهم كفار : ﴿ وسوف ينبهم الله ﴾ تهديد لهم ، أي سيلقون جزاء نقض الميثاق ، فهذا حالهم مع الله ومع بعضهم البعض ثم حالهم مع سائر الخلق عامة ومع المسلمين بصفة خاصة أمره لا يخفى .

إن المحبة ليست مجرد كلمة تقال ، قال الحسن ادعى قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ﴾ (آل عمران : ٣١) .

وقال « إن قوماً غرثهم أمانى المغفرة ذهبوا ولا حسنة لهم وقالوا نحن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل »

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم ﴾ (المائدة : ٥٤) وعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة

الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود للكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقدف في النار متفق عليه ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : « رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه » متفق عليه والنصوص في ذلك كثيرة .

(١) عبادة الرهبان والقديسين

لم يقف النصارى في وثنيتهن عند هذا الحد من عبادة المسيح وأمه وروح القدس بل تعدوا ذلك إلى عبادة الرهبان والقديسين كما قال تعالى : ﴿ اتخذوا أجباهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ﴾ (التوبة : ٣١)

وكما غلا النصارى في نبيهم عيسى عليه السلام فقد غلوا في قديسيهم وصالحيهم فاتخذوا قبورهم كنائس وملأوها بصور هؤلاء القديسين وهو يجثون على الركب أمام هذه الصور ويتضرعون إليها ويستشفعون بها ويعتقدون أن روح المسيح حلت فيها ولقد بلغ افتتانهم بها حداً كبيراً. وفي الكتاب الذي ألفه الكاتب الفرنسي ج. أ. س. كولان دي بلانس وسماه « قاموس الأضرحة والمقابر » وترجمه وعلق عليه الدكتور أمين رضا فصول مثيرة عن كثرة الآثار المقدسة لدى المسيحيين وعكوف عامتهم علي الخضوع لها حتى أنهم نسوا دعاء الله إلى جانب دعاء هذه الأضرحة والتماثيل .

يقول في موضع من هذا الكتاب : « لقد كان عامة الكاثوليك لا يفكرون في دعاء الله ، بل كانوا يتوجهون بالضراعة إلى ضريح القديسة جنيفيف أو إلى مقدسات السيدة العذراء المتعددة أوبقايا يسوع وقد استولى القسس والرهبان على جميع العيون المعدنية التي اشتهرت بميزة خاصة وعلقوا فيها صوراً صغيرة وبعد لأي الزمن أصبح معروفاً أن هذه المياه المعدنية لم تكن تشفي المرضى لعنصر فعال طبيعي جعله الله فيها ، بل رحمة من القديسين الذين كانت العيون تسمى

١- راجع كتاب دعوة التوحيد للأستاذ محمد خليل هراس ٢٢٧- ٢٣٠ .

بأسمائهم وهكذا كانت المعجزات كثيرة جداً مع أن إيمان هؤلاء السلف لم يكن أكثر من إيماننا إخلاصاً وقوة وكانت جميع أنحاء فرنسا تهتم بتعقب أخبار قديس سافر من مكان إلى مكان آخر أو بأخبار نقل ضريح من مكان إلى آخر وكان اهتمام الناس بهذه الأخبار يماثل اهتمامنا اليوم بأعياد النصر وكانت الطرق بين المدن لا يطرقتها إلا حجاج مؤمنون مخلصون يؤمنون قديساً مشهوراً بقضاء حاجة في أنفسهم .

ومما يحكى أن فيليب الطويل لم يشف من الحمى الرباعية إلا بعد أن لمس المسمار المقدس وذراع القديس سيميون الذي كان يعبده الناس في مدينة سان دنيس ، وقد وضعت هاتان البروكتان معجزة الشفاء أيضاً في دوق (نورمانديا) ابن الملك فيليب دي فالو .

ومع أن شفاؤه لم يتم إلا بعد ستة أسابيع إلا أنه أصر على السفر إلى سان دنيس لتقديم الشكر ، وكان المؤمن المخلص في إيمانه يعتقد أن من يستعمل الطب إنما يسب القديسين وأن جميع الأمراض تشفيها مقدساتهم ويقال أن أحد الأتقياء مرض فقصد طبيباً فظهرت له السيدة العذراء وأنذرت له بأنه سيظل طول حياته مريضاً إن هو لم يتوجه للعلاج إلى إحدى النوتردامات ولم يشرك معها في علاجه أحداً إلى أن يقول ، ولم يكن يمر يوم من غير أنه يسمع الناس فيه بشفاء أحد المرضى بتأثير أحد الآثار المقدسة .

ولم تكن الأقطار الكاثوليكية تشغل نفسها بأي شئ غير شد الرحال إلى الأضرحة وكان شد الرحال إلى الأرض المقدسة أهم الأعمال التي كان يقوم بها أتقى الأتقياء وكانت المعبودات منتشرة في كل مكان حتى أصغر القرى وأبسط الأديرة وعلاوة على هذه الكنوز المقدسة المحفوظة في الكنائس كانت هناك فئة من الناس الذين كانوا يحملون الآثار المقدسة معهم من صورة وعظام ويتجولون بها من قرية إلى قرية وكانت النساء تنهات عليهم فيلمسن بهذه الأشياء المقدسة قطعاً من

القماش أو المسابح لكي يكتسب بها بركة القديسين نظير قروش قليلة إلى أن يقول :
وكانت الآثار المقدسة متصفة بقوة هائلة حتى إن الناس كانوا يصنعون آثاراً مقدسة
من كل شيء .

ففي عام ١٧٥٦ عشر سكان قرية بون دي شاتو بإقليم أوفرني بفرنسا على
صندوق يحتوي على جثة طفل محنطة على الطريقة الشرقية وكانت الجثة لاتزال
محتفظة بنضارتها وهيئتها الطبيعية فاعتبروها معجزة واعتبروها مقدسة وحجوا
إليها وعبدوها إلى أن صدر أمر من الحكومة بالإستيلاء عليها ووضعها في أحد
متاحف التاريخ الطبيعي بباريس .

وكان هذا الدين الخرافي المبني على عبادة التصاوير والمقاصير والأضرحة وغيرها
من الآثار المقدسة متفشياً في كل مكان ولذلك كانوا يحرقون من يقصر في احترام
تمثال من تماثيل القديسين ويجلدون الذين لا يبجلون الآثار المقدسة تبجيلاً لائقاً .
وبعد فهذه هي المسيحية الموجودة الآن في عقائدها وتصوراتها وأفعال أهلها لا
نكاد نلمح في تضاعيفها آثاراً تربطها بأصلها الأول بل هي ديانة جديدة من وضع
قسطنطين اتخذت من المسيح محوراً تدور حوله جميع عناصرها الوثنية .

الغلو في الصالحين واتخاذ القبور مساجد

الغلو في المنسويين إلى الصلاح والتقى من أعظم أسباب كفر بني آدم وتركهم
دينهم بل هو أصل عظيم من أصول الشرك قديماً وحديثاً فبدلاً من أن يتوجه الناس
بالعبادة لخالق الأرض والسماوات وتتعلق قلوبهم به سبحانه في جلب النفع ودفع
الضرر وجدنا من يذبح وينذر ويستغيث ويدعو ويلتمس المدد والبركة من الأولياء
والصالحين والرهبان والقديسين وقد أخرجوا هذا الشرك وأظهوره في قالب المحبة
والتعظيم هكذا صور لهم الشيطان وهكذا زعموا .

وفي الصحيح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وقالوا لاتذرنا آلهتكم ولا تدرن

وداً ولا سواعاً ولا يغووث ويعوق ونسراً ﴿نوح : ٢٣﴾ قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسى العلم عُبدت .

قال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدهم وقد حذر سبحانه من الغلو فقال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ (المائدة : ٧٧) .

والغلو كثير في النصارى فإنهم غلوا في عيسى عليه السلام فجعلوه إلهاً وناقضهم اليهود فحطوه من منزلته حتى جعلوه ولد بغي .

قال ابن تيمية : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط وضاهاهم في ذلك فقد شابهم كالخوارج المارقين عن الإسلام أ. ه .

فالغلو مذموم في الإعتقادات والأعمال ، وفي الحديث : « إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم الغلو في الدين » رواه أحمد والترمذي وهذا لفظ ابن ماجه ، ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « هلك المتنتعون » قالها ثلاثاً ، والمتنتعون هم الغالون وقد كان بناء المساجد والكنائس على القبور ذريعة للشركيات والكفريات ، فبدلاً من أن يتوجه الناس بالعبادة لله توجهوا بها للمقبرين ، وبالجملة فالغلو أصل الشرك في الأوليين والآخرين إلى يوم القيامة . وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هي باتباع مآدعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح واقتفاء آثارهم وسلوك طريقتهم في إخلاص العبودية لله وحده دون عبادتهم وعبادة قبورهم .

وقد عاب رب العزة على أهل الجاهلية الذين برروا شركهم بقولهم : ﴿ مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ (الزمر : ١٣) ويقولهم ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ (يونس : ١٨)

فرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾ (الزمر : ٤٤)

فلا يخلق هو ويُعبد غيره ولا يرزق هو ويُشكر سواه .

وفي الحديث : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ماصنعوا . متفق عليه ، ولمسلم عن أبي الهياج قال : « قال لي علي بن أبي طالب : ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » فاحذر الشرك على نفسك واعمل بالحنيفية السمحة فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل كما قال بعض العلماء : هي أشد الشرائع في التوحيد والإبعاد عن الشرك وأسمح الشرائع في العمل .

قاعدة في المعجزات والكرامات (١)

الإفتتان بالأمور الخارقة كثير عند النصارى والإستدلال بها على صلاح من حدثت له من جهة و صرف العبادة له من دون الله والغلو فيه من جهة أخرى من جملة الضلال الذي وقعوا فيه فلا بد للولى والتقى الصالح من أن يكون مقتدياً في أقواله وأفعاله بشرع الله ، وهذا هو المعيار الذي يُعرف به الحق من الباطل فمن ظهر منه شيء يخالف هذا الضابط فهو رد عليه ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولى لله أو قديس فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة فهو في الحقيقة مخاريق شيطانية وتلييسات إبليسية قال تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفك أئيم، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ (الشعراء : ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣) .

ولذلك قال الليث بن سعد : إذا رأيت الرجل يمشي على الماء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة فلما سمع ذلك الشافعي قال : قصر والله الليث ، بل لو رأيته يطير في الهواء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة « فهذا هو الميزان

١- راجع كتابنا (الشهرة وعالم الأضواء) ٤٩- ٥٨ .

الذي نفرق به بين الكرامة الرحمانية والخرافة الشيطانية .

فالكرامة ضابطها الإستقامة وهذه الإستقامة تستلزم العلم النافع والعمل الصالح وهذا يتضمن الإيمان بالله ونبذ الكفر والفسوق والعصيان وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها الآيات لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة .أ.هـ .

والخرافة لاتدل على أن من حدثت له أفضل من لم تحدث له كما لايدل فقدها على نقص دين الإنسان ومرتبته عند الله ، وعلى العكس والنقيض فحدوثها لا يدل على صدق من ظهرت على يديه ولا ولايته ولا فضله على غيره لجواز سلبها ، وأن تكون استدراجاً ومكراً وعلى أي حال فلا يجوز صرف العبادة لغير الله وسواء كان نبياً أو ولياً وقلوب الخلق يجب أن تتعلق بالله وحده في جلب النفع ودفع الضرر ، وقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر منهم » .

وحديث : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه يري بنور الله » أخرجه الترمذي وحسنه . ثم عمر رضى الله عنه مع كونه من المحدثين بالنص كان يشاور الصحابة ويشاورونه ويراجعهم ويراجعونه ، ويحتج عليهم بالكتاب والسنة ويرجعون جميعاً إليهما ، وكان إذا عرضت عليه المسألة يقول ، أقول فيها فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان والله منه برئ .

وكان أبو سليمان الداراني يقول : « إنها لتقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة » وقال أبو عثمان النيسابوري : « من أمر على نفسه الشريعة قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر على نفسه الهوى قولاً وفعلاً نطق بالبدعة لأن الله تعالى يقول : ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ (النور : ٥٤)

بعض خوارق العادات للأنبياء وغيرهم

من أمثلة ذلك عصبا موسى وقلق البحر والقمل والضفادع والدم وناقاة صالح وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام وإخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وقد حدث من ذلك الكثير لرسول الله ﷺ وسنفرده بالبحث بإذن الله .

ومن أمثلة ما حدث لغير الأنبياء قول عمر رضى الله عنه في قصة سارية وهو على المنبر ، ورؤيته لجيش سارية مع بُعد المسافة فقال : ياسارية الجبل ، تحذير له من العدو ومكرهم له من وراء الجبل فسمع سارية قوله مع بُعد المسافة لأن عمر بالمدينة والجيش بنهاوند .

وكإخبار أبي بكر أن في بطن امرأته أنثى وإخبار عمر عمن يخرج من ولده فيكون عادلاً ومن ذلك قصة الذي عنده علم من الكتاب وقصة أهل الكهف وقصة مريم وقصة خالد بن الوليد وسفينة مولى رسول الله ﷺ الذي سار معه الأسد حتى دله على الطريق ولم يلحقه بأذى وأبي مسلم الخولاني الذي أنجاه الله من النار وفعل به ما فعله بنبيه إبراهيم ﷺ وأشياء يطول شرحها فإن تعداد هذا مثل المطر وإنما الغرض التمثيل بالشئ الذي سمعه أكثر الناس .

التقدم المادي ليس عنواناً للتقوى والهدى دائماً^(١)

إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ، أما الآخرة فلا يعطيها إلا لمن أحب قال تعالى : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ (القصص : ٨٣) وقد امتلك الدنيا مؤمنان وكافران ، أما المؤمنان فسلیمان وذو القرنين ، وأما الكافران فالنمرود ويختنصر ، ويخطأ كثيراً من يظن أن التقدم العلمي قرين الهداية والصلاح فعلى قدر علو كعب العالم اليوم في العلوم المادية على قدر الإنحطاط في العلوم الإنسانية والدينية قال تعالى : ﴿ يعلمون ظاهراً

١- راجع كتابنا الديمقراطية في الميزان ١٠٣-١٠٥ .

من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴿ (الروم : ٧) .

فالعلوم المادية لا تجلب الهداية بمفردها بل هي أداة يجب أن تستخدم لتعميق روح الإيمان في نفوس العباد وفتح العيون على قدرة الله في خلقه :

وفى كل له شيء له آية . . . تدل على أنه الواحد

والذين قصروا أنفسهم على محاربة ألوان الوثنية القديمة غير مدركين للشرك المتمثل في الشرود عن منهج الله والسعي وراء الأفكار الضالة مخطئون .

والذين يدركون خطر الجاهلية الجديدة وينكرون ويكابرون في وجود الجاهلية الموروثة والتي تسري في دماء البشر فتجعل القصد لغير الله مخطئون. ومن يعرف الدين الصحيح ويعرف الأوضاع لا يماري في أن الباطل والكفر صورة تتكرر. فالوثنية الأولى مازالت موجودة هنا وهناك في بلاد الزوج والإسكيمو والملايين في أمريكا وبريطانيا مازالوا يجثون على الركب أمام تماثيل العذارى طالبين البركة وآلهة الهند بالآلوف والشيوعيون يتخذون من قبر لينين مطافاً ومزاراً وبالتالي فالآلهة الأولى كألوهية فرعون والنمرود والأحبار والرهبان ماهي إلا نماذج تتكرر ولم تتلاشى فهل أزال التقدم العلمي مثل هذا الضلال. ولذلك كان لا بد من التركيز على قضايا التوحيد والإهتمام بها وترسيخها في النفوس كما لا بد أيضاً من هدم الشرك ودحض الباطل في كل مظاهره وصوره وأشكاله فالشرك شيء واحد تتفق صورته في أنها قصد لغير الله في التوجه والطلب والتشريع والتعظيم والتقديس وليكن هم المسلم محاربة الشرك والوثنية مهما كانت وبأي لباس تحلت فذلك الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِ بَيْنَةِ وَيُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنِ بَيْنَةِ﴾ (الأنفال : ٤٢) .

إن الحضارة الحقنة والتقدم والتطور النافع هو الذي يقوم على أساس منهج العبودية بحيث لا يتخطى أهله شرع الله ولا يشردون عن دين الله وبهذا المنهج تحدث البصيرة والعزة والتمكين والسيادة بالحق على الخلق وبمقدار التخلف عن منهج الله يكون الضياع وسط الأمم والإنحدار إلى هوة الضلال والعيش وسط

النكبات قال تعالى: ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ﴾ (طه : ١٢٣ - ١٢٤) ولذلك لم نستغرب وصف كثير من علماء الغرب لحضارة اليوم بأنها حضارة القلق وأن شأنهم كشأن أطفال بينون قصوراً بالرمال وهم يجهلون أعماق البحر .

علمناهم وتعلمنا منهم فلم الانحراف بالقضية

يقول المستشرق الهولندي « دوزي » : إن في كل الأندلس لم يكن يوجد رجل أمة بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة في أوروبا معرفة أولية إلا الطبقة العليا من القسس .

ويقول « ليدبول » في كتابه « العرب في أسبانيا » : فكانت أوروبا الأمية تزخر بالجهل والحرمان بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم وراية الثقافة في العالم .
ويقول « لوبون » في كتابه « حضارة العرب » : إن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها « سنورات » متوحشون يفخرون أنهم لا يقرءون .
ويقول « فيكتور روبنسن » في موازنته بين الحضارة الإسلامية في الأندلس وبين الحالة في أوروبا : كانت أوروبا في ظلام حالك بعد غروب الشمس بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح العامة ، كانت أوروبا قذرة بينما شيّدت « قرطبة » ، ألف حمام كانت أوروبا تغطيها الهوام بينما كان أهل قرطبة مثال النظافة ، كانت أوربا غارقة في الوحل بينما كانت قرطبة مرصوفة الشوارع ، كانت سقوف القصور في أوربا مملوءة بثقوب المداخن بينما كانت قصور قرطبة تزينها الزخرفة العربية العجيبة وكان أشرف أوروبا لا يستطيعون توقيع أسمائهم بينما كان أطفال قرطبة العربية يذهبون إلى المدارس وكان رهبان أوروبا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة .

فعن طريق الأندلس وصقلية ومدارس الترجمة التي انتشرت في شمال أسبانيا وفرنسا وإيطاليا وعن طريق التجار المسلمين والحروب الصليبية انتقلت الحضارة

الإسلامية إلى الغرب تنتشل الأوربيين من الجهل إلى العلم وهذا واقع وهو حق .
ومن الإنصاف أيضاً أن نثبت الفضل لأهله فالكل يلمس هذا التطور المادي في
نواحي كثيرة من الحياة ، وانقسمت الدنيا على أساس ذلك إلى عالم متقدم وآخر
متخلف يُطلق عليه اسم العالم الثالث أو تجاوزاً (العالم النامي) الأمر الذي أدى بنا
أن نتعلم منهم الكثير من فنون الزراعة والصناعة والهندسة والطب وهذا الأمر
لا حرج فيه فهذه العلوم تؤخذ من كل من أفلح فيها ولكن الحرج كل الحرج في
الإنبهار والفتنة بالغرب وتصحيح ما هم عليه من دين باطل فهم يعانون من إفلاس
فيما يتعلق بالهداية وعلوم الدين وبالتالي فلأتجاوز الإنهزامية في مواجهتهم ، إذ
الواجب علينا أن نعترف بمعاني الإيمان ونظهر شعائر الدين ونأخذ بأسباب القوة
وندعوهم لإسلام الوجه لخالق السموات والأرض حتى يتفجعوا بما هم عليه في
الحياة وبعد الممات ولا يتصور أن يكون شيء من أمور الكفرة كاملاً قط حتى ما يتعلق
بإتقان أمور الدنيا .

ولذلك يقول ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة
أصحاب الجحيم) :

« أن نفس ما هم عليه من الهدى والخلق قديكون مضرراً أو منقصاً فينهى عنه
ويؤمر بضده لما فيه من المنفعة والكمال وليس شيء من أمورهم إلا فيه الزيادة أو
النقص فمخالفتهم فيه : بأن يشرع ما يجعله على وجه الكمال ولا يتصور أن يكون
شيء من أمورهم كاملاً قط فإذا المخالفة لهم فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورنا
حتى ما هم عليه من إتقان أمور دينهم قد يكون مضرراً بأخرتنا أو بما هو أهم منه من
أمر ديانا فالمخالفة فيه صلاح لنا إلى أن قال (رحمه الله) وحقيقة الأمر أن
جميع أعمال الكافر وأموره ، لا بد فيها من خلل يمنعها أن تتم له منفعة بها ولو
فرض صلاح شيء من أموره على التمام لاستحق بذلك ثواب الآخرة ولكن كل
أموره إما فاسدة وإما ناقصة فالحمد لله على نعمة الإسلام التي هي أعظم النعم وأم

كل خير كما يحب ربنا ويرضى أ. ه .

إن القضية أكبر من الإنشغال بإثبات تعليمنا لهم أو تعلمنا منهم إن الإهتمام
الأعظم والإنشغال الأكبر ينبغي أن ينصب في دالتهم على طريق الحق والعودة بهم
إلى توحيد الله جل وعلا .

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

هذا عنوان الكتاب^(١) الذي ألفه شيخ الإسلام (ابن تيمية) والكتاب يقع في أربعة أجزاء ويزيد على الألف ومائتي صفحة بقليل وهو يدل على غزارة علم ابن تيمية فما دخل في علم إلا وفاق أهله فيه، وكان سبب تأليف هذا الكتاب أن شيخ الإسلام قرأ رسالة جاءت من قبرص مضافة إلى «بولص الراهب» أسقف صيدا الأنطاكي وادعى فيها أنه اجتمع بأجلاء تلك النواحي التي ارتحل إليها وناظر أفاضلهم وعلماءهم وقد كان اسم الرسالة المنطقي الدولة خاني المبرهن عن الإعتقاد الصحيح والرأي المستقيم. والقارئ لهذا الكتاب يلحظ كيف كان ابن تيمية على علم بالنصرانية أكثر من معرفة أهلها بها وكان سنده في الجواب القرآن الكريم والسنة النبوية ومأوتيه من قوة الحجج والمنطق وكان ذلك هو المنهاج الذي سار عليه في جميع فصول الكتاب غير أنه حينما أراد أن يثبت وقوع التبديل والتغيير في عقائد النصارى واليهود استدل ببعض نصوص الكتب السماوية والنبوات السابقة وكذلك فعل حينما رد عليهم قولهم: إن النبوات والكتب السابقة لم تبشر بنبوة النبي ﷺ وقد وفى شيخ الإسلام الكلام حقه إذ كان بإزاء الرد على أناس عرفوا بالمكر والخيانة لدينهم والإمام يبدأ الفصل - في غالبية الكتاب - بالقول المخالف ثم يعقبه بالرد عليه وهو - في معظم الفصول - يكثر من الإستطراد الهادف لإبطال ما ألصق بالدين من المبتدعات وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على غزارة علمه وفضله وأدبه، والكتاب يتضمن أربعة عناصر مهمة:

العنصر الأول: الرد على ماجاء في (الرسالة القبرصية) ومضمونها ستة

دعاوى وستعرض لها بإذن الله بشئ من الإجمال والإختصار .

العنصر الثاني: تفسير النصوص القرآنية والنبوية التي استدلت بها

في رده عليهم .

١ - قدم الكتاب علي السيد صبيح المدني بمقدمة طيبة نقلناها بتصرف .

العنصر الثالث : تصحيح ما وقع في تفسير بعض النصوص الدينية في الإنجيل والتوراة من أخطاء .

العنصر الرابع : دراسة مقارنة للنبوات الثلاثة : الإسلام والنصرانية واليهودية. وقد قدم شيخ الإسلام للرد على دعاوى « بولص الراهب » بقوله : ونحن - ولله الحمد والمنة - نبين أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية - من القرآن أو من الكتب المتقدمة على القرآن - أو عقلية لا حجة لهم في شيء منها بل الكتب كلها مع القرآن والعقل حجة عليهم لا لهم بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء ومن المعقول - هو نفسه - حجة عليهم ويظهر منه فساد قولهم مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية والموازن التي هي مقاييس عقلية وقد رد الإمام على هذه الدعاوى الستة حسب ترتيبها في الرسالة النصرانية .

الدعوى الأولى والرد عليها

ذكر بولص الراهب أن محمداً ﷺ لم يبعث إليهم - أي النصراني - بل بعث إلى أهل الجاهلية من العرب وأن القرآن فيه ما يدل على ذلك وكذلك العقل .
فرد شيخ الإسلام على دعواه بقوله : « إن كل من ادعى الرسالة لا بد أن تنبني دعواه على أصليين :

أحدهما : أن تعرف هل قال : إنه رسول الله إلى جميع الناس ؟ أو قال : إنه لم يرسل إلا إلى طائفة معينة لا إلى غيرها ؟ .

والثاني : أن تعرف هل هو صادق أو كاذب ؟ .

أما الأصل الأول : فالرسول ﷺ أعلن أنه رسول إلى الناس كافة ولا ينافي ذلك أنه من أصل عربي ، وأن رسالته جاءت للعرب خاصة وللناس كافة عامة إذا عرف هذا فهؤلاء القوم في هذا المقام ادعوا أن محمداً ﷺ لم يرسل إليهم بل إلى أهل الجاهلية من العرب فهذه الدعوى على وجهين :

١ - إما أن يقولوا : إنه بنفسه لم يدع أنه أرسل إليهم ولكن أمته ادعوا له ذلك .

٢- وإما أن يقولوا : إنه ادعى أنه أرسل إليهم وهو كاذب في هذه الدعوى وكلامهم في صدر هذا الكتاب يقتضي الوجه الأول وفي آخره قد يقال إنهم قد أشاروا إلى الوجه الثاني يعني ما جاء في الرسالة النصرانية على لسان « بولص » الراهب لكنهم في الحقيقة لم ينكروا رسالته إلى العرب وإنما أنكروا رسالته إليهم أما رسالته إلى العرب فلم يصرحوا بتصديقه فيها ولا بتكذيبه وإن كان ظاهر لفظهم يقتضي برسالته إلى العرب بل صدقوا بما وافق قولهم وكذبوا بما خالف قولهم ونحن نبين أنه لا يصح احتجاجهم بشئ مما جاء به النبي ﷺ ونبين أنه لا يصح احتجاجهم بشئ من القرآن على صحة دينهم بوجه من الوجوه ونبين أن القرآن لا حجة فيه لهم ولا فيه تناقض وكذلك كتب الأنبياء المتقدمين التي يحتاجون بها هي حجة عليهم ليس في شئ منها لهم حجة ولولم يبعث محمد ﷺ فكيف والكتاب الذي جاء به محمد ﷺ موافق لسائر كلام الأنبياء عليهم السلام في إبطال دينهم وقولهم في التثليث والإتحاد وغير ذلك من العقل الصريح !؟

فهم يحتاجون في كتابهم هذا - أي رسالتهم - بالقرآن وبما جاءت به الأنبياء قبل محمد ﷺ مع العقل ولا حجة لهم فيه وهذا بخلاف المسلمين فإنه يصح احتجاجهم على أهل الكتاب اليهود والنصارى بما جاءت به الأنبياء قبل محمد ﷺ وذلك أن المسلمين مقرون إيمانهم بنبوّة موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام ، وعندهم يجب الإيمان بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله وهذا أصل دين المسلمين .

ثم قال : وحينئذ فهؤلاء إن أقرروا برسالة محمد ﷺ وأنه صادق فيما بلغه عن الله من الكتاب والحكمة وجب عليهم الإيمان بكل ما ثبت عنه من الكتاب والحكمة كما يجب الإيمان بكل ما جاءت به الرسل .

ثم رد على من قال من أهل الكتاب « إنه رسول غضب أرسله الله إرسالاً كونياً لا دينياً لينتقم به منهم كما أرسل بختنصر وسنجاريب على بني إسرائيل وكما أرسل

جنكس خان وغيره فقال: «إن هؤلاء الملوك لم يقل أحد منهم: إن الله أنزل علي كتاباً، ولا هذا الكلام الذي أبلغه إليكم هو كلام الله ولأن الله أمركم أن تصدقوني فيما أخبرتكم به، وتطيعوني فيما أمرتكم به ومن لم يصدقني باطناً وظاهراً فإن الله يعذبه في الدنيا والآخرة بل هؤلاء أرسلهم إرسالاً كونياً قدره وقضاه كما يرسل الريح بالعذاب وكما يرسل الشياطين وفرق بين الإرسال الكوني والإرسال الديني فالإرسال الديني هو الإرسال الذي أوجب الله به طاعة من أرسله» .

الدعوى الثانية والرد عليها

ذكروا أن محمد ﷺ أثنى في القرآن على دينهم - أي النصرانية - الذي هم عليه ، ومدحه بما أوجبت لهم أن يثبتوا عليه .

فأجاب بقوله : قالوا إن محمداً ﷺ أثنى على دين النصارى بعد التبديل والنسخ - وهى أعظم كذباً عليه من التي قبلها - فكيف يثنى عليهم وهو يكفرهم في غير موضع من كتابه ويأمر بجهادهم وقتالهم ويذم المتخلفين عن جهادهم غاية الذم ، ويصف من لم ير طاعته في قتالهم بالنفاق ويذكر أنه يدخل جهنم .

قال : « وأما ثناء الله ورسوله على المسيح وأمه وعلى من اتبعه ، وكان على دينه الذي لم يبدل فهذا حق ، ولا ينافى وجوب اتباع محمد ﷺ على من بُعث إليه ، فلو قدر أن شريعة المسيح لم تبدل ، وأن محمداً ﷺ أثنى على كل من اتبعها

وقال - مع ذلك - إن الله أرسلني إليكم ، لم يكن متناقضاً ، وإذا كفر من لم يؤمن به لم يناقض ذلك ثناؤه عليهم قبل أن يكذبوه . فكيف وهو إنما مدح من اتبع ديناً لم يبدله ؟

وأما الذين بدلوا دين المسيح فلم يمدحهم بل ذمهم وقد قدمنا أن النصارى كفروا كما كفرت اليهود كفروا بتبديلهم مافي الكتاب الأول وكفروا بتكذيبهم بالكتاب الثاني .

وأما من لم يبدل الكتاب أو أدرك محمداً فآمن به ، فهؤلاء مؤمنون ،

ومما يبين ذلك أن تعظيم المسيح للتوراة واتباعه لها ، وعمله بشرائعها أعظم من تعظيم محمد ﷺ للإنجيل ، ومع هذا فلم يكن ذلك مسقطاً عن اليهود وجوب اتباعهم للمسيح فكيف يكون تعظيم محمد ﷺ للإنجيل مسقطاً عن النصارى وجوب اتباعه ؟!

وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالإضطرار من دين الإسلام ، وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وبجميع ما أنزل الله من الكتب . فمن كفر بنبي واحد تعلم نبوته مثل إبراهيم ولوط وموسى ودواد وسليمان ويونس وعيسى فهو كافر عند جميع المسلمين ، حكمه حكم الكفار ، ثم قال : « وإن أرادوا بتصديقه كتبهم : أنه صدق ما هم عليه من العقائد والشرائع التي ابتدعوها بغير إذن من الله وخالفوا بها ماتقدم من شرائع المسلمين ، أو خالفوا بها الشرع الذي بعث به ، مثل القول بالتثليث والأقانيم ، والقول بالحلول والاتحاد بين اللاهوت والناسوت ، وقولهم : إن المسيح هو الله ، وابن الله وما هم عليه من إنكار ما يجب الإيمان به من الإيمان بالله واليوم الآخر ومن تحليل ما حرمه الله ورسله كالخنزير وغيره فقد كذبوا » .

الدعوى الثالثة وردھا

قالوا : « إن كتب الأنبياء المتقدمين كالتوراة والزيور والإنجيل ، وغير ذلك من الصحف والنبوات تشهد لما عليه دينهم من الأقانيم والتثليث والاتحاد ، وغير ذلك وأنه يجب التمسك به ، إذ لا يعارضه شرع ، ولا يدفعه عقل » . فرد ابن تيمية قائلاً : « وإن احتج بشيء من المنقول عن غيره - أي غير رسول الإسلام ﷺ ومن الأنبياء عليهم السلام ، طولبت بتقدير نبوة ذلك النبي مع تكذيب محمد ﷺ وإلا فتقدير أن ينقل عن اثنين ادعيا النبوة وأتيا بالآيات التي تثبت بها النبوات خبران متناقضان لا يجوز تصديق هذا ، وتكذيب ذاك إن لم يتبين ما يدل على صدق هذا وكذب هذا ، وكذلك إذا عورض أحدهما بجنس ما يعارض الآخر

وهذا لا يرد على المسلمين إذا ردوا ما يحتج به أهل الكتاب مما ينقلونه عن الأنبياء مخالفاً لخبر محمد ﷺ فإن المسلمين لا يطعنون في نبوة أحد من الأنبياء المعروفين وإنما يطعنون في أنهم أخبروا بما يخالف خبر محمد ﷺ فإن ذلك لا يثبت ، أي لم يثبت اللفظ والترجمة ، وتفسير اللفظ ، وهذه المقدمات تمتنع أن تقوم على شيء يخالف خبر محمد ﷺ ، جملة ولا تفصيلاً .

فأهل الكتاب يطالبون فيما يعارضون به بثلاث مقدمات :

إحداها : تقدير أن أولئك صادقون ، ومحمد ﷺ كاذب .

والثانية : ثبوت ما أتوا به لفظاً .

والثالثة : معرفة المراد باللفظ ترجمة وتفسيراً .

وإن قال الكتابي للمسلم ، أنت توافقني على نبوة هؤلاء المتقدمين .

أجابه المسلم بوجوه : منها أن يقول : إني لم أوافقك على نبوة واحد منهم مع التكذيب بنبوة محمد ﷺ ، بل دين المسلمين كلهم أنه من آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض فهو كافر ، فكيف بمن كفر بمن هو عند المسلمين أفضل الأنبياء وخاتمهم ؟ ! .

بل قد يقول له أكثر المسلمين : نحن لم نعلم نبوة أولئك إلا بإخبار محمد أنهم أنبياء فلو قدحنا في الأصل الذي قد علمنا به نبوتهم لزم القدح في نبوتهم ، والفرع - إذا قدح في أصله - دل على فساده في نفسه ، سواء قدر أصله صحيحاً أو فاسداً فإنه إن كان أصله فاسداً فسد هو ، وإن كان أصله صحيحاً - وهو يناقضه - بطل هو فهذا إذا ناقض أصله باطل على كل تقدير ، وكذلك إذا قال له الكتابي : قد اتفقنا على تصديق موسى والتوراة أو المسيح والإنجيل ، قال له المسلم : إنما أوافقك على تصديق موسى وعيسى اللذين بشراً بمحمد ﷺ ، كما أخبرنا به محمد ﷺ

ثم ذكر شيخ الإسلام ما وقع في الكتب السابقة من تبديل في بعض ألفاظها وأنه لا يُعلم أن ألفاظها منزلة من عند الله وبالتالي فلا يجوز أن يحتج بما فيها من الألفاظ في معارضة ما علم نبوته ، وأن هذه التوراة والإنجيل الموجودتان اليوم بين اليهود

والنصارى لم تتواتر عن موسى وعيسى عليهما السلام .
أما التوراة فإن نقلها انقطع لما خرب بيت المقدس أولاً ، وأجلى منه بنو إسرائيل
ثم ذكروا أن الذي أملاها عليهم بعد ذلك شخص واحد يقال له : عازر ، وزعموا
أنه نبي .

وأما الإنجيل الذي بأيدي المسيحيين ، فإنهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح عليه
السلام ، ولا أملاه على من كتبه ، وإنما أملاه بعد رفع المسيح « متى »
و « يوحنا » وكانا قد صحبا المسيح . ولم يحفظه خلق كثير يبلغون حد التواتر
و « مرقس » و « لوقا » وهما لم يريا المسيح عليه السلام وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا
بعض ما قاله المسيح ، وبعض أخباره ، وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله وأفعاله ونقل
اثنين أو ثلاثة يجوز عليهم الغلط لاسيما وقد غلطوا في المسيح نفسه حتى اشتبه
عليهم بالمصلوب ! .

الدعوي الرابعة والرد عليها

أن ماهم عليه ثابت بالعقل والشرع متفق مع الأصول ، وأنه إذا كان الكتاب
المكتوب بلسان واحد - أي القرآن - لا يمكن تبديل ولا تغيير حرف منه فكيف يمكن
تغيير كتبهم التي كتبت باثنين وسبعين لساناً ؟ .

والجواب أن يقال : أولاً : هذا الكلام منهم يدل على غاية جهلهم بما يقوله
المسلمون في كتبهم وتبين أنهم لفرط جهلهم - يظنون أن المسلمين يقولون مقالة
لا تخضع للعقل والمنطق وأن ما يقولونه لا يخفى فساده على من له أدنى
عقل ومعرفة .

والجواب على ما دعوه من وجوه :

إحداها : أن المسلمين لم يدعوا أن هذه الكتب حرفت بعد انتشارها وكثرة النسخ
بها ولكن جميعهم متفقون على وقوع التبديل والتغيير في كثير من معانيها وكثير من
أحكامها وهذا تسلمه النصارى جميعهم في التوراة والتنبؤات المتقدمة فإنهم

يسلمون أن اليهود بدلوا كثيراً من معانيها وأحكامها . وما تسلمه النصارى في فرقههم أن كل فرقة تخالف الأخرى فيما تفسر به الكتب المتقدمة ، وما تسلمه اليهود أنهم متفقون على أن النصارى تفسر التوراة والنبوات المتقدمة على الإنجيل بما يخالف معانيها وأنها بدلت أحكام التوراة .

الثانى : أن قياسهم كتبهم على القرآن مع أنه لم تسمع دعوى التبديل فيه . قياس باطل في معناه وفي لفظه .

الثالث : أن القرآن قد ثبت بالنقل المتواتر المعلوم بالضرورة للموافق والمخالف أن محمداً كان يقول : إنه كلام الله لا كلامه ، وأنه مبلغ له عن الله وكان يفرق بين القرآن وبين ما يتكلم به من السنة وأما قولهم إنها - أي الأناجيل - مكتوبة باثنين وسبعين لساناً فمعلوم بإتفاق النصارى أن المسيح لم يكن يتكلم إلا العبرية ، فالكلام المنقول عنه في الأناجيل إنما تكلم به عبرياً ثم ترجم من تلك اللغة إلى غيرها والترجمة يقع فيها الغلط كثيراً كما وجدنا في زمننا من يترجم التوراة من العبرية إلى العربية ويظهر في الترجمة من الغلط ما يشهد به الحذاق والصادقون عن يعرف اللغتين .

ثم انتقل إلى دعوى التثليث فقال :

قالوا : « وكذلك شهد أشعيا » بتحقيق الثالث بوحدانية جوهره وذلك بقوله : رب القوات ، ويقوله : رب السموات والأرض ، ومثل هذا القول في التوراة والمزامير شئ كثير حتى اليهود يقرءون هذه النبوات ولا يعرفون لها تأويلاً وهم مقرون بذلك ولا ينكرون كلمة واحدة ، وإنما قلوبهم مغلقة عن فهمه لقساوتها . كما أنهم إذا اجتمعوا في الكنيسة يقف « الحران » ويقول كلاماً عبرانياً ، ترجمته : نقدسك ونعظمك ، ونثلث لك تقديساً مثلثاً كالمكتوب على لسان نبيك فيصيح الجميع : قدوس قدوس ، قدوس رب القوات ، رب السموات والأرض ، فما أوضح إقرارهم بالثالث ، وأشد كفرهم بمعناه !! .

ثم أوضح شيخ الإسلام معنى التثليث الذي جاء في التوراة فقال : « وأما قولهم نقدسك ، ونعظمتك ، ونثلث لك تقديساً مثلاً كال مكتوب على لسان نبيك أشعيا ، وقولهم : قدوس ، قدوس ، قدوس رب القوات ، ورب السموات والأرض ، فيقال هذا الكلام صريح في أن المثلث ، هو نفس التقديس ، لانفس الإله المقدس وكذلك قولهم : قدوس ، قدوس ، قدوس قدسوه : ثلاث مرات فإنه قال : نقدسك ونثلث لك تقديساً مثلاً ، فنصب التثليث على المصدر ، الذي ينصب بفضل التقديس ، فقال : نقدسك تقديساً مثلاً ، فنصب التقديس على المصدر كما تقول : سبحتك تسييحاً مثلاً أي سبحتك ثلاث مرات ، وقال : نثلث لك ، أن نثلث تقديساً لك ، لم يقل « أنت » ثلاثة ، بل جعلوا أنفسهم هم الذين يقديسون التقديس المثلث ، وهم يثلثون له ، وهذا صريح في أنهم يسبحونه ثلاث مرات ، ولا يسبحون ثلاثة آلهة ولا ثلاثة أقانيم ، ثم تتبع تبريرهم التثليث فقال : « قالوا : وقد علمنا أنه لا يلزمنا - إذا قلنا هذا - عبادة ثلاثة آلهة بل إله واحد كما لا يلزمنا إذا قلنا : الإنسان ونطقه ، وروحه ثلاثة أناس ، بل إنسان واحد ، ولا إذا قلنا : لهيب النار ، وضوء النار ، وحرارة النار ، ثلاثة نيران ، ولا إذا قلنا قرص الشمس ، وضوء الشمس ، وشعاع الشمس ، ثلاثة شمس ، أي لا يلزمهم التثليث في كل ما أمر بل الإنسان هو الإنسان بنطقه وروحه والنار هي النار بضوئها وحرارتها وقرص الشمس هو قرص الشمس بضوئه وشعاعه .

ولكن شيخ الإسلام رد عليهم بقوله : والجواب من وجوه :

أحدهما : أنكم صبر حتم بتعدد الآلهة الأرباب في عقيدة إيمانكم وفي استدلالكم ، وغير ذلك من كلامكم ، فليس ذلكم شيئاً ألزمكم الناس به بل أنتم تصرحون بذلك ، كما تقدم من قولكم نؤمن بإله واحد ضابط الكل ، خالق ما يرى وما لا يرى و برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب ، قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من جوهر أبيه ، مولود غير مخلوق ، مساو الأب

في الجوهر ، وروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب الذي معه الأب مسجود له ومجد .

الوجه الثاني : أن تمثيلهم بالإنسان ونطقه وروحه والنار وحرها وضوئها

والشمس وضوئها وشعاعها ، باطل من وجوه :

أحدها : أن حر النار وضوءها القائم لها ليس ناراً من نار ، ولا جوهرأ من جوهر

ولاهو مساو النار والشمس في الجوهر وكذلك نطق الإنسان وضوء الشمس ، وهم أثبتوا ثلاثة أرباب بقولهم في الأمانة :

نؤمن بإله واحد ، أب ضابط الكل ورب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد

المولود من الأب قبل كل الدهور نور على نور إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه مساو الأب في الجوهر .

الثاني : أن الضوء في الشمس والنار يراد به نفس الضوء القائم بها ويراد به

الشعاع القائم بالأرض والجدران وهذا مباين لها ، ليس قائماً بها فهم جعلوه الأب

جوهرأ قائماً بنفسه ، والإبن جوهرأ قائماً بنفسه ، وروح القدس ربأ جوهرأ قائماً

بنفسه ، ومعلوم أن ضوء النار والشمس وحرارتها ليس كل منهما شمسأ ونارأ قائمة

بنفسها ولا جوهرأ قائماً بنفسه ، فلو أثبتوا حياة الله ، وعلمه ، أو كلامه صفتين

قائمتين به - ولم يجعلوا هذا ربأ جوهرأ بنفسه ، وهذا ربأ قائماً بنفسه - لكان قولهم

حقاً وتمثيلهم مطابقاً وهكذا ثابر شيخ الإسلام ابن تيمية على إدحاض حججهم

الباطلة في كل مذهبوا إليه من التثليث ، وما ذهبوا إليه من اتحاد الناسوت باللاهوت

وما اتصفوا به من تعصب ضد اليهودية .

الدعوي الخامسة والرد عليها

أنهم موحدون وأن ما عندهم مما يوهم التعدد كألفاظ الأقانيم ، إنما هي من جنس

ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر فيها التشبيه والتجسيم .

فأجاب الإمام بقوله : « الجواب من وجوه :

أحدها : أن يقال من آمن بما جاءت به الرسل وقال ما قالوه من غير تحريف للفظه ولا معناه فهذا لإنكار عليه بخلاف من ابتدع أقوالاً لم تقلها الرسل بل هي تخالف ما قالوه : إما لفظاً ومعنى ، وإما معنى فقط ، فهذا يستحق الإنكار عليه بإتفاق الطوائف ، وأصل دين المسلمين ، أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل يثبتون له تعالى ما أثبتته لنفسه وينفون عنه ما نفاه عن نفسه ويتبعون في ذلك أقوال رسله ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل كما قال تعالى : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ (الصافات : ١٨٠) أي عما يصفه الكفار المخالفون للرسول .
وقد قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (الشورى : ١١) وهو رد على الممثلة .
﴿ وهو السميع البصير ﴾ وهو رد على المعطلة .

وقد قال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (سورة الاخلاص) وإذا كان كذلك فهم في أمانتهم لم يقولوا ما قاله المسيح والأنبياء بل ابتدعوا اعتقاداً لا يوجد في كلام الأنبياء .
الوجه الثاني : أنهم ركبوا من ألفاظ - بسوء تصرفهم وفهمهم - تركيباً زعموا أن المسلمين يطلقونه ، وليس في القرآن ما يدل ظاهره على ما ذكروه فإن الله تعالى قال في كتابه : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ (المائدة : ٦٤) . واليهود أرادوا بقولهم : ﴿ يد الله مغلولة ﴾ أنه بخيل فكذبهم الله في ذلك ، وبين أنه جواد لا يبخل .

الوجه الثالث : أن ماجاء في القرآن والحديث هو مثل ماجاء في التوراة وسائر كتب الأنبياء وهذا الذي في التوراة وكتب الأنبياء ليس مما أحدثه أهل الكتاب ، ولو كانوا هم ابتدعوه ووصفوا الخالق بما يمتنع عليه من التجسيم لكان النبي ﷺ ذمهم على ذلك كما ذمهم على ما وصفوه به من النقائص مثل قوله تعالى : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ (آل عمران : ١٨١) .

الدعوى السادسة والرد عليها

« أن المسيح عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال فلا حاجة بعد إلى شرع آخر بل يكون ما بعد ذلك شرعاً آخر غير مقبول وأن محمداً ﷺ لم تبشر به النبوات بخلاف المسيح ، فإنه بشرت به النبوات ، وزعموا أن من لم تبشر به فليس نبي » .

فأجاب شيخ الإسلام بقوله : « إذا كان أهل الكتاب أكمل في العلوم النافعة والأعمال الصالحة ممن لا كتاب له فمعلوم أن أمتنا أكمل من طائفتي أهل الكتاب : اليهود والنصارى أعدل وقد جمع لهم محاسن ما في التوراة وما في الإنجيل - فليس عند أهل الكتاب فضيلة علمية ولا عملية إلا وأمة محمد ﷺ أكمل منهم فيها فأما العلوم فهم أحذق في جميع العلوم من جميع الأمم حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية ، كالطب والحساب ، وأما العلوم الإلهية والمعارف الربانية ، وما أخبرت به الأنبياء فكل من نظر فيها وقارنها بما قاله اليهود والنصارى وجد الأولى أكمل وأتم وبهذا يثبت فضل محمد ﷺ على غيره من الأنبياء وبالتالي يتضح لنا حاجة البشرية إلى هذه الرسالة ومنه نعرف فساد دعوى النصارى في قولهم : إن النصرانية جاءت بغاية الكمال وكذبوا على أنفسهم وعلى الله فما جاء بغاية الكمال إلا رسالة محمد ﷺ وما الإنجيل إلا مجموعة وصايا مكتملة لما نقص مما جاء في التوراة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الأدلة الدالة على صدق رسول الله ﷺ وبدأ بأعظمها فقال : والقرآن كلام الله وفيه الدعوة والحجة فله به اختصاص على غيره كما ثبت عنه ﷺ أنه قال : « ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » والقرآن يظهر كونه آية وبرهاناً له من وجوه جملة وتفصيلاً ، وآياته ﷺ المعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع :

الأول : منها ماهو في العالم العلوي كانشقاق القمر ، وحراسة السماء بالشهب

الحراسة التامة لما بعث ، وكمعراجة إلى السماء ، فقد ذكر الله انشقاق القمر وبين أنه فعله وأخبر به لحكمين عظيمين :

أولهما : كونه من آيات النبوة لما سأله المشركون آية فأراهم انشقاق القمر .
ثانيهما : أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك ، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السموات .

الثاني : آيات الجو .

الثالث : تصرفه في الحيوان والجن .

الرابع : تأثيره في الماء والطعام والثمار .

وقد تكلم شيخ الإسلام بما أثبتته القرآن من بشارات الأنبياء السابقين ثم عقب بنفس بشارات الأنبياء السابقين في الكتب السابقة - وكان آخر بشارة في الجزء الثالث هي بشارة دانيال وبما أتم به الجزء الثالث ، بدأ به الجزء الرابع .

قال شيخ الإسلام : وقال دانيال عليه السلام ، وذكر محمداً باسمه ﷺ ، فقال :
« ستترع في قسيك إغراقاً ، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءً » .

وقال أيضاً : سألت الله ، وتضرعت أن يبين لي ما يكون من بني إسرائيل ، وهل يتوب عليهم ؟ ويرد إليهم ملكهم ويبعث فيهم الأنبياء أو يجعل ذلك في غيرهم ؟ فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه فقال : السلام عليك يا دانيال إن الله يقول : إن بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا عليّ ، وعبدوا من دوني آلهة أخرى ، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل ، ومن بعد الصدق إلى الكذب فسلطت عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى ذراريهم ، وهدم مسجدهم ، وحرق كتبهم ، وكذلك فعل من بعده بهم ، وأنا غير راض عنهم ، ولا مقيلهم عشرات فلا يزالون في سخطي حتى أبعث مسيحي ابن العذراء البتول وأختم ذلك عليهم باللعن والسخط فلا يزالون ملعونين ، عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بني إسرائيل الذي بشرت به هاجر ، وأرسلت إليه ملاكي وبشرها ، وأوحى إلى ذلك النبي ، وأعلمه

الأسماء ، وأزينه بالتقوى وأجعل البر شعاره ، والتقوى ضميره والصدق قوله ، والوفاء طبيعته ، والقصد سيرته ، والرشد سنته ، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب ، وناسخ لبعض ما فيها ، أسري به إليّ ، وأرقيه من سماء حتى يعلو فأذنيه وأسلم عليه ، وأوحى إليه ، ثم أرده إلى عبادي بالسرور والغبطة ، حافظاً لما استودع صادقاً فيما أمر ، يدعو إلى توحيد باللين من القول ، والموعظة الحسنة ، لافظ ولا غليظ ، ولا صحّاب بالأسواق ، رءوف بمن والاه رحيم بمن آمن به ، خشن على من عاداه فيدعو قومه إلى توحيد وعبادتي ويخبرهم بما رأى من آياتي فيكذبونه ويؤذونه ثم سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ بما أملاه عليه الملك حتى أوصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا .

قال شيخ الإسلام : وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصارى يقرءونها ويقولون : « لم يظهر صاحبها بعد !!! »
وعموماً فلنا وقفة أخرى بإذن الله في هذا الكتاب نبين فيها دلائل نبوة رسول الله ﷺ .

إظهار الحق

لم يجد المبشرون الإنجليز بدأ من التهجم على ذلك الدين الذي يقف عقبة كأداء في سبيل إتمام غزوهم الثقافي والعقائدي ، وتناولوا عليه زوراً وبهتاناً ، خداعاً للعامّة وتمويهاً عليهم بأن في الإسلام ضعفاً وأنه لا يثبت أمام ديانتهم وأن دينهم الحق ، ولم يكتفوا بالطعن الشفوي ومحاولة التلبيس على العامّة بترهاتهم ، بل ألفوا في ذلك كتباً ورسائل يطعنون فيها الدين الإسلامي ويرمون بكل نقيصة ويجرحون نبي الإسلام ويسبونه بأشنع أنواع السباب وكان من أجرتهم القسيس (فنذر) الذي كان يعد نفسه أبرعهم وأعلمهم وأقدرهم على التكلم بالعربية والفارسية وأخذوا ينشرون أباطيلهم في الأسواق والمجتمعات والشوارع الهندية ، ويعقدون لذلك الندوات ولما استفحل أمرهم وكثر شرهم وخشي المسلمون الفتنة

انتدب الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي للرد على مفترياتهم فألف بعض الرسائل بعضها باللغة الأوردية وبعضها باللغة الفارسية ودعا القسيس (فندر) إلى مناظرته في محفل مشهود ومجلس عام ، وبعد تردد وتمنع من هذا القسيس تم الإتفاق على أن تقع بينهما المناظرة في الشبهات التي يثيرونها ، وأخيراً عقدت المناظرة بحضور القضاة والمفتين وكبار رجال الدولة الإنجليزية وكتاب دواوينهم بالهند وجمهور كبير سواهم في بلدة (أكبر أباد) في شهر رجب سنة ١٢٧٠ هجرية وكان يعاون القسيس فندر قسيس آخر اسمه (فرنج) ، ويعاون السيد رحمة الله بن خليل الرحمن مؤلف (إظهار الحق) ^(١) السيد محمد وزيرخان .

وابتدأت المناظرة في مسألة النسخ والتحرير فظهر تفوق السيد رحمة الله وتخاذل القسيس (فندر) ومعاونه أمام الحاضرين ولم يجد هذا القسيس بدأ من الإمتناع عن إتمام المناظرة ، وقد دُوّن ماجرى في هذه المناظرة من حجج كلا الجانبين وقام بالتدوين السيد عبد الله الهندي ، المترجم الثاني للدولة الإنجليزية بدار الحكومة في (أكبر أباد) ثم نقلها إلى اللغة الأوردية ، وأضاف إليها شهادة الكبار الذين حضروا تلك المناظرة ولما وجد السيد رحمة الله الهندي أن القسيس فندر ممتنع كل الإمتناع عن إتمام المناظرة ألف كتاب « إظهار الحق » والكتاب يقع في مجلدين في نحو من مائتي وألف صفحة ، وقد أفرد لكل مسألة من المسائل الخمس مبحثاً في باب مستقل وزاد باباً سادساً تناول فيه (العهدين القديم والجديد) .

وقد تناول في الكلام على العهدين القديم والجديد كل باب من أبوابها واستشهد من كلام مؤرخيهم وعلماهم على تبيان المطعون فيه من الأبواب والآيات وبيّن بالحجج الدامغة أنه لا يوجد لدى علمائهم في كلتا الديانتين سند متصل لأي كتاب من كتب العهدين ثم تناول بعد ذلك مافي كتب العهدين من الإختلاف والأغلاط . وبيّن أن ادعاءهم بأن هذه الكتب الموجودة بين أيديهم إلهامية ادعاء باطل وساق

١- راجع كتاب إظهار الحق ١- ٢٠ .

برهاناً على هذا البطلان سبعة عشر وجهاً لكثرة ما بها من أغلاط وتحريف واختلافات عجز مفسروهم عن التوفيق بينها ، ثم إن الكاثوليك والبروتستانت يختلفان في الإعراف ببعض هذه الكتب ، فما يعترف به الكاثوليك ينكره البروتستانت والعكس بالعكس وعقد باباً خاصاً وهو الباب الثاني لإثبات التحريف في كتب العهدين القديم والجديد مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ (المائدة : ٤١) .

وأثبت أن بعض هذا التحريف كان عن عمد ، وكان يأتي هذا التحريف أحياناً بالزيادة وأحياناً بالنقصان ، وأحياناً بالتبديل اللفظي وساق على التحريف بالزيادة خمسة وأربعين شاهداً ، كما ساق على التبديل اللفظي خمسة وثلاثين شاهداً ، واكتفى بهذا القدر مخافة الإطالة أما التحريف بالنقص فقد ساق عليه عشرين شاهداً ، كما أورد عدة مغالطات للمبشرين المسيحيين وفندها ببراہین ساطعة ، ثم نقل على سبيل الاستدلال أقوال هذه الإستدلالات من أقوالهم ثلاثين قولاً مما يدل على سعة الإطلاع ، وتتبع حريص لإقامة الحجة عليهم من كتبهم ، ثم أورد أموراً تثبت وقوع التحريف في كتبهم .

وعقد الباب الثالث لإثبات النسخ وأثبت بالأدلة القاطعة نسخ بعض الأحكام في الشريعتين الموسوية والمسيحية ، ثم برهن على أن الأحكام العملية للتوراة نسختها شريعة عيسى ، وأن لفظ النسخ موجود في كلام قديسيهم إلى غير ذلك من الأمور الهامة ، فالنسخ ليس وقفاً على الدين الإسلامي ولكنه كان عند اليهود والنصارى كذلك . وعالج في الباب الرابع قضية العقيدة المسيحية وهي قضية التثليث وساق من الحجج على بطلانها ما كان جديراً أن يلجم مناظريه لو أنهم ثبتوا أمامه في المناظرة وأنهى الجزء الأول وهو بصدد الإتيان بحججه الدامغة على بطلان عقيدة التثليث ولولا خشية الإطالة لأتينا بنبد تطلعنا على براعة المؤلف العلمية ودقته ونزاهته وإلزامه الحجة على خصمه وكيف يدينه بحجته ويلزمه أن يحفر عن حتفه

بظلمته فينقلب خاسئاً وهو حسير ، وإنك لتعجب حين تعيش مع مناظرة هذا الرجل وهو يناقش أية قضية كيف يأتي عليها من كل زاوية بدقة تامة وتجرد نزيه ثم يتناولها بالتفنيد والنقد من نفس المصادر التي يعتمد عليها الخصم ومن أقوال من يوثق بهم من علمائهم حتى يتضح الصبح لذي عينين ويبرهن على عبودية المسيح عليه السلام وعلى وجود التحريف والتناقض في الإنجيل والتوراة بعرض النصوص ومقابلتها مع بعضها وعلى تنزيه ساحة النبوة والأنبياء من كل نقيصة ومذمة كما يليق بمقامهم وقدرهم عليهم الصلاة والسلام مقام الرسالة التي أرسلهم الله بها لهداية الناس أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون وعلى أن القرآن الكريم لاتناقض فيه ولا اختلاف وأنه مكتوب في السطور محفوظ في الصدور ، هو من عند الله ييقن نزل به الروح الأمين على قلب محمد رسول الله ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين وأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، ولا يفوته رحمه الله أن يكرثانية بعد أن أجهز على خصمه وعلى مستمسكاته أن يدعم الحق بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليجمع بين الحجيتين وبذلك يكون قد أرجع الحق إلى نصابه وأثلج صدور المؤمنين وأذهب غيظ قلوبهم ورد كيد الأعداء في نحورهم وذهبت جهودهم أدراج الرياح .

إن الإسلام هو دين الله وقد تكفل سبحانه بنصرة دينه وإعلاء كلمته ، ولا بد للباطل الذي يصول ويجول من ضربة قاضية وصدمة عاتية تدعه هباء ليحرق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ، وقد بين الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾ (النجم : ٣-٤) بأنه لاتزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، وماخلت الأرض من قائم لله بحجة يقيمون حجج الله وبيناته على العباد ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فله الحمد على ذلك حمداً كثيراً كما يحب ربنا ويرضى .

مناظرة أحمد ديدات وسوجارت

كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: ماوردت الحق والحجة على أحد فقبلهما مني إلا هبته واعتقدت مودته ، ولا كابر في الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني .

وقال : ماناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ ، وقال : ماناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدّد ويُعان ، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ ، وماناظرت أحداً إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه ، وكان يقول : أشد الأعمال ثلاثة : الجود من قلة ، والورع في خلوة ، وكلمة الحق عند من يُرجي ويُخاف .

والمناظرة أسلوب وفن وقد يحتاج إليه الإنسان لمواجهة الخصوم ، وعليه أن يخلص عمله لله فلا يبتغي بذلك الرياء ومدحه وثناء الناس ، يُدعن للحق ويأخذه من كل من جاء به ويدور معه حيث دار ، رجاعاً للحق متى ظهر له ، لاتأسره الكلمات ولا المواقف التي بدرت منه طالما تبين خطأها ، عميق الإيمان بدينه واسع الإطلاع على ديانات غيره ، متمكن كل التمكّن من موضوعه ، له عارضة قوية في الجدل وسوق الحجة ، يعرف مواطن الضعف التي يتهمج على معارضيه منها كحالة رحمة الله في مناظرته لفنّدر فقد قرأ العهدين القديم والجديد كلمة كلمة وقرأ كل ماكتبه عنهما علماء اليهودية والمسيحية ، وكان من أبلغ حججه تلك الإستشهادات التي أوردها من أقوال مؤرخيهم ومفسريهم على تأييد قضيته .

وقد وقع في يدي ثلاثة أشرطة هي عبارة عن مناظرة أحمد ديدات للقس سوجارت - أخزاه الله وفضحه أثناء المناظرة وبعدها - وتساءلت عدة أسئلة بيني وبين نفسي وأنا أسمع هذه الأشرطة هب أن أحمد ديدات لم يكن بهذه البراعة وهذا التمكّن في إيراد الحجج وتفنيدها شبّهات الخصم ماذا كان سيحدث ؟ ولنفرض أن أحداً من علماء المسلمين لم ينهض للرد على سوجارت وأمثاله فهل نصف المسلمين بأنهم عجزوا عن الرد ؟ وتخيل جاهلاً قام لتفنيدها شبّهات سوجارت هل تضيع

بذلك معالم الحق والحقيقة في زحام اللجاجة والخصومة ؟ ولو أن البعض استمع للشبهة والسبب أو الآخر لم يستمع للرد ، أو راجت عليه الشبهة ، والتبس أمرها عليه ، فماذا يصنع من لا علم عنده ولا دراية لديه ؟! لقد ورد التحذير من مجالسة أهل البدع ، فلعله يعلق بقلبك شئ من بدعتهم دون أن تدري .

وكان ابن سيرين - وهو من أكابر علماء التابعين - إذا دخل عليه رجل يتكلم في القدر ، سد أذنيه وقال له : إما أن تخرج وإما أن أخرج ، ولما رأى النبي ﷺ في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة غضب وقال له : أهذه وأنا حياً بين أظهركم لقد جئتمكم بها بيضاء نقية ، والله لو كان موسى حياً لما حل له إلا أن يتبعني فبين بذلك صلوات الله وسلامه عليه عدم جواز الإهتداء بغير الكتاب والسنة ، كما وضع عالمية هذه الدعوة ، وأن كل من سمع بدعوته عليه أن يتابعه وأن موسى لو كان حياً زمن بعثته ﷺ لكان لزاماً عليه أن يتبعه .

إن المناظرة مع المبطلين تتطلب مؤهلات خاصة وكذلك سماع كلامهم والنظر في كتبهم ، ولذلك غضب النبي ﷺ لما رأى عمر ينظر في صحيفة التوراة وقال أهذا وأنا حياً بين أظهركم !! فالسلامة لا يعدلها شئ .

قصة لها مدلولها في ال- SOS

ذهبت يوماً إلى ملجأ الأيتام بالعامرية بالإسكندرية المسمى بالSOS ، وذلك لإلقاء كلمة للأيتام والمشرفات على الملجأ ، وأثناء جلوسي مع مدير الملجأ ، إذ دخل رجل ومعه مجموعة من الشباب ، فعلمت أنه مدرس الدين بمدرسة سان مارك! وهؤلاء الشباب من طلبة المدرسة ، أتوا العمل يوم رياضي وترفيهي مع الأيتام وعرضوا على مدير الملجأ كل العروض السخية - التي لا أستطيع أنا تقديم شئ منها - سواء مما يتعلق بإحتياجات الملجأ أو الأيتام ، فما كان من مدير الملجأ إلا أن وافق على إتمام اليوم الرياضي ، وأعطيت أنا الكلمة وانصرفت حزيناً . فهكذا تُدار الأمور ويتم التأثير على بعض أبناء المسلمين بالباطل وشبيه ذلك ما يفعلونه مع المرضى في

المستشفيات ومع ذوي الحاجات عندما يخرجون لهم من تحت الأسرة يقولون : إن المسيح بعث لك بهذه القارورة ، وإن العذراء أرسلت لك هذه القروش أو هذه الحلوى !!! وهذا لا يختلف عما فعلوه مع أبناء المسلمين في البوسنة وغيرها ، وما قصة سانجور منا ببعيدة فقد أخذه الفرنسيون من أبويه المسلمين ليتربى في فرنسا على أعينهم ويصير نصرانياً ، ثم عملوا له انقلاباً ليصبح رئيساً للوزراء ، ولتقام الجامعات باسمه وليكون حرباً على الإسلام وأهله .

إن هذا أسلوب من لاجحة عنده ولا إقناع لديه ، أسلوب المبشرين وفتتهم في كل مكان حلوا به سواء في أفريقيا أو غيرها ، فهم يريدون بشتى الوسائل وبمختلف الطرق الإنتهاء من هذا الدين ولا يشترط عندهم دخول الضحية في النصرانية بل يكفي أن يترك دينه مستغلين توالى المصائب على المسلمين وتصعد صفوفهم وبرود العاطفة الإيمانية في قلوبهم من جهة ، والإنخداع بالحضارة الغربية وانفتاح مباحج الحياة عليهم من جهة أخرى .

في صخب هذه الموجة الهوجاء والفتنة الممزقة لوحدة الصف الإسلامي المخدرة للحس الديني نشط أعداء الإسلام للدعوة إلى باطلهم المّمّوه بخبث ودهاء تارة وبالإغراء والتهديد تارة أخرى ، فانجذب إليهم مرضى النفوس وضعاف الإيمان الذين تنكروا لدينهم ومبادئهم القيمة ، وقيمهم العريقة الأصيلة وعز عليهم أن يفارقوا ما ألفوه من متعة وشهوة ومركز يعود عليهم بعرض من الدنيا قليل فاستعلن أمر الضلال وتبجح الباطل في غرور .

وساعد على نشر الكفر البواح ، القول بحرية الرأي والحرية الشخصية وحرية التعبير ، مما هو موجود في الأنظمة الديمقراطية ، فخرجوا يتحدون المعتقدات الإسلامية ويهاجمون العلماء ليصلوا إلى هدفهم من إثبات ألوهية عيسى عليه السلام وأحقية دين المسيح المخلص للعالم بزعمهم وشنوا حملة لاهوادة فيها على طبقات الشعب المسلم يوردون عليه شبهات وأوهاماً وتفسيرات حسب أهوائهم

يقتطعونها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يلبسونها ثوب الحق ويدعون أحقيتها زوراً وبهتاناً .

إن صيانة عقيدة هذه الأمة من عبث المغرضين الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، يُعتبر من أفضل القربات وأعظم الطاعات التي ترضي خالق الأرض والسموات ، فعلى كل مسلم أن يقوم لله بحقه نصحاً وبيانا ، وصيانة لنفسه ولغيره . إن أعداء الإسلام لم يكتفوا بالغزو العسكري لهذه الأمة ، بل حاولوا جاهدين أن يمسخوا شخصيتها ويحو لغاتها ويغيروا دياناتها وزرعوا المدارس التبشيرية وغيرها في وسطها لينشكروا المسلمين في عقائدهم ويتهجمون على شعائرتهم ليكون خضوعهم لهم تاماً ، فلا تقوم لهم قائمة ولكن هيهات أن يتم لهم ذلك فالله غالب على أمره ، وتم نوره ولو كره الكافرون .

دلائل النبوة وشمائل الرسول ﷺ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوي ج ١١ ص ٣١٥ : « وقد جمع لنا محمد ﷺ جميع أنواع المعجزات والخوارق : أما العلم والأخبار الغيبية والسمع والرؤية فمثل أخبار نبينا ﷺ عن الأنبياء المتقدمين وأممهم مخاطباته لهم وأحواله معهم ، وغير الأنبياء من الأولياء وغيرهم بما يوافق ما عند أهل الكتاب الذين ورثوه بالتواتر أو غيره من غير تعلم له منهم ، وكذلك إخباره من أمور الربوبية والملائكة والجنة والنار بما يوافق الأنبياء قبله من غير تعلم منهم ، ويعلم أن ذلك موافق لقول الأنبياء تارة بما في أيديهم من الكتب الظاهرة ونحو ذلك من النقل المتواتر وتارة بما يعلمه الخاصة من علمائهم وفي مثل هذا قد يستشهد بأهل الكتاب وهو من حكمة إبقائهم بالجزية وتفصيل ذلك ليس هذا موضعه .

فإخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها هو من « باب العلم الخارق » وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلية مثل مملكة أمته وزوال مملكة فارس والروم وقاتل الترك وألوف مألوفة من الأخبار التي أخبر بها مذكور بعضها في « كتب دلائل النبوة » و« سيرة الرسول » و« فضائله » و« كتب التفسير » و« الحديث » و« المغازي » مثل دلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي وسيرة ابن اسحاق وكتب الأحاديث المسندة كمسند الإمام أحمد والمدونة كصحیح البخاري ، وغير ذلك مما هو أيضاً في « كتب أهل الكلام والجدل » : كأعلام النبوة للقاضي عبد الجبار وللماوردي ، والرد على النصارى للقرطبي ، ومصنفات كثيرة جداً ، وكذلك ما أخبر عنه غيره مما وجد في كتب الأنبياء المتقدمين ، وهي في وقتنا هذا اثنان وعشرون نبوة بأيدي اليهود والنصارى كالتوراة والإنجيل ، والزبور ، وكتاب أشعيا وحقوق ، ودانيال ، وأرميا وكذلك أخبار غير الأنبياء من الأخبار والرهبان وكذلك أخبار الجن والهواتف المطلقة ، وأخبار الكهنة كسطيح وشق وغيرهما ، وكذلك المنامات وتعبيرها : كمنام كسري وتعبير المرزدان ، وكذا أخبار الأنبياء

المتقدمين بما مضى وما عبر هو من أعلامهم .

وأما « القدرة والتأثير » فإما أن يكون في العالم العلوي أو مادونه ، ومادونه إما بسيطاً أو مركب والبسيط إما الجو وإما الأرض ، والمركب إما حيوان وإما نبات وإما معدن والحيوان إما ناطق وإما بهيم ، فالعلوي كانشقاق القمر ، ورد الشمس ليوشع بن نون وكذلك ردها لما فاتت علياً الصلاة والنبي ﷺ نائم في حجره - إن صح الحديث - فمن الناس من صححه كالطحاوي والقاضي عياض ، ومنهم من جعله موقوفاً كأبي الفرج بن الجوزي وهذا أصح ، وكذلك معرجه إلى السموات ، وأما الجو فاستسقاؤه واستصحائه غير مرة : كحديث الأعرابي الذي في الصحيحين وغيرهما وكذلك كثرة الرمي بالنجوم عند ظهوره وكذلك إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

وأما « الأرض والماء » فكاهتزاز الجبل تحته وتكثير الماء في عين تبوك وعين الحديدية ونبع الماء من بين أصابعه غير مرة ومزادة المرأة ، وأما « المركبات » فتكثيره للطعام غير مرة في قصة الخندق من حديث جابر وحديث أبي طلحة وفي أسفاره وجراب أبي هريرة ونخل جابر بن عبد الله وحديث جابر وابن الزبير في انقلاع النخل له وعوده إلى مكانه وسقيا لغير واحد من الأرض كعين أبي قتادة . وهذا باب واسع لم يكن الغرض هنا ذكر أنواع معجزاته بخصوصه وإنما لغرض التمثيل .

وأما القدرة التي لم تتعلق بفعله فمثل نصر الله لمن ينصره وإهلاكه لمن يشتمه أ- هـ .

كلام الماوردي في اثبات النبوات عامة ونبوة رسول الله ﷺ خاصة

قال الماوردي ^(١): فيستدل على إثبات النبوات من خمسة أوجه وإن اشتملت تلك

الأجوبة على بعضها :

أحدها : أن الله تعالى منعم على عباده بما يرشدهم إليه من المصالح ولما كان في

بعثة الرسل ما لتدركه العقول كان إرسالهم من عموم المصالح التي تكفل بها .

الثاني : أن فيما تأتي به الرسل من الجزاء بالجنة ثواباً على الرغبة في فعل الخير

وبالنار عقاباً يبعث على الرهبة في الكف عن الشر ، صاراً سبباً لائتلاف الخلق

وتعاطي الحق .

الثالث: أن في غيوب المصالح ما لا يعلم إلا من جهة الرسل فاستفيد بهم مالم

يستفيد بالعقل .

الرابع : أن التأله لا يخلص إلا بالدين والدين لا يصلح إلا بالرسول المبلغين عن

الله تعالى ما كلفت .

الخامس : أن العقول ربما استكبرت من موافقة الأكفاء ومتابعة النظراء ، فلم

يجمعهم عليه إلا طاعة المعبود فيما أذاه رسله ، فصارت المصالح بهم أعم ،

والإتقان بهم أتم والشمل بهم أجمع والتنازع بهم أمتع قال ^(٢) : وقد قدمنا أقسام

المعجزات فإذا ظهرت إحداهن حجت ودلت على صحة النبوة وقد ظهر في نبوة

محمد ﷺ أكثرها مع ما تقدمها من إنذار وظهر بها من آثار وتحقق بها من أخبار

فصارت أعلم بالنبوات إعجازاً وأوضحها طريقة وإمتميزاً وأكثرها تأييداً إلهياً وتعبداً

شرعياً تقهر شواهدا من باين وعائد وتجعد دلالتها من ناكرو وجاحد ولم تنزل

أمارات النبوة لائحة في رسول الله ﷺ حين تدرج إليها وهو غافل عنها وغير متصنع

١- أعلام النبوة (٢٥) .

٢- أعلام النبوة للماوردي ٥٦ ، ٥٧ .

لها فنهض بأعبائها حين أتته ، وقام بحقوقها حين لزمته غير ذاهل فيها ولا عاجز عنها إلى أن تكامل به الشرع فتم على أصل مستقر وقياس مستمر لا يدفعه عقل ولا ياباه قلب ولا تنفر منه نفس وهذا وهو أُمِّي لم يقرأ كتاباً ولا اكتسب علماً فأوضح كل ملتبس ، ويبيّن كل مشتبه ، حتى رجع كثير من الملل إلى شريعته في علم ما قصروا عنه من حقوق وعقود استوعب أقسامها ويبيّن أحكامها وماذاك إلا بعون إلهي وتأييد لاهوتي وحسبك بهذا شاهداً لو اقتصرنا عليه ، وحجاجاً لو اكتفينا به ولكن سنذكر من معجزاته الفاخرة وبراهينه الواضحة ، ما يرد كل جاحد ، ويصد كل معاند من أنواع متغايرة وأخبار متواترة وآثار متظاهرة ، يصدق بعضها بعضاً ليكون تغايرها جامعاً لكل برهان ، وتظاهرها دافعاً لكل بهتان فمنها ماتقدمه من نذير وبشير ومنها ماتعقبه من تغيير وتأثير ومنها ما قارن من أقوال وأفعال صدرت منه وإليه فلم يبق من الآيات ما أخل به ، ولا من الأعلام ما قصر فيه أ. هـ .

ماذا حول أهمية الرسول ﷺ (١)

وردت كلمة (أُمِّي) بلفظها المفرد مرتين في القرآن الكريم وكلتاها وصف للرسول بالأمية التي تعني عدم القراءة والكتابة ، وهي إشارة واضحة إلى المعجزة التي جاء بها رسول الله ﷺ تدعو الناس إلى الإيمان به واتباعه ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ (الأعراف : ١٥٧) وفيها نبأ عظيم يشهد بأن بني إسرائيل قد جاءهم اليقين بالنبي الأُمِّي ، على يدي نبيهم موسي ، ونبيهم عيسى (عليهما السلام) - منذ أمد بعيد جاءهم الخبر اليقين ببعثته ، وبصفاته وبمنهج رسالته ، وبخصائص ملته ، فهو النبي الأُمِّي .

وجاء في السورة ذاتها قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ . فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ

١ - كتاب لعلي شواح اسحق .

الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون ﴿ (الأعراف : ١٥٨) وفي هذه الآية توجه الخطاب إلى النبي الأمي ﷺ يأمره بإعلان الدعوة إلى الناس جميعاً... وهي الرسالة الأخيرة ومن ثم حملها النبي الأمي الذي لم يدخل على فطرته الصافية إلا تعليم الله . فلم تشب هذه الفطرة شائبة من تعليم الأرض ومن أفكار الناس ليحمل رسالة الفطرة إلى فطرة الناس جميعاً .

قال محمد بن جرير الطبري : إن الأمي عند العرب هو الذي لا يكتب نسبة إلى أمه ، لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء فُنُسِبَ من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه كما ذكرنا عن النبي ﷺ من قوله : « **إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب** » ، وقد فُسر هذا الوصف في سورة العنكبوت قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ، إذا لارتاب المبطلون** ﴾ (العنكبوت : ٤٨) .

إن سياق النص مثل الآية يتحدث عن إيمان بعض أهل الكتاب بالقرآن ، على حين يكفر به المشركون الذين أنزل الله الكتاب على نبيهم غير مقدرين لهذه المنة الضخمة ولا مكتفين بهذا الفضل المتمثل في تنزيل الكتاب على رسول منهم يخاطبهم به ، ولم يكن يتلو من قبله كتاباً ولا يخطه بيمينه فتكون هناك أدنى شبهة في أنه من عمله وتأليفه .^(١)

أنزل الله على نبيه القرآن الكريم وهونبي أمي لا يقرأ ولا يكتب فسمعه كل من قرأ وكتب ، ومن قال الشعر من أصحاب المعلقات أو غيرهم ممن شهر وعرف في الشعر والفصاحة والبلاغة ، فأطرق وأدرك أن هذا الكلام ليس من صنع البشر ، وليس بمقدور أحد أن يأتي بمثله مهما أوتي من قوة الكلم .

وقد دارت افتراضات عدة من مشركي العرب حول هذا الذي جاء به الرسول

وأنزل عليه من السماء ؟ .

١ - ظلال القرآن ٦ - ٤١٩ .

افترضوا أن يكون أحد من الناس علّم النبي ﷺ ، القرآن وضاع صوابهم فقالوا :
لقد علمه غلام رومي أعجمي يشتغل في مكة (قينا) يعني حداداً فرد عليهم القرآن
الكريم ففند أقوالهم ، قال تعالى : ﴿ لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان
عربي مبين ﴾ (النحل : ١٠٣)

وحين أسقط في أيديهم قالوا : ﴿ أساطير الأولين اكتبها فهي
تملى عليه ﴾ (الفرقان : ٥) .

وذهب ملاحدة المثقفين مذهباً آخر فقالوا : إن بحيرا الراهب هو الذي أملاه عليه
وقد كان رسول الله طفلاً في طريقه إلى الشام برعاية عمه أبي طالب ورآه بحيرا لمدة
لا تتجاوز استراحة المسافر ، فهل رأيتم ذكاء الملاحدة !؟ .

فلما فشلوا ثانية قالوا علمه ورقة بن نوفل فجاء القرآن العظيم يضرب أقوالهم عرض
الحائط ويسفه أحلامهم بتحديه لهم أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا جميعاً وتساهل
معهم لعلمه بعجزهم ، فتحدهم بعشر سور مثله ، ولو كانت مفتريات فعجزوا
عنها فتحدهم أن يأتوا بسورة واحدة فقال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم
تفعلوا ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾

(البقرة : ٣٣) . فعجزوا تماماً وفشلوا جميعاً خطباؤهم وشعراؤهم وهم أمة
البيان والفصاحة ، وأصحاب المهنة ، وحين تم عجزهم أعلن القرآن الكريم هذه
الحقيقة النهائية قال تعالى : ﴿ قل لمن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ (الإسراء : ٨٨) .

وهكذا فأنت ترى أن معجزة كل نبي كانت من جنس ما برع فيه قومه فقد غلب
نبي الله موسى السحرة ولم يتعلم السحر وكذلك غلب نبي الله عيسى الأطباء ولم
يكن طبيباً ، وكذلك كان رسول الله ﷺ أمياً يتحدى كل متعلم أن يأتي بما جاء به
ليعلم الناس أن ماجاء به من عند الله ، فكان القرآن الكريم معجزة آخر رسول

يرسله الله لعباده ، وجعله أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، حتى إذا جاءهم بالقرآن أذهلوا ،
وعلموا أن مايقوله ليس من كلام البشر .

كان الوليد بن المغيرة وهو عم أبي جهل - قد سمع القرآن من رسول الله ﷺ
فقال لقومه بني مخزوم : والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ماهو من كلام
الإنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن
أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ومايعلو عليه فقالت قريش : صبأ والله الوليد لتصبأن
قريش كلها فقال أبو جهل : « أنا أكفيكموه » فتوجه إليه وقعد حزينا وكلمه بما أحماه
، فقام فاتاهم ، فقال : تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يهوس ؟
وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن ؟

وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط ؟
وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب ؟
فقالوا : كل ذلك اللهم لا .

وكون النبي ﷺ أمياً لايعني أنه لم يكن فصيحاً ، ثم لو كان النبي ﷺ متعلماً لبقى
القرآن معجزة عظيمة للبشر كافة ، بعلومه ومعارفه ، وأخباره الماضية والمستقبلية ،
فالعقل الإنساني - عبر العصور وكر الدهور - قد عجز عن مواجهة التحدي وكان
هذا اعترافاً منه بأنه وحي الله إلى رسول الله ﷺ فمن الله الرسالة وعلى الرسول
البلاغ وعلينا التسليم .

معجزة القرآن الكريم

معجزات رسول الله ﷺ كثيرة وأعظمها معجزة القرآن الكريم فهو حبل الله المتين
والذكر الحكيم والصراط المستقيم ، من عمل به أُجر ومن حكم به عدل ، ومن دعا
إليه هُدي إلى صراط مستقيم ، لاتشيع منه العلماء ولا تلتبس به الألسن ولا تزيغ به
الأهواء ومن تركه واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ماتولي وأصلاه جهنم وساءت
مصيراً .

يقول الرافعي : « ما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجاز وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتفاه العلماء من كل جهة ، وتعاوره من كل ناحية وأخلقوا جوانبه بحثاً وتفتيشاً ثم هو بعد لا يزال عندهم على كل ذلك خلقاً جديداً وأمرأ بعيداً » .

إن القرآن الكريم هو كلام الله ، أنزله على رسول الله ﷺ وتعبداً بتلاوته ، يقول النبي ﷺ « مامن الأنبياء نبي إلا أعطي مامله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » رواه البخاري .

ولما كان معجزة كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره والشائع المنتشر في ناس دهره وقد بُعث رسول الله ﷺ في عصر الفصاحة والبلاغة خُص بالقرآن في إيجازه وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء وأذعن له البلغاء وتبلد فيه الشعراء ليكون العجز عنه أقهر والتقصير فيه أظهر فصارت معجزاتهم وإن اختلفت متشاكلة المعاني متفقة العلل ، ثم المعجز في كل قوم بحسب أفهامهم وعلى قدر عقولهم وأذهانهم وكان في بني إسرائيل من قوم موسى وعيسى بلادة وغباوة لأنه لم ينقل عنهم ما يدون من كلام مستحسن ، أو يستفاد من معنى مبتكر ، وقالوا لنبيهم حين مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، فخصوا من الإعجاز بما يصلون إليه ببداية حواسهم ، والعرب أصح الناس أفهاماً وأحدهم أذهاناً قد ابتكروا من الفصاحة أبلغها ومن المعاني أغربها ، ومن الآداب أحسنها فخصوا من معجز القرآن بما تجول فيه أفهامهم وتصل إليه أذهانهم فيدركوه بالفطنة دون البديهة وبالروية دون البادرة لتكون كل أمة مخصوصة بما يشاكل طبعها ويوافق فهمها وكانت معجزة القرآن أبقى على الأعصار وأنشر في الأقطار بعكس معجزات سائر الأنبياء التي انتهت بإنقراض عصرهم .

واعجاز القرآن في خروجه عن كلام البشر وإضافته إلى الله تعالى يكون من أوجه كثيرة ذكرها العلماء :

١ - من إعجازه إيجازه ، بحيث ترد المعاني الكثيرة في كلمات قليلة مثل قوله تعالى: ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي ، وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾ (هود : ٤٤) .

ومثل: ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ (القصص : ٧) .
فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين .

٢ - ومن إعجازه ما جمعه القرآن من علوم لا يحيط بها بشر ولا تجتمع في مخلوق فلم يكن إلا من عند الله المحيط بكل شيء علماً حتى علمه من لم يكن به عالماً وقد تضمن من الحجج والبراهين ما قطع بحججه كل محتج وخصم بدلائله كل خصم ألد ، وفيه من أخبار القرون الخالية وقصص الأمم السالفة ما تحدى به أهل الكتاب قصة أهل الكهف^(١) وشأن موسى والخضر وحديث ذي القرنين فكان على ما ذكره أنبياءهم وتضمنته كتبهم .

٣ - ومن إعجازه ما تضمنه من علم الغيب بأخبار تكون فكانت ، كقوله لليهود : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ (البقرة : ٩٥) ثم قال: ﴿ ولن يتموه أبداً بما قدمت أيديهم ﴾ فما تمناه أحد منهم .

وكقوله لقريش: ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾ (البقرة : ٢٤) فقطع بأنهم لا يفعلون فلم يفعلوا ، أو كقوله ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ (القمر : ٤٥) وكان ذلك في يوم بدر ، وكقوله تعالى في هجرته من مكة إلى المدينة: ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ (القصص : ٨٥) فأعاده الله إلى مكة عام الفتح إلى غير ذلك من نظائره وفيه من الأخبار بضمائر القلوب التي لا يصل إليها إلا علام الغيوب كقول تعالى: ﴿ إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا ﴾ (آل عمران : ١٢٢)

١ - انظر قصص القرآن عظات وعبر - للمؤلف .

من غير إن يظهر منهم قول أو يوجد منهم فشل ، وكقوله تعالى : ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ (الأنفال : ٧) فكان كقوله وإن لم يتكلموا به إلى غير ذلك من نظائره وقد تكفل الله بحفظه فقال سبحانه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فحفظته السطور والصدور ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، ونقل لنا نقلاً متواتراً حتى صار من الزلل مضبوطاً ، ومن التبديل محفوظاً ، تستمر به الأعصار على شاكلته ، وتتداوله الألسن مع اختلاف اللغات على نظمه وصفته لا يختلف بتعاقب الأزمنة ولا يختل بتباعد الأمكنة ، ولا يتغير باختلاف الألسنة فهل كان مثل ذلك لسائر الكتب السابقة ؟

٤ - فمن إعجازه تيسيره على جميع الألسنة حتى حفظه الأعجمي الأبكم ، ودار به لسان القبطي الألكن ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه ، ولا تجري به ألسنة البكم كجريها به وماذا إلا بخصائص إلهية فضله بها على سائر كتبه .

٥ - ومن إعجازه عجز الأمم جميعاً عن معارضته ، وقد تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ، فلم تخرجهم أنفة التحدي وصبروا على نغص العجز مع شدة حميتهم وقوة أنفثتهم وقد سفه أحلامهم وسب أصنامهم ، ولو وجدوا إلى المعارضة سبيلاً لعارضوه ، ولما عدلوا عنه إلى بذل نفوسهم في قتاله وسفك دمائهم في محاربتة ، فإذا ثبت إعجاز القرآن من هذه الوجوه كلها ، صح أن يكون كل واحد منها معجزاً فإذا جمع القرآن سائرهما كان إعجازه أقهر وحججه أظهر .

من هذا العرض الموجز السريع يتضح لك وجه إعجاز القرآن ، وإلا فقد ذكر البعض أن القرآن معجز ببلاغته التي وصلت إلى مرتبة لم يعهد لها مثيل ، أو أن وجه إعجازه في تضمينه البديع الغريب المخالف لما عهد في كلام العرب من الفواصل والمقاطع وقال آخرون بل إعجازه في الإخبار عن المغيبات المستقبلية التي لا يُطلع عليها إلا بالوحي - أو الإخبار عن الأمور التي تقدمت منذ بدء الخلق بما

لا يمكن صدوره من أمي لم يتصل بأهل الكتاب كقوله تعالى في أهل بدر: ﴿ سيهزم
الجمع ويولون الدبر ﴾ (القمر : ٤٥) .

وقوله تعالى: ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ﴾ (الفتح : ٣٧) .

وقوله تعالى: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الأرض ﴾ (النور : ٥٥) .

وقوله تعالى: ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
من قبل هذا ﴾ (هود : ٤٩) .

وذكر البعض أن القرآن معجز لما تضمنه من العلوم المختلفة والحكم البليغة ،
وذهب البعض إلى أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان
هذا الصرف خارقاً للعادة .

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: « وما يبطل القول بالصرفة ، أنه لو كانت
المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة ، لم يكن الكلام معجزاً ، وإنما يكون المنع
معجزاً ، فلا يتضمن الكلام فضلاً على غيره في نفسه » فالقول بالصرفة قول فاسد
يرد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (الإسراء : ٨٨) .

فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة
لاجتماعهم لمنزلة منزلة اجتماع الموتى ، وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره ،
وقد ذكر الماوردي أن الصرفة إعجاز على القولين معاً في قول من نفاها وأثبتها .
والحقيقة^(١) أن القرآن معجز بكل ما يتحمله هذا اللفظ من معنى ، في ألفاظه
وأسلوبه ، فالحرف الواحد منه في موضعه من الإعجاز الذي لا يغني عنه غيره في
تماسك الكلمة ، والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسك الجملة ، والجملة في
موضعها من الإعجاز في تماسك الآية ، وهو معجز في بيانه ونظمه ، يجد فيه

١- باختصار وتصرف من علوم القرآن لمناع القطان .

القارئ صورة حية للحياة والكون والإنسان ، وهو معجز بعلومه ومعارفه ، التي أثبت العلم الحديث كثيراً من حقائقها المغيبة ، وهو معجز في تشريعه وصيانتها لحقوق الإنسان ، والقرآن هو الذي صير العرب رعاة الشاء والغنم ساسة شعوب وقادة أمم ، وهذا وحده إعجاز .

قال الخطابي في كتابه « بيان إعجاز القرآن » : « فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ ، في أحسن نظوم التأليف ، متضمناً أصح المعاني ، من توحيد الله وتنزيهه في صفاته ، ودعاء إلى طاعته ، وبيان لمنهاج عبادته ، في تحليل وتحريم ، وحظر وإباحة ، ومن وعظ وتقوم ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق ، وزجر عن مساوئها ، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ، ولا يتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه ، مودعاً أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلثات الله بمن عصى وعاند منهم ، منبثاً عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الماضية من الأمان جامعاً في ذلك بين الحجّة والمحتج له ، والدليل والمدلول عليه ، ليكون ذلك أوكد للزوم مادعا إليه ، وإنباءً عن وجوب ما أمر به ونهى عنه ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمرٌ تعجز عنه قوي البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه ، وعجزوا عن معارضته بمثله » أ . هـ

وقد ذهب البعض إلى أن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن لا ببعضه ، أو بكل سورة برأسها ، أو أن المعجز منه القليل والكثير دون تقييد بالسورة لقوله تعالى : ﴿ فليأتوا بحديث مثله ﴾ (الطور : ٣٤) وقيل الإعجاز يتعلق بسورة تامة ولو قصيرة ، أو قدرها من الكلام كآية واحدة أو آيات ، ولقد وقع التحدي بالقرآن كله ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ﴾ (الإسراء : ٨٨) .
وبعشر سور : ﴿ فأتوا بعشر سور مثله ﴾ (هود : ١٣) ، وبسورة واحدة : ﴿ فأتوا بسورة مثله ﴾ (يونس : ٣٨) ، وبحديث مثله : ﴿ فليأتوا بحديث مثله ﴾ (الطور : ٣٤)

وهكذا . فأنت ترى الإعجاز في أصوات حروفه ووقع كلماته ، كما تجد في الآية والسورة فالقرآن كلام الله وكفى ، وأياً كان وجه الإعجاز ، أو القدر المعجز ، فإن طالب الحق إذا نظر في القرآن من أي النواحي أحب : من ناحية أسلوبه ، أو من ناحية علومه ، أو من ناحية الأمر الذي أحدثه في العالم وغيره وجه التاريخ ، أو من تلك النواحي مجتمعه ، وجد الإعجاز واضحاً جلياً .

إعجاز القرآن العلمي

القرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية ، وإعجازه العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتبدل وإنما في حثه على التفكير والنظر في ملكوت السموات والأرض وليس ثمة كتاب من الكتب السابقة يكفل هذا بمثل ما يكفله القرآن ، فأى مسألة من مسائل العلم ، أو قاعدة من قواعده ، يثبت رسوخها ، ويتبين يقينها ، تكون محققة لما حث عليه القرآن من تفكير سليم ، ولا تتعارض معه بحال من الأحوال ، وقد تقدمت العلوم وكثرت مسائلها ولم يتعارض شيء ثابت منها مع آية من آيات القرآن ، وهذا وحده إعجاز ، ويخطئ من يحرص على أن يتضمن القرآن الكريم كل نظرية علمية ، وكلما ظهرت نظرية جديدة إلتمسوا لها محملاً في آية يتأولونها بما يوافق هذه النظرية ، وكما هو معلوم فإن النظريات تتجدد وكثير من القواعد العلمية التي ظن الناس أنها أصبحت من المسلمات تتزعزع بعد ثبوت ، وتتقوض بعد رسوخ ثم يستأنف الباحثون تجاربهم فيها مرة أخرى ، وبالتالي فالذين يحرصون على أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر في أفق الحياة العلمية ، يسيئون إلى القرآن من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعا .

ويقول الأستاذ سيد قطب في تفسير قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلة ، قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ (البقرة : ١٨٩) « اتجه الجواب إلى واقع حياتهم العملي لا إلى مجرد العلم النظري ، وحدثهم عن وظيفة الأهلة في واقعهم وفي حياتهم ولم يحدثهم عن الدورة الفلكية للقمر وكيف تتم ؟ وهي داخلة في مدلول السؤال

إن القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك النظريات الجزئية ، ولم يجئ ليكون كتاب علم فلكي ، أو كيماوي أو طبي كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم ، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يلتمسوا مخالفاته لهذه العلوم ، إن كلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب ووظيفته ومجال عمله ، إن مجاله هو النفس الإنسانية والحياة الإنسانية ، وإن وظيفته أن ينشئ تصوراً تاماً للوجود وارتباطه بخالقه ، ولو وضع الإنسان في هذا الوجود وارتباطه بربه ، وأن يقيم على أساس هذا التصور نظاماً للحياة يسمح للإنسان أن يستخدم كل طاقاته ومن بينها طاقته العقلية ، التي تقوم هي بعد تنشئتها على استقامة ، وإطلاق المجال لها لتعمل - بالبحث العلمي - في الحدود المتاحة للإنسان وبالتجريب والتطبيق ، وتصل إلى ما تصل إليه من نتائج ، ليست نهائية ولا مطلقة بطبيعة الحال وإنني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه ، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها كأنما ليغضموه بهذا ويكبروه إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة أما ما يصل إليه البحث الإنساني - أيا كانت الأدوات المتاحة له - فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة وهي مقيدة بحدود تجاربه وظروف هذه التجارب وأدواتها ، فمن الخطأ المنهجي - بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته - أن تعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية وهي كل ما يصل إليه العلم البشري - هذا بالقياس إلى الحقائق العلمية ، والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض التي تسمى « علمية » فهي قابلة دائماً للتغيير والتعديل والنقص والإضافة ، بل قابلة لأن تنقلب رأساً على عقب ، بظهور أداة كشف أو بتفسيرات جديدة لمجموعة الملاحظات القديمة وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة أو حتى بحقائق علمية

ليست مطلقة كما أسلفنا - تحتوي أولاً على خطأ منهجي أساسي كما أنها تنطوي على معان ثلاثة ، كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم .

الأولى : هو الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع ، ومن يحاولون تثبيت القرآن بالعلم ، أو الإستدلال له من العلم ، علي حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه ، ونهائي في حقائقه ، والعلم مايزال في موضوعه ينقض اليوم ماأثبه بالأمس ، وكل ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق ، لأنه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته ، وكلها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة .

والثانية : سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناء يتفق - بقدر ماتسمح طبيعة الإنسان النسبية - مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي ، حتى لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله ، بل يصادفه ويعرف بعض أسرارهِ ، ويستخدم بعض نواميسه من خلافته ، نواميسه التي تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق ، وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب له ليعمل لا ليتسلم المعلومات المادية جاهزة .

الثالثة : هي التأويل المستمر - مع التمحل والتكلف - لنصوص القرآن كي نحملها ونلث بها وراء الفروض والنظريات التي لاتثبت ولا تستقر ، وكل يوم يجد فيها جديد أ . هـ .

اشارات علمية سبقت مساق الهداية

إن القرآن هو كلام الله نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين ، وكان كتاباً صالحاً لكل زمان ومكان ، يأخذ بالعقول والألباب ، ويهدي للتي هي أقوم في كل ناحية من نواحي الحياة .

وقد برهن سبحانه على صحة القرآن وأنه تنزيل من رب العالمين ، ولا زالت الحقائق العلمية وغيرها تتكشف وليس فيها ما يخالف آية من كتاب الله تعالى وكما

قرر ابن تيميه وغيره فليس هناك تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح ، فإذا حدث
فإما أن يكون النقل غير صحيح ، وإما أن يكون العقل غير صريح ، وعلى كل حال
فلا بد من تقديم النقل على العقل ، إذ العقل دال ، على الرسول ثم عزل نفسه ،
أوهو بمشابهة دابة توصلك لقصر السلطان ثم لا تدخل بها عليه قال تعالى : ﴿ فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما
قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (النساء : ٦٥) .

وقال سبحانه : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم
الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ (النور : ٣٦) .
والواجب علينا أن نرجع في فهم الكتاب والسنة للعلماء الراسخين : ﴿ ولو رده
إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ (النساء : ٨٣)
وكون القرآن كتاب هداية لا يمنع من ورود إشارات علمية سيقت مساق الهداية ،
هذه الإشارات تعقد من أجلها المؤتمرات في الطب والفلك وغيره ... بين حين وآخر
قال تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الأفاق ، وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾
(فصلت : ٥٣)

وقد أمرنا أن نتلو القرآن حق تلاوته وأن نتدبره حق تدبره ، فقال سبحانه :
﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (النساء : ٨٢) .
وقد أمر جل وعلا عباده بإطلاق البصر للتدبر والتأمل في الآيات المبثوثة على
صفحات الكون : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات
لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق
السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فكنا عذاب النار ﴾
(آل عمران : ١٩٠ - ١٩١) وهذا المعنى مذكور في مواضع كثيرة من كتاب الله .
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد .

وقد ذكر البعض أن القرآن يفقد كثيراً من إعجازه اللغوي البياني إذا ترجمت

معانيه، ولا بد أن تُترجم ليطلع عليه غير المسلمين ، إلا أن معاني الهداية والتشريع الماثورة بين دفتي المصحف ستظل تهدي هذه البشرية الحائرة وتقودها إلى بر الأمان بإذن الله ، هذا بالإضافة للإعجاز العلمي الذي يسبق العلماء ويتقدم الكشوف العلمية .

ولاشك أن العصر الذي نعيشه هو عصر الإنبهار بالعلم والإفتتان به ، فبيان هذا الإعجاز العلمي أَدعى للإيمان بالقرآن والتصديق بأنه تنزيل من رب العالمين وخصوصاً عند هؤلاء ، ففي كتاب الله عشرات الآيات اشارات علمية تزداد عظمة ووضوحاً كلما تقدم العلم ، ولا يخفى أن الحق مقبول من كل من جاء به ، والباطل مردود على صاحبه كائناً من كان ، والحق ما وافق الكتاب والسنة ، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ والكل يعلم مدى عجز البشرية عن إدراك الكثير من أسرار الكون رغم إدعاء آت التطور والتقدم وأننا نعيش حضارة القرن العشرين فما زالت المجرات الفلكية بالملايين تُكتشف - رغم وجودها - وعشرات الأمراض التي تفتك بالبشر لا يعرفون لها سبباً ولا علاجاً

قال تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ (الإسراء : ٨٥) .

يقول باكون : ما أشبه علمنا بعلم الأطفال الذين يلعبون برمال ساحل البحر ، وهم يجهلون أسرار أعماقه ، وهذا مقاله الفيلسوف هربرت سبنسر فقد حلل العلم الإنساني فأحاله إلى درجة العجز المطلق بالنسبة للعلم الإلهي ، فلا بد من التواضع ومضاعفة البحث وتعمير الدنيا بطاعة الله وإقامة حضارة حقة وفق منهج العبودية لخالق الأرض والسماوات : ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ (الملك : ١٤) ، وقال سبحانه : ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ (الأعراف : ٥٤) .
فإذا أقررنا بأنه الخالق جل وعلا فعلياً أن نذعن لأمره ونخضع لحكمه ونتقاد لأياته ففيها سعادة الدارين .

اشارات كيميائية وفيزيائية وذرية (١)

قال تعالى: ﴿ والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ﴾ (الحجر : ١٩) .

وقال ﴿ وإن من شئ إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ (الحجر : ٢١) .
فكل شئ في هذا الكون جعله الله تعالى بمقدار .

فنسبة الأوكسجين مثلاً ٢١ ٪ فلو صارت مثلاً ٥٠ ٪ لاحتقرت الأشياء واستحالت الحياة. فالمقادير موزونة إذا زيدت أو نقصت تبدلت حالاتها وكذلك اشعاعات الشمس بمقدار فلو زادت لأصبحنا رماداً ، ولو قلت لتجمدنا ، وعناصر النبات مؤلفة من مقادير معينة من كل نوع بدقة عجيبة ، وتختلف نسبة بعضها إلى بعض في كل نبات ، وقس على ذلك ، فهل وُجد ذلك صدفة كما يقول الملاحدة الشيوعيون ، ولا يخفى عليك البيئة التي عاش فيها رسول الله ﷺ وأنه أمي صلوات الله وسلامه عليه .

وقال تعالى: ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ﴾ (الحاقة : ٣٨، ٣٩) .
والأشياء التي لا تبصرها كثيرة كالملائكة والجن والذرة والإلكترونات والبرتونات والأشعة فوق البنفسجية وأشعة جاما والأشعة تحت الحمراء والأشعة اللاسلكية

وقال تعالى: ﴿ ومن كل شئ خلقنا زوجين ﴾ (الذاريات : ٤٩) .
وقال تعالى: ﴿ فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً ﴾ (الشورى : ١١) .

والزوجية منبثة في المملكة الحيوانية والنباتية بل الكهرباء تحتوي على سالب وموجب ، ونواة الذرة تحمل شحنة كهربائية موجبة ويحيط بها إلكترونات تحمل شحنة كهربائية سالبة قال تعالى: ﴿ سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض

١- باختصار وتصرف من كتاب « إعجاز القرآن العلمي » لمحمود مهدي الاستانبولي ، راجع « الإسلام يتحدى » لوحيد الدين خان .

ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴿ (يس : ٣٦) .

وقال تعالى : ﴿ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ (يونس : ٦١) فهناك ما هو أصغر من الذرة

إشارات تتعلق بالسماء

قال تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (يونس : ٥) .
وقال تعالى : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ (الفرقان : ٦١) .

، وقال سبحانه : ﴿ الله الذى رفع السماء بغير عمد ترونها ﴾ (الرعد : ٢) قيل فيها إشارة إلى قانون الجاذبية .

وقال تعالى : ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ﴾ (الأنبياء : ٣٢) .

فالسما كالسقف للبيت ﴿ محفوظا ﴾ أي عن الوقوع .

ويقول فرانك آلن العالم البيولوجي : يحيط بالأرض غلاف غازي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها إلى ارتفاع كبير يزيد على ٥٠٠ ميل ويبلغ هذا الغلاف من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة يوميا إلينا إذ تنقص سرعتها ٣٠ ميلا في الثانية ، وهذا الغلاف الجوي المحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة ويقول سبحانه : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ قيل إن الضيق وعوارض الإختناق تصيب الإنسان إذا هو صعد إلى السماء لأسباب منها :

١ - قلة الضغط الجوي .

٢ - قلة الأوكسجين .

٣- تقلب درجة الحرارة .

٤- إنعدام الوزن إذا تغلغل الإنسان في الفضاء .

وقال سبحانه : ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ (فصلت : ١١) .

قال العالم الفلكي جيمس جينزا « الراجع أن مادة الكون بدأت غازاً منتشرأ خلال الفضاء بانتظام ، وأن السُدم (مجموعات النجوم) خلقت من تكاثف هذا الغاز» وقال جل وعلا : ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى ﴾ (الأنبياء : ٣٠) .

تشير إلى أن الموجودات كانت كتلة واحدة ثم انفصلت الكواكب عنها ومنها الأرض ، وهذا وفق ماجاءت به نظرية لا بلارس ، كما أن فيها إشارة إلى أهمية الماء في الحياة فالعمليات الكيميائية اللازمة للحياة والنمو تحتاج إلى الماء ثم هو المادة الوحيدة التي تقل كثافتها ويزيد حجمها عندما تتجمد وينطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد على صيانة حياة الأحياء التي تعيش في البحار من أسماك وغيرها ، وقال سبحانه : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (يس : ٣٨) . وفي قراءة أخرى : ﴿ والشمس تجري لا مستقر لها ﴾ قيل إشارة لدورانها حول محورها ، والثانية حركة انتقالية في الفضاء ﴿ لا مستقر لها ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ (الواقعة : ٧٦،٧٥) فله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته وليس للمخلوق إلا أن يقسم بالله ، يقول العالم الفلكي جيمس جينز : إن دراسة مواقع النجوم ستمدنا بفتحاح لأجمل منظر رأته أوتراه عين الإنسان وستمكننا من أن ننظر الي السماء العجيبة المترامية ، فنفهم من معانيها ما لم نكن نفهم .ولو أمكن رسم مواقع النجوم تفصيلاً لأعطى ذلك تفسير لحقيقة الكون وقال تعالى : ﴿ يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً ﴾ وقد ذكر جاجارين أنه شاهد تعاقباً سريعاً للظلام والنور على سطح الأرض

إشارات تتعلق بالأرض

قال تعالى: ﴿ ألم تر أن الله يُزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله ﴾ (النور: ٤٣) .

وقال سبحانه: ﴿ وأرسلنا الرياح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه ، وماأنتم له بخازنين ﴾ (الحجر: ٢٢) فيها إشارة إلى الملاحظة التي تحدث بين سحاب وسحاب والشبه تام بين هذا التلقيح والتلقيح النباتي ، والتأليف عبارة عن التقريب بين السحاب المختلف .

وقال جل وعلا: ﴿ أو كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور ﴾ (النور: ٤٠) فيها إشارة إلى الأمواج الداخلية والأمواج السطحية واللجى هو كثير الماء وعميقه . وقال تعالى: ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ (الحج: ٥) .
والإهتزاز هو الحركة ، وربت : أي ازدادت .

قال علماء النبات: «إن الجذر يأخذ من الأرض ٥ ٪ فقط من احتياجات النبات ، أما ال ٩٥ ٪ الباقية فيحصل عليها النبات من الهواء ، فإذا عرفنا أن الجذر يأخذ على الأقل ٢٠ ٪ من الغذاء ، يكون النبات قد أعطى الأرض أضعاف ماأخذ منها وبذلك يزيد حجم الأرض وتهتز بانبثبات النبات » وقد وردت عدة آيات تشير إلى طبيعة الأرض وهيئتها مثل: ﴿ والأرض بعد ذلك دحائها ﴾ (النازعات: ٣٠) .

والأدحية أو الأدحوة هي مبيض النعام في الرمل ، والأدحية البيضة عند بعض الأقوام العرب ، وقال تعالى: ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ (يس: ٤٠) وقال جل وعلا: ﴿ خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار ﴾ (الزمر: ٥) .

وقال سبحانه : ﴿ أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها ﴾ (الرعد : ٤١) .
 وقال تعالى : ﴿ رب المشرقين ورب المغربين ﴾ وقال تعالى : ﴿ رب المشارق والمغرب ﴾
 فهذه اشارة إلى تعدد جهات الشروق والغروب بحسب مواقع البلدان على خطوط
 الطول وتفاوت ذلك تبعاً للفصول فليس هناك شرق واحد ولا غرب واحد .
 ويقول سبحانه : ﴿ والسماء بيناها بأيدي وانا لموسعون ﴾ (الذاريات : ٤٧) يذكر
 علماء الفلك أن دائرة المادة قد أصبحت الآن عشرة أمثال بالنسبة إلى الدائرة الأصلية
 كما يقول ايدنجتون ويذهب إلى أن : مثال النجوم والمجرات كمنقوش على سطح
 منطاد (بالون) من المطاط ، وهو ينتفخ باستمرار ، وهكذا تتباعد جميع الكرات
 الفضائية وأخواتها بحركات ذاتية في عملية التوسع الكوني ، ومن الإشارات إلى
 ماهو مخبوء تحت الأرض من معادن وأشياء قوله سبحانه : ﴿ له مافى السموات
 ومافى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ﴾ (طه : ٦) .
 ومن تتبع الآيات وجد الكثير والكثير من هذه الإشارات .

إشارات تتعلق بالإنسان

قال تعالى : ﴿ أيعسب الإنسان أن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى
 بنانه ﴾ (القيامة : ٣ ، ٤) ذكر البنان فيها إشارة للبصمات التي لاتتشابه ولاتتقارب
 من شخص لآخر بعكس العين والأنف والأذن التي قد لاتختلف من شخص لآخر
 وقد أنشئ من ذلك علم البصمات من أجل معرفة المجرمين واكتشافهم .
 وقال سبحانه : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم
 وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ (المائدة : ٦)
 وغسل الوجه يتضمن المضمضة والإستنشاق ، وقد ذكر الأطباء أن نظافة الفم
 خمس مرات في المضمضة من أهم أسباب الوقاية من مرض الأسنان واللثة ، كذلك
 غسل المنخرين (الحفر الأنفية) بماء بارد من أهم وسائل الوقاية من الزكام وأن غسل
 الوجه واليدين والأذنين والأرجل يحفظها من الأمراض الجلدية والإلتهابات .

وقال سبحانه محذراً من الزنا : ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾
(الإسراء : ٣٢) .

وقد ثبت أن الأمراض الناجمة عن الزنى تضعف العقل وتسبب كثيراً من
حوادث العمى والفالج

وقال تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله
، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ، إن الله غفور رحيم ﴾ (البقرة : ١٧٣) .
والميتة تنعدم فيها جميع الخواص المفيدة للبدن وتصير سمأ زعافاً ، والدم يحتوي
على كمية كبيرة من حمض البوليك ، وهو وسط جيد لنمو البكتريا ولذلك يعتبر
ضاراً بالصحة لو استعمل كغذاء ، والتزكية الشرعية للحيوان (الذبح بمحدد في
منحر بحيث تُنهر الدم وتفري الأوداج) تُمكن من استمرار علاقة المخ بالقلب إلى
أن يموت الحيوان فيسهل خروج الدم دون أن يتجمد في العروق ، وقد أحل الشرع
الطيبات وحرم الخبائث وهذا من صفات رسول الله ﷺ المذكورة في الكتب السابقة
قال تعالى : ﴿ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ (الأعراف : ١٥٧) .

وقد اكتشف العلم الحديث أن لحم الخنزير يسبب أمراضاً كثيرة لأنه يحتوي على
كمية كبيرة جداً من حمض البوليك كالأم المفاصل والروماتيزم وقد جاء في المعهد
الطبي للولايات المتحدة الأمريكية أن نسبة الوفيات في تلك البلاد تتراوح بين ٥ -
٣٥ ٪ بسبب الديدان الموجودة في لحم الخنزير زد على ذلك بأن الخنزير يكثر من أكل
النجاسات وكل ذلك يؤثر في لحمه ويفسده .

ومن هذه الإشارات قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا
النساء في المحيض ولا يقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ،
إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (البقرة : ٢٢٢) ولقد وصفت الآية
المحيض بأنه أذى وقد ذكر الأطباء أن الأعضاء التناسلية عند المرأة تكون محتقنة وإذا
حصل الجماع اشتد الإحتقان وهذا يؤدي إلى نزف أكثر خصوصاً إذا كان لديها

إلتهابات أو أورام ، وكذلك يُحدث الجماع أثناء الحيض للرجل والمرأة اشمئزازاً ونفوراً نفسياً ، ومن ناحية الرجل فإن تلك المواد السامة النازلة مع دم الحيض ، ولا بد وأن تسري بالملامسة والجماع إلى أعضائه التناسلية فتلتهب وتتقرح لاسيما مجرى البول ، وأحياناً ينتقل الإلتهاب إلى المثانة والحالبين والكلبي إلى غير ذلك من الأضرار والأذى .

ويقول سبحانه : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴾ (البقرة : ٦١)

تقرر هذه الآية أن البقول والعدس والبصل أدنى وأقل خيراً مما كان يأكل قوم موسى وهو المن والسلوى ، فالمن نوع من الحلوى عسلي ، والسلوى يرجح أنه المعروف بالسُّمان وقد أصدرت لجنة الأبحاث بالجلترة ، أن البروتينات أو المواد الزلالية الموجودة في الحيوان تفضل تلك الموجودة في البقول تفضيلاً كبيراً ، كما نصحوا بالإعتماد على النشويات كمصدر للطاقة .

وقال تعالى : ﴿ وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ﴾ (الحج : ٦٨) .
وقال سبحانه : ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ (آل عمران : ١٣٤) .

وقال : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (النحل : ١٣٥) .
هذه الآداب المذكورة في الآيات من شأنها أن توجد مجتمع متحاب الأفراد ، متعاون في مجموعته ، يتعد فيه الإنسان دائماً عن الزاوية الحادة كالجِدال والغضب وكل ما يثير النفوس ، وهذا من أهم ما يوصي به علماء الاجتماع الآن ، وقوله سبحانه : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ (الضحى : ١١) فيها إشارة لما يوصي به علماء النفس من أهمية تذكر النعم والتفاؤل خروجاً من اليأس والإكتئاب .

قال تعالى: ﴿ ولا تياسوا من روح الله إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾
(يوسف : ٨٧)

وقال سبحانه عن خلق الإنسان: ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل
منها زوجها ﴾ وقال تعالى: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ (التين : ٤).
وقال تعالى: ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (الإسراء : ٧٠).
وقال جل وعلا: ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه
ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على
كل شئ قدير ﴾ (النور : ٤٥).

هذه الآيات تقرر استقلال الأنواع بعضها عن بعض خلافاً لنظرية تطورها كما
قال لامارك ودارون ، وقد أثبت كبار العلماء اليوم بطلان هذه النظرية وأثبتوا
استقلال الأنواع كما صرح بذلك القرآن الكريم .

وقد أذاع العالم الذري (جوهانس هورذلر) في سويسرا بياناً في ١٠ مارس
١٩٥٦ انتقد فيه نظرية دارون بشدة ، وقال إنه لا يوجد دليل واحد على أن الإنسان
من سلالة القرد ، وأن التجارب الواسعة التي أجراها جوهانس دلت على أن
الإنسان منذ عشرة ملايين عام كان يعيش منفرداً بعيداً جداً عن القرد ، ثم قال : إن
الهيكل التي درستها تؤكد نظريته ، وقدم هذا الأستاذ للمتحف الطبيعي بمدينة
قطعة من الفحم بداخلها قطعة من فك إنسان يرجع تاريخها إلى عشرة ملايين سنة ،
وفي ٣١ مارس ١٩٥٦ أيده الدكتور دوتير المشرف على الأبحاث بجامعة كولومبيا
في رأيه ، وقال : إن نظرية دارون لا تستند إلى دليل ، وأن الكائنات إنما خلقت
مستقلة الأنواع استقلالاً تاماً ، فمنها الإنسان الذي يمشي على رجلين ، ومنها
الدواب التي تمشي على أربع ومنها الزواحف التي تمشي على بطنها ، كما يقول
القرآن في إحدى آياته السابقة .

وقال الأستاذ دوكترافاج : إن القرابة التاريخية بين الإنسان والقرود معدومة لأن الإنسان في العهد الرابع وجد مشابهاً لنا في الصورة ، مع أنه كان يجب أن يكون أقرب إلى أسلافه القرود كما يزعمون ، ثم قال : إننا لانستطيع أن نعتبر ولادة الإنسان من القرود أو من أي حيوان آخر من الأمور العلمية .

وقال جوليان هكسلي أحد كبار أنصار دارون في كتابه « الإنسان في العلم الحديث » ص ٣ : « إن الإنسان خلق مستقلاً كما تقول الأديان » وقد خلق الإنسان من تراب ولذلك يتشابه تركيبه مع عناصر التربة ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ (الرحمن : ١٤) وقوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ (الروم : ٢٠) ثم يتم التزاوج بين الرجل والمرأة ويحدث الإنجاب ، ولا يتم تكوين الجنين من نطفة الرجل فقط بل من اختلاطه بنطفة المرأة أيضاً وهى البويضة وهذا معنى الأمشاج المذكورة في قوله سبحانه : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ (الإنسان : ٢) والجنين يمر في بطن أمه بمراحل مختلفة قال تعالى : ﴿ يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ﴾ (الزمر : ٦) وقال سبحانه : ﴿ وقد خلقكم أطواراً ﴾ (نوح : ١٤) تقول مارجرىت جلبرت فى كتابها (قصة جنين) الذى كتب مقدمته الدكتور ألكسيس كاريل : « إن الجنين فى بطن أمه يكون محاطاً بثلاثة أغشية صماء لا ينفذ منها الماء ولا الضوء ولا الحرارة » وهى الأغشية المعروفة فى الطب بأسماء مخصوصة وقد ذكرت الآية أن هذه الأطوار تحدث داخل ظلمات ثلاث ، ولا يستطيع أحد التحكم فى نوع الجنين فإن حيواناً واحداً من حوالي مئتي مليون حيوان (يحتوى عليها ماء الرجل) هو الذى يلقح بويضة المرأة ، قال تعالى :

﴿ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ﴾ (الشورى : ٤٩) وقال سبحانه : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ،

إن الله عليم خبير ﴿لقمان : ٣٤﴾ وقد جاءت الآيات تصف الإنسان بأنه خلق من علق قال تعالى : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ﴿ (العلق : ٢،١) .

فمني الرجل يحتوي على حيوانات منوية لا تُرى بالعين المجردة ، والحيوان المنوي يشبه دودة العلق ، والحيوان المنوي يسبح في السائل المنوي كما تسبح العلقة في الماء والعلق يعلق بما يقابله وكذلك الحيوان المنوي يعلق بالبويضة ويمتص العلق دم الإنسان والحيوان الذي يعلق به ، وكذلك الحيوان المنوي إذا اتحد مع البويضة امتص غذاءه .

ثم انظر إلى قوله سبحانه : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فبارك الله أحسن الخالقين ﴿ (المؤمنون : ١٢-١٤) .

فقد سبقت هذه الآية البينة علم الأجنة والتشريح ، كما سبق غيرها من الآيات العلم الحديث ، فهي توضح أن الإنسان يتحول من نطفة إلى علقة تعلق بجدار الرحم ، إلى مضغة أشبه بقطعة اللحم ثم تتحول إلى عظام (أقواس عظيمة) وهذه العظام تُكسى باللحم ، التي تكون الأجهزة التنفسية والإخراجية والتناسلية ، ﴿ فكسونا العظام لحماً ﴾ ثم ينفخ فيها الروح .

وفي الحديث الصحيح المتفق عليه من حديث ابن مسعود يقول النبي ﷺ :

« إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يأتيه الملك ويؤمر بأربع كلمات » الحديث ، فهذه ١٢٠ يوماً ثم تدب الروح في الجنين ، ولا يمكن للعلم الحديث أن يتعرف إن كانت هذه النطفة أو هذه العلقة أو هذه المضغة أو هذه العظام التي كسيت باللحم ستكون ذكر أم أنثى يقول سبحانه : ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر فبارك الله أحسن الخالقين ﴿ (المؤمنون : ١٤) .

والجنين عندما يمر بهذه الأطوار إنما يكون في قرار مكين كما هو مذكور في الآية فهو محاط بسائل يمتص الصدمات ويزوده الله بالغذاء بواسطة الحبل السري الذي يوصله بدم الأم وتحيط به المشيمة داخل الرحم ، والرحم ذو جدار عريض سميك في أسفل بطن المرأة يُشد بأربطة عريضة ومستديرة وأجزاء من البريتون تحفظ توازنه وتحميه من الميل أو السقوط ، وتحيط بالرحم عظام الحوض ، وهذا كله يدل على قوله تعالى : ﴿ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾ . (المؤمنون : ١٣) .

إشارات تتعلق بعالم الحيوان

قال تعالى في النحل : ﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ (النحل : ٦٩) ما أكثر الأبحاث العلمية التي تحدثت عن فوائد عسل النحل فهو يُعطى ضد التسمم الناشئ من أمراض الكبد والإضطرابات المعدية والمعوية ، وضد التسمم والحميات وغير ذلك من الأمراض الخطرة ، وفي حالات ضعف القلب والتهاب الكلى واحتقان المخ والأورام المخية وتصلب الشرايين وأمراض الروماتيزم والعصاب المزمن وعرق النسا ، والعسل يساعد على إلتئام الجروح والحروق ويمنع نمو البكتريا ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ (النمل : ١٨) .

وقال جل وعلا : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ (الأنعام : ٣٨) يذكر علماء الحيوان أن جماعات الحيوان أم لها رباط اجتماعي ومنها ماتعيش على صورة ممالك تخضع لنظم ثابتة كالنمل والنحل ، ولها لغة يتفاهم أفرادها بها ، ويقول سبحانه :

﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴾ (النحل : ٦٦) فالطعام ينقلب إلى فرث ثم دم ويُستخلص اللبن من بين الفرث والدم سائغاً للشاربين .

يقول عمر سليمان الأشقر في كتابه «العقيدة في الله» ص ٩٥ :

ياخذنا القرآن في جولات وجولات نرتاد آفاق السماء ونجول في جنبات الأرض ويقف بنا عند زهرات الحقول ويصعد بنا إلى النجوم في مداراتها ، وهو في كل ذلك يفتح أبصارنا وبصائرنا فيرينا كيف تعمل قدرة الله وتقديره في المخلوقات ويكشف لنا أسرار الخلق والتكوين ، ويهديننا إلى الحكمة من الخلق والإيجاد والإنشاء ويبين عظيم النعم التي حباننا بها في ذوات أنفسنا وفي الكون من حولنا ، إنه حديث طويل في كتاب الله يطالعك في طوال سوره وقصارها ، وهو حديث مشوق تنصت إليه النفس ، ويلذه السمع ويستثير المشاعر والأحاسيس ولقد طالعت الكثير مما توصل إليه العلم والعلماء في شتى جوانب الحياة يبينون أسرار الخلق ودلالة الخلق على الخالق فما وجدت في شئ من ذلك كله ما وجدته في القرآن من جمال وصف ووفرة علم واستشارة مشاعر وحسن توجيه ودقة استنتاج وكيف لا يكون كذلك وهو تنزيل الحكيم الحميد سبحانه ثم تحدث عن قدرة الله ونعمه على عباده وهدايته لخلقه وبيّن السبب في عدم الإهتمام بأدلة الكون وموقف العلوم الحديثة .

ثم نقل كلام سيد قطب رحمه الله وهذا نصه : إن مناهج البحث التي يسمونها « علمية » في هذا الزمان تقطع ما وصل الله من وشيجة بين الناس والكون الذي يعيشون فيه فالناس قطعة من هذا الكون لاتصح حياتهم ولاتستقيم إلا حين تنبض قلوبهم على نبض هذا الكون وإلا حين تقوم الصلة وثيقة بين قلوبهم وإيقاعات هذا الكون الكبير ، وكل معرفة بنجم من النجوم ، أو فلك من الأفلاك ، أو خاصة من خواص النبات والحيوان أو خواص الكون كله على وجه الإجمال ومافيه من عوالم حية وجامدة إذا كانت هناك عوالم جامدة أو أي شئ واحد جامد في هذا الوجود ! إن كل معرفة علمية يجب أن تستحيل في الحال إلى إيقاع في القلب البشري وإلى

ألفة مؤنسة بهذا الكون وإلى تعارف يوثق أو اصر الصداقة بين الناس والأشياء والأحياء وإلى شعور بالوحدة^(١) التي تنتهي إلى خالق هذا الكون ومافيه ومن فيه وكل معرفة أو علم أو بحث يقف دون هذه الغاية الحية الموحية المؤثرة في حياة البشر هي معرفة ناقصة أو علم زائف أو بحث عقيم .

إن هذا الكون هو كتاب الحق المفتوح الذي يقرأ بكل لغة ويدرك بكل وسيلة ويستطيع أن يطالعه الساذج ساكن الخيمة وساكن الكوخ ، والمتحضر ساكن العمائر والقصور ، كل يطالعه بقدر إدراكه واستعداده فيجد فيه زاداً من الحق حين يطالعه بشعور المتطلع إلى الحق وهو قائم مفتوح في كل آن : ﴿ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ (ق : ٨) ولكن العلم الحديث يطمس هذه التبصرة أو يقطع تلك الوشيجة بين القلب البشري والكون الناطق المبين لأنه في رؤوس مطموسة رانت عليها خرافة (المنهج العلمي) المنهج الذي يقطع ما بين الكون والخلائق الذي تعيش فيه ، والمنهج الإيماني لا ينتقص شيئاً من ثمار (المنهج العلمي) في إدراك الحقائق المفردة ولكنه يزيد عليها ربط هذه الحقائق المفردة بعضها ببعض وردها إلى الحقائق الكبرى ، ووصل القلب البشري بها ، أي وصله بنواميس الكون وحقائق الوجود وتحويل هذه النواميس والحقائق إلى إيقاعات مؤثرة في مشاعر الناس وحياتهم ، لا معلومات جامدة جافة متحيزة في الأذهان لا تنفسي لها بشئ من سرها الجميل ، والمنهج الإيماني هو الذي يجب أن تكون له الكرة في مجال البحوث والدراسات ليربط الحقائق العلمية التي يهتدي إليها بهذا الرباط الوثيق . (٢)

١- هذا الكلام عن مظاهر القدرة بين الإنسان والكون من حوله وتوثيق الصلة بالخالق جل وعلا يفترق عن القول المتدع بوحدة الوجود .

٢- في ظلال القرآن تفسير سورة (ق) آية : ﴿ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ .

الإعجاز اللغوي للقرآن

تكلم الجاحظ على حديث رسول الله ﷺ فقال : « هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجلّ عن الصنعة ونزّه عن التكلف ... استعمل المبسوط في موضع البسيط والقصد في موضع المقصود ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وشدّ بالتأييد ، ويُسّر بالتوفيق ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، لا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح من معناه ولا أبين من فحواه من كلامه ﷺ » .
ورأي الجاحظ أن النبي ﷺ لو كان تعاطى العلوم والتعليم لوجب تصديقه ، لأن ماجاء به معجز للبشر كافة ، وشتان بين حديث رسول الله ﷺ وبين القرآن المنزل من قبل الله .

قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن) :

« والذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه : منها ما يرجع إلى الجملة ، وذلك نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع ، ثم إلى معدل موزون غير مسجع ثم إلى ما يرسل إرسالاً فتطلب فيه الإصابة والإفادة وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع وترتيب لطيف وإن لم يكن معتدلاً في وزنه ، وذلك شبيهة بجملة الكلام الذي لا يتعمل - يتصنع له - وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ، ومباين لهذه الطرق فليس من باب السجع ، وليس من قبيل الشعر ، وتبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم أنه خارج عن العادة ، وأنه

معجز ، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه وليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصريف البديع ، والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول ، وعلى هذا القدر ، وإنما تنسب إلى حكمهم كلمات معدودة ، وألفاظ قليلة وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها الإختلال والإختلاف والتكلف والتعسف ، وقد جاء القرآن على كثرته وطوله متناسباً في الفصاحة على ما وصفه الله عز من قائل : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ (الزمر : ٢٣) .

﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً ﴾ (النساء : ٨٢) .

فأخبرنا أن كلام الأدمي إن امتد وقع فيه التفاوت وبان عليه الإختلال ، وعجيب نظم القرآن وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواظ واحتجاج وحكم وأحكام ، وإعذار وإنذار ، ووعد ووعيد ، وتبشير وتخويف ، أخلاق كريمة ، وشيم رفيعة ، وسير مأثورة ، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها ، ونجد كلام البليغ الكامل ، والشاعر المفلق ، والخطيب المصقع يختلف على حسب إختلاف هذه الأمور فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ، ومنهم من يسبق في التفريط دون التأيين ، ومنهم من يقرب في وصف الإبل والخيل أو سير الليل ، أو وصف الحرب ، أو وصف الروض ، أو وصف الخمر ، أو الغزل أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام ، ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب ، والنابعة إذا رهب ، وبزهير إذا رغب ، ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والوصف

لاتفاوت فيه ولا إنحطاط عن المنزلة العليا..... فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر فحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن وجد أسراراً من الإعجاز اللغوي وقامت أمامه حجة القرآن في التحدي والإعجاز قال تعالى: ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ (القمر : ١٧) .

الإعجاز التشريعي

القرآن لفظاً ومعنى من الله ، أما السنة النبوية فاللفظ لرسول الله ﷺ والمعنى فمن الله تعالى ، ومن المعلوم أن الشريعة مبنية على الكتاب والسنة ، وأنت إذا نظرت وجدت أن الإسلام نظام شامل لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان ^(١) فهناك أحكام العقيدة كالإيمان بالله واليوم الآخر..... وأحكام الأخلاق كوجوب الصدق وحرمة الكذب..... وأحكام تتعلق بتنظيم علاقة الإنسان بخالقه كالصلاة والصيام.... وأحكام تتعلق بتنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم كأحكام الأسرة من زواج وطلاق وميراث.... ومعاملات كالبيع والإيجارة والرهن.... وأحكام تتعلق بالقضاء والدعوي وأصول الحكم والشهادة واليمين والبيئات ، وأحكام تتعلق بمعاملات الأجانب غير المسلمين عند دخولهم إلى إقليم الدولة الإسلامية وهي التي تسمى اليوم بالقانون الدولي الخاص وأحكام تتعلق بتنظيم علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم والحرب وتسمى اليوم بالقانون الدولي العام ، وأحكام تتعلق بنظام الحكم وقواعده وكيفية إختيار رئيس الدولة وشكل الحكومة وعلاقات الأفراد بها وحقوقهم إزاءها ، وما يسمى اليوم بالقانون الدستوري ، وأحكام تتعلق بموارد الدولة الإسلامية ومصارفها وتنظيم العلاقات المالية بين الأفراد والدولة وبين الأغنياء والفقراء وأحكام الجنايات والإجراءات.... والشريعة في شمولها تختلف مع جميع القوانين الوضعية لأن شمولها كامل تام فهي من عند الله ، وما يأتي من الله فهو الحق الخالص والعدل الخالص فأمر العقيدة والأخلاق

١- راجع أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٤٣ - ٧٣ .

والعبادات ومراعاة معاني الحل والحرمة تدخل في نطاق شمول الشريعة ولا تدخل في نطاق تنظيم القوانين الوضعية ، وبهذا تُحفظ الحقوق ويأمن الناس عليها وتقل الخصومات والمنازعات ، ويقل عدد المراجعين للمحاكم ، وفي هذا كله أعظم ضمان لحسن تنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم وعدم ضياع الحقوق على أصحابها ، وهذا مما لا يوجد في القوانين الوضعية ، ومن صفات هذه الشريعة أنها جاءت لعموم البشر ولم تأت لطائفة معينة منهم أو لجنس خاص من أجناسهم .

قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ (سبأ : ٢٨) .

وقال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ (الأعراف : ١٥٨)

وهذا العموم في الزمان والمكان فالإسلام ختم الشرائع السابقة ، والنبي ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى : ﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ (الاحزاب : ٤٠) وعلى هذا لا يتصور أن ينسخ الإسلام أو يغيره شيء ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾

(المائدة : ٣) . ومن نظر في قواعد الشريعة ومبادئها وطبيعتها أحكامها علم ذلك يقيناً فهي تحقق مصلحة العباد وتدرأ المفسد عنهم في العاجل والآجل قال تعالى :

﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب ﴾ (البقرة : ١٧٩) ، وقال تعالى :

﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم

عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ (المائدة : ٩١) . وقال سبحانه في تعليل رسالة محمد ﷺ : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء : ١١٧) .

ومن مظاهر مراعاة المصالح تشريع الرخص عند وجود المشقات في تطبيق الأحكام إذا كانت هذه المشقات فوق طاقة البشر المعتادة ومن ذلك إباحة أكل الميتة للمضطر وإباحة الفطر في رمضان للمريض والمسافر ... واستقراء نصوص الشريعة يدل على أن الإسلام ما قصد بتشريع الأحكام للناس إلا لحفظ الضروريات (وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال) والحاجيات (التي يحتاجها

الناس لتحقيق اليسر والسعة في عيشتهم) والتحسينات (وهي التي ترجع إلى محاسن العادات ومكارم الأخلاق) وهذه هي مصالحهم في الدنيا والآخرة وقد وردت في الشريعة قواعد ومبادئ (مثل الشورى والمساواة والعدل وقاعدة لا ضرر ولا ضرار) تتضمن أحكاماً عامة يمكن بسهولة ويسر تطبيقها في كل مكان وزمان ولا يمكن أن يتخلف معناها عن أي مستوى عال يبلغه أي مجتمع وبالتالي يتسع لكل مصلحة حقيقية جديدة للناس .

كما أن هذه القواعد والمبادئ تعتبر كأساس لما يقوم عليها من أحكام جزئية ولما يتفرع عنها من فروع وهذا الإعجاز يصدق على المعاني المجملة وعلى الأحكام الشرعية التفصيلية كأحكام العبادات والأخلاق والمعاملات والعقوبات ومن مظاهر هذا الإعجاز التشريعي حرص الإسلام على إبلاغ الإنسان الكمال المقدور له ، وهذا يكون بجعل تصرفاته وأقواله وأفعاله وتروكه وقصوده وأفكاره وميوله وفق ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (الأنعام : ١٦٢) .

ففي الوقت الذي يحلق بالإنسان في أجواء المشالية التي قوامها الاعتدال والشمول لا يغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه دون إفراط أو تفريط ، ودون غلو أو جفو ، وقد تحقق ذلك كله في رسول الله ﷺ ولذلك أمرنا الله تعالى بالتأس به ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (الأحزاب : ٢١) .

إن هذه الشريعة لكونها من عند الله فقد أتت كاملة خالية من النقائص ، وهذا بخلاف ما يشرعه الإنسان فإنه لا ينفك عن معاني النقص والهوى والجهل والجور . وقد ظفرت الشريعة الإسلامية بالهيبة والإحترام من قبل المؤمنين بها مهما كانت مراكزهم الإجتماعية وسلطاتهم الدنيوية بعكس القوانين الوضعية إذ ليس لها سلطان على النفوس ولا تقوم على أساس من العقيدة والإيمان كما هو الحال بالنسبة

للإسلام ولهذا فإن النفوس تجرؤ على مخالفة القانون الوضعي كلما وجدت فرصة لذلك وقدرة على الإفلات من ملاحقة القانون وسلطان القضاء ورأت في هذه المخالفة اتباعاً لأهوائها وتحقيقاً لرغباتها. قارن على سبيل المثال لا الحصر تحريم الخمر في الإسلام وما الذي فعلته أمريكا لمنع الخمر وكيف باءت بالفشل في ذلك - إن المسلم حين يمتثل بشرع ربه يضع الجزاء نصب عينيه ، ونطاق الجزاء في الإسلام واسع وشامل شمول الإسلام لجميع شئون الحياة ومن ثم فأجزية الإسلام تتعلق بأمور العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات فكل مخالفة لهذه الأمور لها جزاءها في الآخرة ، وقد يكون لها جزاء في الدنيا أيضاً ، وبالتالي فالشريعة إرشادات ونصائح ولكن لها ثواب حسن يناله الملتزم بها ، ولها عقاب يصيب المخالف لها ، على درجات متفاوتة في العقاب والثواب ، إنها شريعة الله الخالدة قال تعالى : ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ (الملك : ١٤) ولو أجمعت البشرية على الإتيان بمثلها لما استطاعت قال جل وعلا : ﴿ أفحکم الجاهلیة یغون ومن أحسن من الله حکماً لقوم یوقنون ﴾ (المائدة : ٥٠) .

ولذلك نهتف بلسان الحال والمقال ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (يونس : ٤٠) .

بشائر الأنبياء عليهم السلام بنبوة محمد ﷺ

ملا يقل عن مائة وخمسين بشارة لرسول الله ﷺ مذكورة في الكتب السابقة ولذلك قال الإمام ابن كثير رحمه الله في كتابه القيم (شعائل الرسول) مانصه :
 « فالذي يُقطع به من كتاب الله وسنة رسوله ومن حيث المعنى ، إن رسول الله ﷺ قد بشرت به الأنبياء قبله ، وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك ولكن أكثرهم يكتُمون ذلك ويخفونه .

قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في

التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويُحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْيَى وَيَمِيتُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿

(الاعراف ١٥٧، ١٥٨)

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١٤٦) فذكر الله تعالى بعثته إلى الأميين وأهل الكتاب وسائر الخلق من عربهم وعجمهم فكل من بلغه القرآن فهو نذير له قال ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ وَلَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » رواه مسلم .

وفي الصحيحين : « أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطِهِنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَةً » ، وفيها : « بُعِثْتُ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ » قيل : إلى العرب والعجم . وقيل : إلى الإنس والجن ، والصحيح أعم من ذلك والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة في الكتب الموروثة عن الأنبياء قبله ، حتى تنهت النبوة إلى آخر أنبياء بني إسرائيل ، وهو عيسى بن مريم ، وقد قام بهذه البشارة في بني إسرائيل ، وقص الله خبره في ذلك فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (الصف : ٦) .

فإخبار محمد صلوات الله وسلامه عليه بأن ذكره موجود في الكتب المتقدمة ، فيما ورد عنه من الأحاديث الصحيحة كما تقدم ، وهو مع ذلك من أعقل الخلق

بإتفاق الموافق والمفارق ، يدل علي صدقه في ذلك قطعاً ، لأنه لو لم يكن واثقاً بما أخبر به من ذلك ، لكان ذلك من أشد المنفرات عنه ، ولا يُقدم على ذلك عاقل ، والغرض أنه من أعقل الخلق حتى عند من يخالفه بل هو أعقلهم في نفس الأمر ، ثم إنه قد انتشرت دعوته في المشارق والمغارب ، وعمت دولة أمته أقطار الآفاق عموماً لم يحصل لأمة من الأمم قبلها فلو لم يكن محمد ﷺ نبياً ، لكان ضرره أعظم من كل أحد ، ولو كان كذلك لحذر منه الأنبياء أشد التحذير ولنفروا أمهم منه أشد التنفير ، فإنهم جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة في كتبهم ، ونهوا أمهم عن اتباعهم والإقتداء بهم ، ونصوا على المسيح الدجال ، الأعور الكذاب ، حتى قد أُنذر نوح - وهو من أول الرسل - قومه .

ومعلوم أنه لم ينص نبي من الأنبياء على التحذير من محمد ، ولا التنفير عنه ولا الإخبار عنه بشيء خلاف مدحه ، والثناء عليه ، والبشارة بوجوده ، والأمر باتباعه ، والنهي عن مخالفته والخروج عن طاعته قال الله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ؟ قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ (آل عمران : ٨١) . قال ابن عباس رضی الله عنهما : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه « رواه البخاري .

وقد وُجِدَت البشارات به ﷺ في الكتب المتقدمة ، وهي أشهر من أن تُذكر وأكثر من أن تُحصر ونحن نورد هاهنا شيئاً مما وجد في كتبهم التي يعترفون بصحتها ، ويدينون بتلاوتها ، مما جمعه العلماء قديماً وحديثاً ممن آمن منهم ، واطلع على ذلك من كتبهم التي بأيديهم .

ففي السفر الأول من التوراة التي بأيديهم في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مامضمونه وتعريبه : « إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام ، بعد ما سلمه من نار النمرود : أن قم فاسلك الأرض مشارقها ومغاربها لولدك ، فلما قص ذلك على سارة طمعت أن يكون ذلك لولدها منه وحرصت على إبعاد هاجر وولدها حتى ذهب بهما الخليل إلى بَرية الحجاز وجبال فاران ، وظن إبراهيم عليه السلام أن هذه البشارة تكون لولده إسحاق ، حتى أوحى الله إليه مامضمونه :

« أما ولدك إسحاق فإنه يُرزق ذرية عظيمة ، وأما ولدك إسماعيل فإني باركته وعظمته ، وكثرت ذريته وجعلت من ذريته ما ذمماذ - يعني محمداً ﷺ - وجعلت في ذريته اثني عشر إماماً وتكون له أمة عظيمة » وكذلك بُشرت هاجر حين وضعها الخليل عند البيت فعطشت وحزنت على ولدها وجاء الملك فأنبع زمزم ، وأمرها بالإحتفاظ بهذا الولد ، فإنه سيولد له منه عظيم ، له ذرية عدد نجوم السماء .

ومعلوم أنه لم يولد من ذرية إسماعيل ، بل من ذرية آدم أعظم قدراً ولا أوسع جاهاً ، ولا أعلى منزلة ، ولا أجل منصباً ، من محمد ﷺ ، وهو الذي استولت دولة أمته على المشارق والمغارب وحكموا على سائر الأمم .

هكذا في قصة إسماعيل من السفر الأول : أن ولد إسماعيل تكون يده على كل الأمم ، وكل الأمم تحت يده وبجميع مساكن إخوته يسكن . هذا لم يكن لأحد يصدق على الطائفة إلا لمحمد ﷺ .

وأيضاً في السفر الرابع في قصة موسى : « أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام أن قل لبني إسرائيل : سأقيم لهم نبياً من أقاربهم مثلك يا موسى وأجعل وحيي بفيه وإياه تتبعون » .

وفي السفر الخامس - وهو سفر الميعاد : أن موسى عليه السلام خطب بني إسرائيل في آخر عمره - وذلك في السنة التاسعة والثلاثين من سنين التيه - وذكرهم بأيام الله وأياديه عليهم ، وإحسانه إليهم ، وقال لهم فيما قال : واعلموا أن الله

سيبعث لكم نبياً من أقاربكم مثل ما أرسلني إليكم يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر ، ويحل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث ، فمن عصاه فله الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة .

وأيضاً في السفر الخامس وهو آخر التوراة التي بأيديهم : « جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ، وظهر من ربوات قُدسه ، عن يمينه نور ، وعن شماله نار ، عليه تجتمع الشعوب » أي جاء أمر الله وشرّعه من طور سيناء وهو الجبل الذي كلم الله موسى عليه السلام عنده ، وأشرق من ساعير وهو جبال بيت المقدس - المحلة التي كان بها عيسى ابن مريم عليه السلام - واستعلن أي ظهر وعلا أمره من جبال فاران ، وهي جبال الحجاز بلا خلاف ولم يكن ذلك إلا على لسان محمد ﷺ ، فذكر تعالى هذه الأماكن الثلاثة على الترتيب الوقوعي ، ذكر محلة موسى ثم عيسى ، ثم محمد ﷺ ولما أقسم تعالى بهذه الأماكن الثلاثة ذكر الفاضل أولاً ثم الأفضل منه ثم الأفضل منه على قاعدة القسم فقال تعالى :

﴿ والتين والزيتون ﴾ والمراد بها محلة بيت المقدس ، حيث كان عيسى عليه السلام ﴿ وطورسين ﴾ وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ وهو البلد الذي ابتعث منه محمد ﷺ قاله غير واحد من المفسرين في تفسير هذه الآيات الكريمة .

وفي زبور داود عليه السلام صفة هذه الأمة بالجهاد والعبادة وفيه مثلٌ ضربه لمحمد ﷺ ، بأنه ختام القبة المبنية كما ورد به الحديث في الصحيحين : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كممثل رجل بنى داراً فأكملها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يطوفون بها ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ » ومصداق ذلك أيضاً في قوله تعالى :

﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ (الأحزاب : ٤٠) .

وفي الزبور صفة محمد ﷺ بأنه ستنبسط نبوته ودعوته وتنفذ كلمته من البحر إلى البحر وتأتيه الملوك من سائر الأقطار طائعين بالقرابين والهدايا وأنه يخلص المضطر ويكشف الضر عن الأمم ، وينقذ الضعيف الذي لاناصر له ويصلي عليه في كل وقت ويبارك الله عليه في كل يوم ويدوم ذكره إلى الأبد وهذا إنما ينطبق على محمد ﷺ .

وفي صحف شعيبيا في كلام طويل فيه معاتبه لبني اسرئيل وفيه : « فإني أبعث إليكم وإلى الأمم نبياً أمياً ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا سخاب في الأسواق أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ثم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى في ضميره ، والحكمة معقوله ، والوفاء طبيعته والعدل سيرته والحق شريعته والهدى ملته والإسلام دينه والقرآن كتابه ، أحمد اسمه ، أهدي به من الضلالة وأرفع به بعد الخمالة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين القلوب المختلفة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس قرابينهم دماؤهم ، أناجيلهم في صدورهم ، رهباناً بالليل ، ليوثا بالنهار ، قال تعالى : ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (الجمعة : ٤) .

وفي الفصل الخامس من كلام شعيبيا : « يدوس الأمم كدوس البيادر ، ويتزل البلاء بمشركي العرب وينهزمون قدامه » .

وفي الفصل السادس والعشرين منه : « لتفرح أرض البادية العطشى ، ويعطى أحمد محاسن لبنان ، ويرون جلال الله ببهجته » .

وفي صحف إلياس عليه السلام : « أنه خرج مع جماعة من أصحابه سائحاً ، فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه : انظروا إلى هؤلاء فإنهم هم الذين يملكون حصونكم العظيمة فقالوا : يابني الله فما الذي يكون معبودهم ؟ فقال : يعظمون رب العزة فوق كل راية عالية » .

ومن صحف حزقييل : « إن عبدي خيرني أنزل عليه وحي يظهر في الأمم عدلي

اخترته واصطفيته لنفسه ، وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة .
 ومن كتاب النبوات : « أن نبياً من الأنبياء مر بالمدينة فأضافه بنو قُرَيْظَةَ والنضير ،
 فلما رأهم بكى ، فقالوا له : ما الذي يبكيك يا نبي الله ؟ فقال : نبي يعشه الله من
 الحرم يخرب دياركم ويسبي حريمكم » قال : فأراد اليهود قتله فهرب منهم .
 ومن كلام حزقيل عليه السلام : « يقول الله : من قبل أن صورتك في الأحشاء
 قدسَتْ وجعلتْك نبياً ، وأرسلتْك إلى سائر الأمم » .

وفي صحف شعياً أيضاً مثل مضروب لمكة شرفها الله : « افرحي يا عاقر بهذا
 الولد الذي يهبه لك ربك ، فإن بركته تتسع لك الأماكن ، وتثبت أوتادك في
 الأرض وتعلو أبواب مساكنك ، ويأتيك ملوك الأرض عن يمينك وشمالك بالهدايا
 والتقادم ، وولدك هذا يرث جميع الأمم ويملك سائر المدن والأقاليم ولا تخافي ولا
 تخزني فما بقي يلحقك ضيم من عدو أبداً وجميع أيام ترملك تنسينها » وهذا كله إنما
 حصل على يدي محمد ﷺ وإنما المراد بهذه العاقر مكة ثم صارت كما ذكر في هذا
 الكلام لامحالة ومن أراد من أهل الكتاب أن يصرف هذا ويتأوله على بيت المقدس
 فهذا لا يناسبه من كل وجه والله أعلم .

وفي صحف أرميا : « كوكب ظهر من الجنوب أشعته صواعق ، سهامه خوارق
 دُكَّتْ له الجبال » هذا المراد به محمد ﷺ .

وفي الإنجيل يقول عيسى عليه السلام : « إني مُرْتَقٍ إلى جنات العلى ، ومرسل
 إليكم الفارقليط روح الحق يعلمكم كل شيء ولم يقل شيئاً من تلقاء نفسه » والمراد
 بالفارقليط محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا تقدم عن عيسى أنه قاله :
 قال تعالى : ﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد ﴾ (الصف : ٦) .

وهذا باب متسع ، لو تفصينا جميع ما ذكره الناس لطلال هذا الفصل جداً ، وقد
 أشرنا إلى نبذ من ذلك يهتدي بها من نور الله بصيرته وهداه إلى صراطه المستقيم
 وأكثر هذه النصوص يعلمها كثير من علمائهم وأخبارهم وهم مع ذلك يتكتمونها

ويُخفونها .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي وساق الحديث بإسناده عن الغلبان بن عاصم قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ ، إذ شخص ببصره إلى رجل فدعاه فأقبل رجل من اليهود مجتمع عليه قميص وسراويل ونعلان ، فجعل يقول : يارسول الله فجعل رسول الله ﷺ يقول : أتشهد أنني رسول الله ؟ فجعل لا يقول شيئاً إلا قال يارسول الله فيقول أتشهد أنني رسول الله فقال رسول الله ﷺ : أتقرأ التوراة ؟ قال نعم ، قال : والإنجيل ؟ قال : نعم ، والفرقان ورب محمد لو شئت لقرأته . قال : فأنشذك بالذي أنزل التوراة والإنجيل وأشياء حلفه بها ، تجدني فيهما ؟ قال : نجد مثل نعتك ، يخرج من مخرجك ، كنا نرجو أن يكون فينا ، فلما خرجت رأينا أنك هو ، فلما نظرنا إذا أنت لست به ، قال : من أين ؟ نجد من أمك سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وإنما أنتم قليل ، قال : فهل رسول الله ﷺ وكبر ، وهل وكبر ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده إنني لأنا هو ، وإن من أمي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين وسبعين .

جوابه ﷺ قبل أن يسأله عن شئ منه

عن وابصة الأسدي قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البرِّ والإثم إلا سألت عنه وهو له عصابة من المسلمين يستفتونه ، فجعلت أتخطاهم ، فقالوا : إليك وابصة عن رسول الله : فقلت دعوني فأدنو منه ، فإنه أحب الناس إليَّ أن أدنو منه قال : دعوا وابصة ، ادنُ يا وابصة مرتين أو ثلاثاً ، قال : فدنوت منه حتى قعدت بين يديه فقال : يا وابصة أخبرك أم تسألني ؟ فقلت : لا بل أخبرني فقال ، جئت تسأل عن البرِّ والإثم ؟ فقلت : نعم فجمع أنامله فجعل ينكت بهن في صدري ويقول : يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك ، ثلاث مرات ، البرُّ ما طمئت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك « رواه الإمام أحمد .

مسائل سُئل عنها رسول الله ﷺ فأجاب عنها بما يطابق الحق

ثبت في صحيح البخاري وغيره عن أنس عن عبد الله بن سلام أنه سأل رسول الله ﷺ عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما يُنزع الولد إلى أبيه وإلى أمه ؟ فقال رسول الله ﷺ : أخبرني بهنَّ جبريل أنفأ ثم قال : أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه « وفي رواية البيهقي ، أنه سأله عن السواد الذي في القمر بدل أشراط الساعة فذكر الحديث إلى أن قال : وأما السواد الذي في القمر فإنهما كانا شمسين .

فقال الله عزو جل : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل ﴾ (الإسراء : ٤٢) ، فالسواد الذي رأيت هو المحو فقال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وعبد الله بن سلام كان حبراً من أحبار اليهود فأسلم وهو الذي قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة المنجفل (اجتمع) الناس إليه فكنت فيمن المنجفل ، فلما رأيت وجهه قلت : إن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول ما سمعته يقول : أيها الناس ، أفشوا السلام ، وصلوا الأرحام وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

وقد ذكر البيهقي أن اليهودي سأل النبي ﷺ : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟

فقال رسول الله ﷺ : في الظلمة دون الجسر قال : فمن أول الناس إجازة ؟ فقال : فقراء المهاجرين .

قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال : زيادة كبد الحوت .

قال : وما غذاؤهم على إثره ؟ قال : يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها

قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمى سلسيلا .

قال : صدقت .

قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من الأرض إلا نبي أو رجل أو

رجلان قال : ينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذني .

قال : جئت أسألك عن الولد ، قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا

اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل
أنثا بإذن الله .

فقال اليهودي : صدقت وإنك لنبى ثم انصرف فقال النبي ﷺ : إنه سألتني عنه

وما أعلم شيئا منه حتى أتاني الله به . والحديث رواه مسلم ، وهذا اليهودي المذكور
يحتمل أن يكون هو عبد الله بن سلام ، ويحتمل أن يكون غيره والله أعلم .

ومن ذلك ما تعنتت به قريش وبعثت إلى يهود المدينة يسألونهم عن أشياء يسألون

عنها رسول الله ﷺ فقالوا : سكوه عن الروح ، وعن أقوام ذهبوا في الدهر فلا

يُدرى ما صنعوا ، وعن رجل طواف في الأرض بلغ المشارق والمغارب فلما رجعوا

سألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن

الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ (الإسراء : ٨٣) .

وأنزل سورة الكهف يشرح فيها خبر الفتية وختمها بقصة ذي القرنين

فقال فيه : ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً ﴾ (الكهف : ٨٣)

ثم ذكر خبره وما وصل إليه من المشارق والمغارب وما عمل من المصالح في العالم

وهذا الإخبار هو الواقع في الواقع وإنما يوافق من الكتب التي بأيدي أهل الكتاب

ما كان منها حقاً ، وأما ما كان مُحرفاً مبدلاً فذاك مردود فإن الله بعث محمداً بالحق

وأنزل عليه الكتاب ليبين للناس ما اختلفوا فيه من الأخبار والأحكام قال الله تعالى

بعد ذكر التوراة والإنجيل :

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه ﴾

(المائدة: ٤٨) ، وقد دعا النبي ﷺ اليهود إلى المباهلة وأن يدعو بالموت على المبطل منهم أو المسلمين ، فنكلوا عن ذلك لعلمهم بظلم أنفسهم وأن الدعوة تنقلب عليهم ويعود وبالها إليهم ، قال تعالى : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ (البقرة: ٩٤، ٩٥) ومثلها في (سورة الجمعة آية ٥، ٦) وهي قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾

فلم يتمنوا الموت بل هم أحرص الناس على حياة وهكذا دعا النصرارى من أهل نجران حين حاجوه في عيسى بن مريم فأمره الله أن يدعوهم إلى المباهلة في قوله : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ﴾ (آل عمران: ٦١) ، وهكذا دعا على المشركين على وجه المباهلة في قوله :

﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ﴾ (مريم: ٧٥) .

وروى محمد بن اسحاق عن الزهري قال : سمعت رجلاً من مزينة يحدث سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثهم فذكره ، وعنده فقال رسول الله ﷺ لابن سوريا : أنشدك بالله وأذكرك أيامه عند بني إسرائيل : هل تعلم أن الله حكم فيمن زنا بعد إحصانه بالرجم في التوراة ؟ فقال : اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم إنهم يعرفون إنك نبي مرسل ولكنهم يحسدونك .

وقال حماد بن سلمة : حدثنا ثابت عن أنس أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي ﷺ ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة فقال له الرسول ﷺ يا يهودي أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجدون في التوراة نعتي و صفتي ومخرجي ؟ فقال : لا . فقال الفتى : بلى والله يارسول الله ، إنا نجد في التوراة نعتك و صفتك ومخرجك ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله

فقال النبي لأصحابه : أقيموا هذا من عند رأسه ، ولأولاً أخاكم « رواه البيهقي .

دلائل النبوة الخلقية والخلقية

روي البيهقي أن رجلاً سأل جابر بن سمرة أكان رسول الله ﷺ وجهه مثل السيف ؟ قال لا ، بل مثل الشمس والقمر مستديراً « ورواه مسلم بسند آخر .
وفي رواية الإمام أحمد بزيادة : ورأيت خاتمه عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده .

وعن أبي الطفيل ، قال : رأيت النبي ﷺ ولم يبق أحد رآه غيري فقلنا له : صف لنا رسول الله ﷺ فقال : كان أبيض مَلِيح الوجه ورواه مسلم عن سعيد بن منصور به وقد ورد عن علي بن أبي طالب من طرق متعددة ، قال بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فإني لأخطب يوماً على الناس وحبّر من أحبار اليهود واقف في يده سفر ينظر فيه ، فلما رأني قال : صف لنا أبا القاسم ، فقال علي : رسول الله ليس بالقصير ولا بالطويل البائن وليس بالجعد القَطَط ولا بالسَّبَط ، هو رَجُلُ الشعر أسوده ، ضخم الرأس ، مُشرباً لونه حمرة ، عظيم الكراديس (هي التقاء العظام في المفاصل ، أو هي رءوس العظام) ، شثن الكفين والقدمين ، طويل المسرّبة ، وهو الشعر الذي يكون من النحر إلى السرة ، أهدب الأشفار ، مقرون الحاجبين ، قلت الجبين ، بعيد ما بين المنكبين ، إذا مشى تكفأً كأنما ينزل من صَبَب ، لم أر قبله مثله ولا بعده مثله .

قال عليّ : ثم سكتُ ، فقال لي الخبر : وماذا ؟ قال عليّ : هذا ما يحضرني ، قال الخبر : في عينيه حمرة ، حسن اللحية ، حسن الفم تام الأذنين ، يُقبل جميعاً ويُدبر جميعاً ، فقال عليّ : والله هذه صفته ، قال الخبر [وشئ آخر] قال عليّ : وما هو ؟ قال الخبر : وفيه جَنَأٌ (إشراف الكاهل على الصدر) قال عليّ : هو الذي قلت لك ، كأنما ينزل من صَبَب ، قال الخبر : فإني أجد هذه الصفة في سفر آبائي وتجده يُبعث في حرم الله وأمنه ، وموضع بيته ، ثم يهاجر إلى حرم يحرمه هو

ويكون له حرمة كحرمة الحرم الذي حرم الله وتجد أنصاره الذين هاجر إليهم قوماً من ولد عمرو بن عامر أهل نخل وأهل الأرض قبلهم يهود قال علي : هو هو ، وهو رسول الله ، قال الحبر : فإني أشهد أنه نبي وأنه رسول الله إلى الناس كافة فعلى ذلك أحياء وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله .

قال فكان يأتي علياً فيعلمه القرآن ويخبره بشرائع الإسلام ثم خرج عليٌّ والحبر هنالك حتى مات في خلافة أبي بكر وهو مؤمن برسول الله ﷺ مصدق به .

وثبت في البخاري من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : مامست بيدي ديباجاً ولا حريراً ولا شيئاً ألين من كف رسول الله ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله ﷺ .

وعن أنس قال : كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفاً وما مستت حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة رسول الله ﷺ .

والأخبار في ذكر أوصافه ﷺ كثيرة جداً وكلها تدل أن الله قد حباه من جمال الطلعة والهيئة حتى لا ينصرف الناس عن دعوته بزعم دمامة الخلقه وشأنه في ذلك كشأن إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وقد ورد وصف خاتم النبوة بين كتفه ﷺ مثل بيضة الحمامة يشبه جسده أو مثل زراً الحجلة .

قال البخاري وغيره من العلماء قبله في الحكمة في كون الخاتم كان بين كتفي رسول الله ﷺ : إشارة إلى أنه لانيبي بعدك يأتي من ورائك ، قال : وقيل : كان علي نَعَص كتفه ، لأنه يقال : هو الموضع الذي يدخل الشيطان منه إلى الإنسان فكان هذا عصمته له عليه السلام من الشيطان .

أما بالنسبة لطيب أصله وطهارة نسبه ومولده ﷺ فقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها حديث البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « بُعثت من خير

قرون بني آدم قرنا بعد قرن ، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه » .
 وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اصطفى قريشاً من بني إسماعيل واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفاني من بني هاشم » وقد قال الله تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (الأنعام : ١٢٤) .
 وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وإنك لعلی خلق عظیم ﴾ (القلم : ٤) ، يعني وإنك لعلی دين عظیم وهو الإسلام .

ولما سأل سعد بن هشام عائشة أم المؤمنين عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، فقالت : كان خلقه القرآن « ومعنى هذا أنه ﷺ مهما أمره به القرآن امتثله ومهما نهاه عنه تركه ، هذا ما جبله الله عليه من الأخلاق الجليلة الأصلية العظيمة التي لم يكن أحد من البشر ولا يكون على أجمل منها ، وشرع له الدين العظيم الذي لم يشرعه لأحد قبله ، وهو مع ذلك خاتم النبيين ، فلا رسول بعده ولانبي ﷺ فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح والرحمة وسائر الأخلاق الكاملة ما لا يُحَدُّ ولا يمكن وصفه .

فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »
 رواه أحمد .

وروى البخاري عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس خلقاً » .

وعن عائشة قالت : ما خير رسول الله بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها » رواه البخاري ومسلم .

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال : إن رسول الله موصوف في التوراة بما هو موصوف في القرآن »

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمينين ، أنت عبدي

ورسولي سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح أعيناً عمياً ، وأذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلْفاً »
رواه البخاري .

وعن أبي سعيد قال : كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها »
رواه البخاري .

وعن أنس بن مالك قال : « لم يكن رسول الله ﷺ سبياً ولا لعاناً ولا فاحشاً ، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة : ماله تربت جبينه » رواه أحمد والبخاري .

وعن أنس قال : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناسٌ قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عُرْس (بلا سرج) في عنقه السيف وهو يقول : لم تُراعوا لم تراعوا قال : وجدناه بحرأ (أي كان الفرس سريع الجري) أو إنه لبحر قال : وكان فرساً يُطأ » في الصحيحين .
وفي رواية مسلم عن أنس قال : « كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ » والأخبار في ذلك كثيرة تدل على أنه ﷺ كان في غاية ما يكون من الشجاعة العظيمة والتوكل التام .

وعن ابن عباس قال : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فكان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة » رواه البخاري ومسلم .

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « لا يُبلّغني أحدٌ عن أحدٍ شيئاً إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » .

وعن أبي هريرة قال : « ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه » رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ : نُصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم ، وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي »
رواه أحمد والبخاري .

وعن عائشة قالت : مارأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته (اللحمة الناتئة في الحلق) إنما كان يتسمم » رواه البخاري ومسلم .
وعن عمر بن الخطاب قال : « قال رسول الله : « لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » رواه مسلم
وعن الأسود قال : « قلت لعائشة : ما كان رسول الله ﷺ يصنع في أهله ؟
قالت : كان في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة »
رواه أحمد وغيره .

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال : « كان رسول الله ﷺ يُكثر الذكر ويُقل اللغو ويطيل الصلاة ، ويقصر الخطبة ، ولا يَسْتَنكف أن يمشي مع العبد ، ولا مع الأرملة حتى يفرغ لهم من حاجاتهم » رواه البيهقي .
وعن أنس : « أن رسول الله ﷺ مرَّ على صبيان يلعبون فسلم عليهم »
رواه البخاري

وكان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً وصدقاً كما وردت الأخبار بذلك .
وفي الصحيحين عن عائشة ، قالت : « ماشيع آل محمد ﷺ منذ قدموا المدينة ثلاثة أيام ، تبعاً من خبز بُرٍّ حتى مضى لسبيله » .

وروى أبو داود عن النعمان بن بشير قال : « سمعت عمر بن الخطاب يخطب فذكر ما فتح الله على الناس فقال : لقد رأيت رسول الله ﷺ يلتوي من الجوع ما يجد من الدُّقْل (الردي من التمر) ما يملأ بطنه » أخرجه مسلم .

وكان فراشه ﷺ من آدم حشوه ليف وكان لا يدخر شيئاً لغد ، وكان الصحابة إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك ، ولم يكن شخص أحب إليهم من

رسول الله ﷺ .

وثبت في الصحيحين: « أنه قام حتى تفتطرت (تشققت) قدماه فقيل له : أليس قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً » وكان عمله ديمة (دائم) ﷺ كما ورد في الصحيحين .

وعن ابن عباس قال : « قال أبو بكر : يا رسول الله أراك شئتَ قال : شيبني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » رواه البيهقي .
وقد ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في كتابه « شمائل الرسول ﷺ » ، كثيراً من صفاته ﷺ في الكتب المأثورة عن الأنبياء الأقدمين فراجعه (١١١ - ١١٩) .

معجزات عصمته ﷺ

لقد خرج النبي ﷺ بدعوة خالف بها دين الآباء والأجداد والمألوفات والمعتادات فكان أعدائه وهم الجم الغفير والعدد الكثير على أتم حنق عليه ، وأشد طلب لئفيه ، وهو بينهم مسترسل قاهر ولهم مخالط ومكاثر ، ترمقه أبصارهم شزراً ، وترتد عنه أيديهم ذعراً وقد هاجر عنه أصحابه حذراً حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة ثم خرج عنهم سليماً لم يكلم في نفس ولا جسد وما كان ذلك إلا بعصمة إلهية وعده الله تعالى بها فحققتها حيث يقول تعالى : ﴿ واللّه يعصمك من الناس ﴾ (المائدة: ٦٧)
فعصمه منهم ، ومن ذلك أن أبا لهب خرج يوماً وقد اجتمعت قريش فقالوا له يا أبا عتبة إنك سيدنا وأنت أولى بمحمد منا ، وإن أبا طالب هو الحائل بيننا وبينه ولو قتلته لم ينكر أبو طالب ولا حمزة منك شيئاً وأنت برئ من دمه ، فنؤدي نحن الدية وتسود قومك ، فقال إني أكفيكم ففرحوا بذلك ومدحته خطبائهم ، فلما كان في تلك الليلة وكان مشرفاً عليه نزل أبو لهب وهو يصلي وتسلفت امرأته أم جميل الحائض حتى وقفت على رسول الله ﷺ وهو ساجد فصاح به أبو لهب ، فلم يلتفت إليه وهما كان لا ينتقلان قدماً ولا يقدران على شئ حتى تفجر الصبح ، وفرغ رسول الله ﷺ فقال له أبو لهب يا محمد أطلق عنا فقال ما كنت لأطلق عنكما أو تضمنا لي

أنكما لاتؤذياني قالالا قد فعلنا فدعاربه فرجعا .

ومن ذلك محاولة أبي جهل ومعمربن يزيد وكلده بن أسد أبا الأشد قتل رسول الله ﷺ فبأست فبأست محاولاتهم بالفشل ورجعوا يجررون أذيال الخزي والمذلة رغم شجاعتهم وشدة بأسهم .

ولما أراد الهجرة تبعه سراقة بن مالك فقال ﷺ : اللهم اكفنا سراقة ، فأخذت الأرض قوائم فرسه إلى إبطنها فقال سراقة يامحمد ادع الله أن يطلقني ولك علي أن أرد من جاء يطلبك ، ولا أعين عليك أبداً فقال : اللهم إن كان صادقاً فاطلق عن فرسه فأطلق الله عنه ثم أسلم سراقة وحسن إسلامه .

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ انفرد في غزوة ذات الرقاع (كما في البخاري) عن أصحابه واضطجع وحده فوقف عليه دعثور فسل سيفه وقال : يامحمد من يمنعك مني ؟ فقال الله ، فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ ثم قال له : من يمنعك مني ؟ قال لأحد ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وعاد إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسطروا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾ (المائدة : ١١) .

ولما انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم حنين ، وهو معتزل عنهم رآه شبيبة بن عثمان بن أبي طلحة فقال : اليوم أدرك ثأري وأقتل محمداً ، لأن أباه قتل يوم أحد في جماعة إخوته وأعمامه ، قال شبيبة فلما أردت قتله أقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك فعلمت أنه ممنوع ، والأخبار في ذلك كثيرة ، وكلها دال على أن العداوة ظاهرة والطلب معلوم ، والسلامة موجودة تؤكد معجزة عصمته ﷺ .

معجزة الإخبار بغيوب ماضية ومستقبلية

(١) أخباره ﷺ عن الفتن

ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد: «أن رسول الله ﷺ أشرف على أطم من أطام المدينة قال: هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر».

وعن أبي إدريس الخولاني: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: «والله إني لأعلمُ الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة وماذا أن يكون رسول الله ﷺ حدثني من ذلك شيئاً أسره إليّ لم يكن حدث به غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه سُئل عن الفتن وهو يعدّ الفتن فيهنّ ثلاث لا تذوق شيئاً منهن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري» رواه أحمد ومسلم.

قال البيهقي: مات حذيفة بعد الفتنة الأولى بقتل عثمان وقيل الفتنتين الآخرتين في أيام علي.

قال ابن كثير: قال العجلي وغير واحد من علماء التاريخ: كانت وفاة حذيفة بعد مقتل عثمان بأربعين يوماً وهو الذي قال: لو كان قتل عثمان هُدًى لاحتلبت به الأمة لبناً، ولكنه كان ضلالة فاحتلبت به الأمة دماً، وقال: لو أن أحداً أرفضّ (رفض) لما صنعتُم بعثمان لكان جديراً أن يرفض.

وعن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمرّ الوجه وهو يقول: لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب فُتِحَ اليوم من رَدَمٍ يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلّق بإصبعه الإبهام والتي تليها - قلت: يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كثر الخبث» رواه أحمد والبخاري ومسلم.

وتلا الزبير هذه الآية: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾

(الأنفال: ٢٥) قال : لقد تلوت هذه الآية زمناً وما أراني من أهلها فأصبحنا من أهلها .

وهذا الإسناد ضعيف ولكن رُوي من وجه آخر وقد قُتل الزبير بوادي السَّبَاع مَرَجعه من قتال يوم الجمل .

وعن سعيد بن زيد قال : « كنا عند النبي ﷺ فذكر فتنة وعظم أمرها فقلنا : يارسول الله لئن أدركتنا هذه لتهلكنا ، فقال : كلا ، إن بحسبكم القتل ، قال سعيد : فرأيت إخواني قُتلوا » تفرد به أبو داود .

ولما أقبلت عائشة - يعني في مسيرها إلى موقعة الجمل - وبلغت مياه بني عامر ليلاً ، نبحت الكلاب فقالت : أي ماء هذا ؟ قالوا : ماء الخوَاب ، فقالت : ما أظنني إلا راجعة ، فقال بعض من كان معها بل تقديم فيراك المسلمون فيُصلح الله ذات بينهم ، قالت : إن رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم : كيف بإحدنا كن تنبح عليها كلاب الخوَاب » رواه أحمد وأبو نعيم وإسناد أحمد على شرط الصحيحين .

وعن أبي بكره قال : نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ وبلغه أن فارس ملكوا عليهم امرأة كسرى فقال : لن يُفلح قومٌ وُلّوا أمرهم امرأة » رواه البخاري .

ولما بعث عليٌّ عماراً والحسن إلى الكوفة يستنفرهم ، خطب عمار فقال : إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة (يعني عائشة أم المؤمنين) لكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها » رواه أحمد والبخاري .

وهذا كله وقع في أيام الجمل ، وقد ندمت عائشة رضی الله عنها على ما كان من خروجها ، وكذلك الزبير بن العوام أيضاً ، تذكر وهو واقف في المعركة أن قتاله في هذا الموطن ليس بصواب فرجع عن ذلك .

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دَعُوها واحدة » وهاتان الفئتان هما أصحاب الجمل

وأصحاب صفين ، فإنهما جميعاً يدعون إلى الإسلام ، وإنما يتنازعون في شتى أمور الملك ومراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة والرعايا وكان ترك القتال أولى من فعله كما هو مذهب جمهور الصحابة .

وعن أبي سعيد الخدري قال : حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة - أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » رواه مسلم .

وفي رواية : « وقاتله في النار . قال عمار يوم صفين : اتتوني بشربة لبن فإن رسول الله ﷺ قال آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن فشربها ثم تقدم فقتل » رواه أحمد وروى البيهقي عن ابن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا اختلفت الناس كان ابن سمية (عمار) مع الحق » ومعلوم أن عماراً كان في جيش علي يوم صفين ، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام .

(٢) إخباره عن الخوارج وقتالهم وعلا متهم

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : « بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة - وهو رجل من بني تميم - فقال يا رسول الله اعدل ، فقال : ويلك ومن يعدل [إذ لم أكن أعدل ؟] قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل فقال عمر : يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه ، فقال : دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يرقون من الدين كمروق السهم من الرمية ، يُنظر إلى « نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنظر إلى رصافه (وهي عقبة تلوى على مدخل النصل) فلا يوجد فيه شيء ثم يُنظر إلى نضيبه (القدح) وهو قدحُه فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنظر إلى « قُدْذَه (ريش السهم) فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود ، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تَدْرُدِر (تتحرك وتذهب) ويخرجون على حين فرقة من الناس . قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، فأمر

بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعته « وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « تمرق مارقة عند فرقة المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » رواه مسلم .

وسئل سهل بن حنيف ، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر هؤلاء الخوارج ؟ فقال : « سمعته وأشار بيده نحو المشرق . وفي رواية نحو العراق - يخرج قوم يقرأون القرآن بألستهم لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية محلقة رءوسهم » رواه مسلم .

وروى أيضاً عن أبي ذر نحوه وقال : « سيماهم التحليق ، شر الخلق والخلقة » ، والأخبار بقتال الخوارج متواترة عن رسول الله ﷺ . وقد خرجوا بالصيغة المذكورة في الأحاديث وفي المكان الذي حدده النبي ﷺ وقاتلهم عليٌّ وهذا معلوم ضرورة لأهل العلم قاطبة .

(٣) إخباره ﷺ بقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعليٍّ حين وكي غزوة العشيرة يا أبا تراب لما يرى عليه من تراب - ألا أحدثك بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال أحيمرُ ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا عليُّ على هذه - يعني قرنه - حتى يبيل هذه - يعني لحيته « رواه أحمد .

وعن يزيد بن وهب قال : « جاء رأس الخوارج إلى علي فقال له : اتق الله فإنك ميت ، فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ولكن مقتول من ضربة على هذه تخضب هذه - وأشار بيده إلى لحيته - عهدٌ معهود ، وقضاء مقضي وقد خاب من افتري » رواه أبو داود .

وقد روى البيهقي بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم ، عن أبي سنان المدركي ، عن علي في إخبار النبي ﷺ بقتله وقد ضربه عبد الرحمن بن ملجم الخارجي وهو خارج لصلاة الصبح ، فبقى عليٌّ يومين من طعنة ومات على النحو الذي وصفه رسول الله ﷺ كما هو مشهور .

(٤) الإخبار بسيادة الحسن

عن أبي بكره قال: «أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن بن علي فصعد به على المنبر فقال: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» .
رواه البخاري .

وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبي ﷺ سواء فإن الحسن بن علي لما صار إليه الأمر بعد أبيه وركب في جيوش أهل العراق وسار إليه معاوية ، فتصافاً بصفتين علي ماذكره الحسن البصري فمال الحسن بن علي إلى الصلح ، وخطب الناس وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى معاوية ، وذلك سنة أربعين فبايعه الأمراء من الجيشين واستقل بأعباء الأمة ، فسمى ذلك العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد .

وقد شهد الصادق المصدوق للفرقتين بالإسلام فمن كفرهم أو واحداً منهم لمجرد ما وقع فقد أخطأ وخالف النص النبوي المحمدي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

وقد تكمل بهذه السنة المدة التي أشار إليها رسول الله ﷺ أنها مدة الخلافة المتابعة بعده - كما ورد في حديث سفينة مولاه أنه قال : الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً ، وفي رواية عَضُوضاً .

وفي رواية عن معاوية أنه قال : «رضينا بها ملكاً ، وقال معاوية والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ لي : يامعاوية إن ملكت فأحسن» رواه البيهقي وقال : وله شواهد .

وروي أيضاً عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : الخلافة بالمدينة والملك بالشام

(٥) إخباره عن غزاة البحر إلى قبرص

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها يوماً فأطعمته (وكانت من محارمه ﷺ) ثم جلست تفلتي رأسه ، فنام الرسول ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك

قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عُرِضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ ، مَلُوكًا عَلَى الْأَسْرَةِ ، أَوْ مِثْلَ الْمَلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ .
شك إسحاق ، فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها ، ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك قالت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عُرِضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا قَالَ فِي الْأُولَى .
قالت : قلت يا رسول الله : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : أنت من الأولين قال فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمان معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت » رواه البخاري ومسلم .

(٦) إخباره عن قتال الروم

حدّث عمير بن الأسود العنسي أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل إلى ساحل حمص وهو في ثناء له ، ومعه أم حرام قال عمير : فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا .
قالت أم حرام : فقلت : يا رسول الله أنا فيهم قال : أنت فيهم قالت : ثم قال النبي ﷺ : أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم . قلت : أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا « تفرد به البخاري وفيه من دلائل النبوة ثلاث كما ذكر ابن كثير رحمه الله :

إحدهما : الإخبار عن الغزوة الأولى في البحر ، وقد كانت في سنة سبع وعشرين مع معاوية بن أبي سفيان حين غزا قبرص وهو نائب الشام عن عثمان بن عفان وكانت معهم أم حرام بنت ملحان هذه صحبة زوجها عبادة بن الصامت ، أحد نقباء ليلة العقبة ، فتوفيت مرجعهم من الغزو ، قيل بالشام كما تقدم في الرواية عند البخاري .

وقال ابن زيد : توفيت بقبرص سنة سبع وعشرين .
والغزوة الثانية غزوة قسطنطينية مع أول جيش غزاها وكان أميرها يزيد بن

معاوية بن أبي سفيان ، وذلك في سنة ثنتين وخمسين وكان معهم أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري فمات هنالك رضى الله عنه وأرضاه .

ولم تكن هذه المرأة معهم لأنها كانت قد توفيت قبل ذلك في الغزوة الأولى فهذا الحديث فيه ثلاث آيات من دلائل النبوة :

الإخبار عن الغزوتين .

والإخبار عن المرأة بأنها من الأولين وليست من الآخرين .
وكذلك وقع كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه أ . ه .

(٧) الإخبار عن غزوة الهند

عن أبي هريرة قال : وعدنا رسول الله ﷺ غزوة الهند ، فإن استشهدتُ كنت من خير الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحررُ » رواه أحمد والنسائي .
وقد غزا المسلمون الهند في أيام معاوية سنة أربع وأربعين ، ودخلها الملك محمود بن سبكتكين وقتل وأسر وسبى وغنم ودخل السومناث وكسر الند الأعظم الذي يعبدونه واستلب سيوفه وقلائده ثم رجع سالماً مؤيداً منصوراً .

(٨) الإخبار عن قتال الترك

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حُمُر الوجوه ، دُفُ الأنوف ، كأن وجوههم المجان المطرقة (الترس التي ألبست جلدة على قدر الدرقة) ، وتجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه والناس معادن : خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله » رواه البخاري .

وروي أيضا عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكِرمان من الأعاجم حمر الوجوه فُطس الأنوف ، صغار الأعين كأن على وجوههم

المجان المطرقة ونعالهم الشعر» وقد وقع قتال الترك في آخر أيام الصحابة قاتلوا القان الأعظم فكسروه كسرة عظيمة .

(٩) إخباره عن عبد الله بن سلام

عن قيس بن عبادة قال : كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه أثر خشوع فدخل فصلى ركعتين فأوجز فيها فقال القوم : هذا الرجل من أهل الجنة ، فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله فدخلت معه فحدثته فلما أستأنس قلت له : إن القوم لما دخلت المسجد قالوا : كذا وكذا قال سبحان الله والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم وسأحدثك [لم] ، إني رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه ، رأيت كأنني في روضة خضراء .

- قال ابن عون - : فذكر من خضرتها وسعتها ، وسطها عمود حديد أسفله في الأرض وأعله في السماء ، في أعلاه عروة ، فقبل لي : اصعد عليه فقلت : لا أستطيع فجاء منصف - قال ابن عون - : وهو الوصيف - فرجع ثيابي من خلفي فقال اصعد عليه فصعدت حتى أخذت بالعروة فقال : استمسك بالعروة فاستيقظت وإنها لفي يدي قال : فأتيت النبي ﷺ فقصصتها عليه فقال : أما الروضة فروضة الإسلام وأما العمود فعمود الإسلام وأما العروة فهي العروة الوثقى ، أنت على الإسلام حتى تموت ، قال : وهو عبد الله بن سلام « رواه أحمد والبخاري .

وعن عبد الله بن سلام فذكر الحديث وقال : حتى أتى بي جبلاً فقال لي إصعده فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على رأسي حتى فعلت ذلك مراراً ، وأن رسول الله قال له حين ذكر رؤياه : وأما الجبل فهو منزلة الشهداء ، ولن تناله .

قال البيهقي : وهذه معجزة ثانية حيث أخبر أنه لا ينال الشهادة وهكذا وقع ، فإنه مات سنة ثلاث وأربعين ومات على أحسن أحواله رضي الله عنه .

(١٠) الإخبار عن صوت ميمونة بنت الحارث بسرف

روى البخاري في التاريخ عن يزيد بن الأصم قال : « ثقلت ميمونة بمكة وليس عندها من بني أختها أحد ، فقالت : أخرجوني من مكة فإنني لا أموت بها ، إن رسول الله ﷺ أخبرني أنني لا أموت بمكة فحملوها حتى أتوا بها إلى سرف الشجرة التي بنى بها رسول الله ﷺ تحتها في موضع القبة فماتت رضي الله عنها وكان موتها سنة إحدى وخمسين .

(١١) الإخبار بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما

عن أنس قال : استأذن ملك المطر أن يأتي النبي ﷺ فأذن له فقال لأم سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد ، فجاء الحسين بن علي ، فوثب حتى دخل فجعل يصعد على منكب النبي ﷺ فقال له الملك : أتجبه ؟ فقال النبي ﷺ : نعم قال فإن أمتك تقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يُقتل فيه ، قال : فضرب بيده فأراه تراباً أحمر ، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرته في طرف ثوبها ، قال : فكنا نسمع : يُقتل بكر بلاء » رواه أحمد والبيهقي .

وعن ابن عباس قال : رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائل أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بأبي أنت وأمي يارسول الله ما هذا ؟ قال دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم : فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قُتل في ذلك اليوم رضي الله عنه » رواه أحمد .

قال قتادة : قُتل الحسين يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف شهر وكان سبب قتل الحسين كما ذكر ابن كثير - أنه كتب إليه أهل العراق يطلبون منه أن يقدم إليهم ليبايعوه بالخلافة .

وكثر تواتر الكتب عليه من العامة ومن ابن عمه مسلم بن عقيل ، فلما ظهر على ذلك عبید الله بن زياد نائب العراق ليزيد بن معاوية فبعث إلى مسلم بن عقيل

فضرب عنقه ورماه من القصر إلى العامة فترقق ملاًهم وتبددت كلمتهم ، هذا وقد تجهز الحسين من الحجاز إلى العراق ولم يشعر بما وقع فتحمل بأهله ومن أطاعه وكانوا قريباً من ثلاثمائة وقد نهاه عن ذلك جماعة من الصحابة منهم أبو سعيد وجابر وابن عباس وابن عمر فلم يطعهم ، ولما أصر على الذهاب إلى العراق اعتنقه ابن عمر مودعاً وقال : استودعك الله من قتيل .

(١٢) الإخبار عن مدّعي النبوة

ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ، وعند مسلم عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً دجالاً ، كلهم يزعم أنه نبي » .
وروى البيهقي عن عبد الله بن الزبير ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً منهم مسيلمة والعنسي والمختار ، وشر قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف » .

وروي مسلم عن أسماء بنت أبي بكر ، أنها قالت للحجاج بن يوسف : أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومُبيراً ، فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه » .

وقد حدث كل ما أخبر به رسول الله ﷺ ، فقد خرج من ادعى النبوة من الرجال ووُجد من النساء من ادعين النبوة كسجاح .

(١٣) الإخبار بموت كل نفس على ظهر الأرض

يأتي عليها مائة سنة

ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العشاء ليلة في آخر عمره ، فلما سلم قام فقال : أرايتكم ليلتكم هذه ؟ فإن رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » .

وفي صحيح مسلم ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بشهر : « يسألون عن الساعة وإنما علمها عند الله فأقسم بالله ما على ظهر

الأرض من نفس منفوسة اليوم ، يأتي عليها مائة سنة » .
 قال ابن كثير : وهو نص على أن جميع الأحياء في الأرض يموتون إلى تمام مائة سنة من إخباره عليه السلام وكذا وقع سواءً .
 فما نعلم تأخر أحد من أصحابه إلى مايجاوز هذه المدة وكذلك جميع الناس .
 وروى البيهقي عن عبد الله ابن بسر أن رسول الله ﷺ قال له : يعيش هذا الغلام قرناً ، فعاش مائة سنة .

(١٤) الإخبار عن نار بالحجاز تضئ لها

أعناق الإبل ببصرى

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضئ لها أعناق الإبل ببصرى » رواه البخاري .
 وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس ، وتواتر وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمائة .

وقد ذكر أبو شامة في تاريخه : إنها ظهرت يوم الجمعة في خامس جمادى الآخرة سنة ٦٥٤ هـ وأنها استمرت شهراً وأزيد منه وذكر أن ضوءها مدّ إلى تيماء بحيث كتب الناس على ضوءها في الليل ، وكان في بيت كل منهم مصباحاً ، ورأى الناس سناها من مكة شرفها الله .

وقد أخبر غير واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة من كان بحاضرة بلد بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز .

(١٥) الإخبار عن صنفين من أهل النار

روى مسلم عن أبي هريرة قال : قال ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات

مميلات رؤوسهن كأسنمة البُخْت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

قال ابن كثير : وهذان الصنفان وهما الجلادون الذين يسمون بالرجالة ، والجاندارية ، كثيرون في زماننا هذا ومن قبله وقبل قبله بدهر والنساء الكاسيات العاريات ، أي عليهن لبس لا يوارى سواتهن بل هو زيادة في العورة وإبداء للزينة مائلات في مشيهن مميلات غيرهن إليهن قد عم البلاء بهن في زماننا هذا ، ومن قبله أيضاً ، وهذا من أكبر دلالات النبوة ، إذ وقع الأمر في الخارج طبق ما أخبر به عليه السلام « أ.هـ .

فكيف به لو رأى النساء بملابس البحر ، والفنانات وراقصات الباليه ولا يخفى عليك حال الطهر والعفاف والصيانة والتحجب الذي كان عليه النسوة على عهد رسول الله ﷺ فمن كان يتصور أو يتخيل أن ذلك الحال سيتبدل ويتغير لمثل ما عليه النساء في زماننا من تهتك وعري وخلاعة .

(١٦) الأحاديث الدالة على إخباره بما وقع كما وقع

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » رواه أبو داود .

والحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بغرض الكفاية في أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من الخلف ، ومن أمثال هؤلاء الذين حفظ الله بهم دينه الإمام الشافعي وأحمد والبخاري وابن تيمية ومن ذلك ماجاء في قصة الصحيفة التي تعاقدت فيها بطون قريش وتمالوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يؤوهم ، ولا يناكحوهم ، ولا يبايعوهم حتى يُسلموا إليهم رسول الله ﷺ وكانت قريش قد علقت صحيفة التعاقد في سقف الكعبة فسَلَطَ الله عليها الأرضة فأكلت ما فيها من أسماء الله ، لتلا يجتمع بما فيها

من الظلم والفجور .

وقيل : إنها أكلت مافيها إلا أسماء الله عزوجل ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ
عمه أبو طالب فجاء أبو طالب إلى قريش فقال : إن ابن أخي قد أخبرني بخبر
صحيفتكم ، أن الله قد سلط عليها الأرضة فأكلتها إلا مافيها من أسماء الله ، أو
كما قال ، فأحضروها ، فإن كان كما قال وإلا أسلمته إليكم ، فأنزلوها ففتحوها
فيذا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ فعند ذلك نقضوا حكمها ودخلت بنو هاشم
وبنو المطلب مكة ورجعوا إلى ماكانوا عليه قبل ذلك .

ومن ذلك ماثبت من حديث خباب بن الأرت حين جاء هو وأمثاله من
المستضعفين يستنصرون النبي ﷺ وهو متوسد رداءه في ظل الكعبة ليدعو لهم لما هم
فيه من العذاب والإهانة فجلس محمراً وجهه وقال : « إن من كان قبلكم كان
أحدهم يُشَقُّ باثنتين مايصرفه ذلك عن دينه ، والله ليُتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير
الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم
تستعجلون » .

ومن ذلك مارواه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال : انطلق سعد بن معاذ
معتماً فنزل على أمية بن خلف ، أبي صفوان ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمرَّ
بالمدينة نزل على سعد فقال أمية لسعد : انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناسُ
انطلقت فطُفَّت فبينما سعد يطوف فإذا أبو جهل فقال : من هذا الذي يطوف
بالكعبة ؟ فقال سعد : أنا سعد ، فقال أبو جهل : تطوف بالكعبة آمناً وقد أويتم
محمداً وأصحابه ؟ فقال : نعم ، فتلاحيا (تخاصما) بينهما ، فقال أمية لسعد :
لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي ثم قال سعد : والله لئن منعتني
أن أطوف بالبيت لأقطعنَّ متجرك بالشام قال : فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع
صوتك وجعل يُمسكه ، فغضب سعد فقال : دعنا عنك فإني سمعت محمداً ﷺ
يزعم أنه قاتلك ، قال : إياي ؟ قال : نعم ، قال : والله مايكذب محمد إذا حدَّث

فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي ؟ قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي ، قالت : فوالله ما يكذب محمد ، قال : فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته : ما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ قال : فأراد ألا يخرج فقال له أبو جهل : إنك من أشرف الوادي فسرّ يوماً أو يومين فسار معهم فقتله الله .

ومن ذلك قصة أبي بن خلف الذي كان يعلف حصاناً له فإذا مرّ برسول الله ﷺ يقول : إنني سأقتلك عليه ، فيقول له رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله فقتله النبي ﷺ يوم أحد .

ومن ذلك إخباره عن مصارع القتلى يوم بدر كما ورد في الحديث الصحيح أنه جعل يشير قبل الوقعة إلى محلها ويقول : هذا مصرع أبي جهل غداً إن شاء الله ، وهذا مصرع عتبة بن ربيعة وهذا مصرع شيبة بن ربيعة

قال : فوالذي بعثه بالحق ما حد أحدٌ منهم عن مكانه الذي أشار إليه رسول الله ﷺ .

ومن ذلك إخباره عن فتح مدائن كسرى وقصور الشام وغيرها من البلاد يوم حفر الخندق لما ضرب بيده الكريمة تلك الصخرة فبرقت من ضربة ثم أخرى ثم أخرى .

ومن ذلك إخباره ﷺ عن ذلك الذراع أنه مسموم فكان كما أخبر به واعترف اليهود بذلك ومات من أكله معه ، بشرُّ بن البراء بن معرور .

ومن ذلك ما ذكره عبد الرزاق ، عن معمر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم اللهم نج أصحاب السفينة ثم مكث ساعة ثم قال : قد استمرت وكانت تلك السفينة قد أشرفت على الغرق وفيها الأشعريون الذين قدموا عليه وهو بخير .

ومن ذلك إخباره عن قبر أبي رغال حين مر عليه وهو ذاهب إلى الطائف وأن معه غصناً من ذهب ، فحفروه فوجدوه ، كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه

والحديث رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو .

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام للأَنْصار ، لما خطبهم تلك الخطبة مُسلياً لهم عما كان وقع في نفوس بعضهم من الإيثار عليهم في القسمة لما تألّف قلوب من تألّف من سادات العرب ورؤوس قريش وغيرهم فقال : أما ترضون أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى رحالكم ؟ .

وقال : إنكم ستجدون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ، وقال : إن الناس يكثرون وتقل الأنصار : وقال لهم في الخطبة قبل هذه على الصفا : بل المحيا محياكم والممات ماتكم وقد وقع جميع ذلك كما أخبر به سواء بسواء .

وروى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفس محمد بيده لتُنقَضَنَّ كنوزهما في سبيل الله » ، وقد وقع مصداق ذلك بعده في أيام الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ، استوثقت هذه الممالك فتحاً على أيدي المسلمين وأنفقت أموال قيصر ملك الروم وكسرى ملك الفرس في سبيل الله .

وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين وهي أن مُلك فارس قد انقطع فلا عودة له ، وملك الروم للشام قد زال عنها فلا يملكوها بعد ذلك ولله الحمد والمنة . وفيه دلالة على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، والشهادة لهم بالعدل حيث أنفقت الأموال المغنومة في زمانهم في سبيل الله على الوجه المرضي المدح ، ذكره ابن كثير .

ومن ذلك أيضاً مارواه البخاري عن عدي بن حاتم قال : بينما أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال : يا عدي هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد أنبتت عنها ، قال : فإن طالت بك حياة لترين الظعينة (المرأة) ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ماتخاف أحداً إلا الله عزوجل قلت : فيما بيني وبين نفسي فأين دُعَارُ طيِّب الذين قد سعروا (أفسدوا) البلاد ؟

ولئن طالبت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ، قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال :
كسرى بن هرمز ، ولئن طالبت بك حياة لترین الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو
فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه

قال عدي فرأيت الظعينة ترثحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة فلا تخاف إلا الله
عز وجل ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالبت بكم حياة لترونَّ
ماقال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج الرجل ملء كفه .

ومن ذلك أن النبي ﷺ أرسل لثابت بن قيس من يقول له : إنك لست من أهل
النار ولكن من أهل الجنة « رواه البخاري .

وهكذا ثبت في الحديث الصحيح البشارة لعبد الله بن سلام أنه يموت على
الإسلام ويكون من أهل الجنة وقد مات رضى الله عنه على أكمل أحواله وأجملها
وكان الناس يشهدون له بالجنة في حياته لإخبار الصادق عنه بأنه يموت
على الإسلام .

وكذلك وقع وقد ثبت في الصحيح الإخبار عن العشرة بأنهم من أهل الجنة ، بل
ثبت أيضاً الإخبار عنه صلوات الله وسلامه عليه بأنه لا يدخل النار أحداً بايع تحت
الشجرة ، وكانوا ألفاً وأربعمائة وقيل : خمسمائة ، ولم ينقل إن أحداً من هؤلاء
رضى الله عنه عاش إلا حميداً ولامات إلا على السداد والإستقامة والتوفيق ، ولله
الحمد والمنة .

وهذا من أعلام النبوات ودلالات الرسالة ومن ذلك إخباره ﷺ عن طاعون
عمواس ووقعة الحرة التي كانت في زمن يزيد والإخبار عن خلفاء بني أمية والإشارة
إلى دولة عمر بن عبد العزيز والإشارة إلى الإمام الشافعي ومالك ومحمد بن كعب
..... ومن طالع القرآن وجد من ذلك الكثير مما أخبره ﷺ من الكائنات المستقبلية
في حياته وبعده ، فوقع طبق ما أخبره سواء بسواء .

وهذا باب عظيم لا يمكن استقصاء جميع ما فيه لكثرتها . (١)

١- راجع شمائل الرسول لابن كثير ص ٣٥٧-٣٥٠ .

دلائل النبوة الحسية السماوية منها والأرضية

(١) انشقاق القمر

قال الله تعالى: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ، وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ، ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ، حكمة بالغة فما تغني النذر ﴾ (القمر : ١ - ٥) .

وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله ﷺ وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة .

روى الإمام أحمد عن أنس قال : سألت أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة فرقتين فقال : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ رواه مسلم .

وروى البخاري عن أنس : « أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما » وقد رآه أهل مكة فرقتين في السماء وظن كثير من جهلتهم أن هذا شيء سحرت به أبصارهم فسألوا من قدم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ما شاهدوه فعلموا صحة ذلك وتيقنوه .

ولا يقدح في هذه الآية جحود الكفرة فهؤلاء يصدق عليهم قوله تعالى :

﴿ وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ﴾ (الأعراف : ١٤٦) .

(٢) استسقاء النبي ﷺ

وهذا من دلائل نبوته ﷺ فقد استسقى لأمته حين تأخر المطر ، فأجابه سبحانه إلى سؤاله بحيث لم ينزل عن منبره إلا والمطر يتحادر .

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك : « أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال : يا رسول الله هلكت الأموال وتقطعت السبل فادع الله لنا يغثنا قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا .

قال أنس : ولا والله مانرى في السماء من سحاب ولا فزعة (القطعة من السحاب) ولا شيئاً وما بيننا وبين سلع من بيت ولادار قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال : والله مارأينا الشمس ستاً ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائماً وقال : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ادع الله يمسهها : قال فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم حوالينا لا علينا ، اللهم على الآكام والجال والظراب (الجبال الصغيرة) ومنابت الشجر قال : فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس .»

وطرق الحديث متواترة عن أنس بن مالك تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وقد وقع مثل هذا الإستسقاء في غزوة تبوك في أثناء الطريق .

وروى البخاري عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا ففتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال : فيسقون .

(٣) تكثير الماء في غير ماموطن

عن أنس بن مالك قال : « رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتني رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم » رواه البخاري ومسلم .

وعن البراء بن عازب قال : « كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة ، فجلس رسول الله ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا وروت أو صدرت ركابنا » رواه البخاري .

وعن جابر بن عبد الله قال : « اشتكى أصحاب رسول الله ﷺ إليه العطش قال : فدعا بعُس (القدح الضخم) فصب فيه شئ من الماء ووضع رسول الله ﷺ يده فيه وقال : استقوا فاستسقى الناس قال : فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابع رسول الله ﷺ » رواه أحمد .

وعن جابر بن عبد الله قال : « عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ فجهش الناس نحوه قال : مالكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشر بنا وتوضأنا قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة » رواه البخاري ومسلم .

والأحاديث في تكثير الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة متواترة رواها بالإضافة إلى من ذكرنا ابن عباس وابن مسعود وسلمة بن الأكوع وعمران بن حصين وأبو قتادة .

(٤) تكثير الأطعمة في غير ماموطن

روى البخاري عن أنس بن مالك قال : قال أبو طلحة لأم سُلَيْم : لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شئ ؟ قالت : نعم فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خمراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولائتي (غطنتي) ببعضه ثم أرسلني إلى رسول الله ﷺ قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومع الناس ، فقامت عليهم ، فقال رسول الله ﷺ لمن معه : قوموا ، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة : يا أم سُلَيْم قد جاء رسول الله ﷺ والناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت : بالله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه فقال رسول الله ﷺ : هلم يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففتت وعصرت أم سليم عكة فأدتمته ، ثم قال

رسول الله فيه ماشاء الله أن يقول ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال : ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً « رواه البخاري ومسلم .

وقد ورد في حديث أم معبد حَبَّه عليه الصلاة والسلام شاتها وكانت عجفاء لالبن لها فشرب هو وأصحابه وغادر عندها إناء كبيراً من لبن حتى جاء زوجها .
ورود أيضاً في ذكر من كان يخدمه من غير مواليه عليه الصلاة والسلام المقداد بن الأسود حين شرب اللبن الذي كان قد جاء لرسول الله ﷺ ثم قام في الليل ليذبح له شاة فوجد لبنا كثيراً فحلب ماملاً منه إناء كبيراً جداً .

وروى أبو داود عن ابنة حُباب أنها أتت رسول الله ﷺ بشاة فاعتقلها وحلبها فقال : ائتني بأعظم إناء لكم فأتيناه بجفنة العجين ، فحلب فيها حتى ملأها ، ثم قال : اشربوا أنتم وجيرانكم ، ومن ذلك تكثيره السمن لأم سليم .
وأحاديث تكثير الطعام كثيرة متواترة ، تمت في الحضر والسفر في بيت فاطمة وبيت الصديق وهنا وهناك ورآها الجُم الغفير من الخلائق .

روى البخاري عن جابر أن أباه توفي وعليه دينٌ فأتيت النبي ﷺ فقلت : إن أبي ترك عليه ديناً وليس عندي إلا ما يُخرج نخله ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه فانطلق معي لكيلاً يُفحش عليَّ الغُرماء فمشى حول بيْدُر من بيادر التمر فدعا ثم أخرج ثم جلس عليه فقال : انزعوه فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم .

(٥) إنقياد الشجر لرسول الله ﷺ

روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال : سرنا مع النبي ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيحَ فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء فنظر فلم يرى شيئاً يستتر به ، وإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها وقال : انقادي عليَّ بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده

حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها وقال : انقادي عليّ بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده ، حتى إذا كان بالمتصف فيما بينهما لأم بينهما - يعني جمعهما - وقال : إلتئما عليّ بإذن الله فالتأمتا .

قال جابر : فخرجت أخضر مخافة أن يحسّ بقربي فيبتعد فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفته فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبل وإذا الشجرتان قد افتترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق فرأيت رسول الله وقف وقفة وقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى البيهقي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله كان على الحجون كئيباً لما آذاه المشركون فقال : «اللهم أرني اليوم آية لا أبالي من كذبني بعدها ، قال فأمر فنادى شجرة من قبل عقبة المدينة فأقبلت تَخُدُّ (تشق) الأرض حتى انتهت إليه ، قال : ثم أمرها فرجعت إلى موضعها قال : فقال : ما أبالي من كذبني بعدها من قومي » .

وروى الحاكم عن ابن عمر قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله : أين تريد قال : إلى أهلي قال : هل إلى خير ؟ قال ماهو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله قال : هل من شاهد علي ماتقول ؟ قال : هذه الشجرة فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تَخُدُّ الأرض خدأ فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال ، ثم إنها رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه فقال : إن يتبعوني أتيتك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك » .

قال ابن كثير : وهذا إسناد جيد .

(٦) حنين الجذع شوقاً إلى رسول الله ﷺ

عن جابر بن عبد الله قال : كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل ، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنُع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت »

رواه البخاري ، وكان سبب تحول النبي ﷺ إلى المنبر كثرة الناس ، فأشار عليه

البعض بذلك حتى تسمع الناس خطبته .

وفي رواية الإمام أحمد : « فمسحه بيده حتى سكن ثم رجع إلى المنبر » .
وفي رواية أبي يعلى : « فلما قعد نبي الله على المنبر خار كخوار الثور ارتجَّ
لخواره حزناً على رسول الله فنزل إليه رسول الله من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما
التزمه سكت ثم قال : والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى يوم
القيامة حزناً على رسول الله » صحيح غريب من هذا الوجه ، وفي رواية البزار :
« لو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة » .

، ورواه ابن ماجه بإسناد علي شرط مسلم ، وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث
بكى ثم قال : يا عباد الله الخشبة تحنُّ إلى رسول الله شوقاً إليه لمكانه من الله ، فأنتم
أحقُّ أن تشتاقوا إلى لقائه .

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة
إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار : يا رسول الله ألا تجعل لك منبراً ؟
قال : إن شئتم ، فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر ، فصاحت
النخلة صياح الصبي ، ثم نزل النبي ﷺ فضمها إليه تثن أنين الصبي الذي يُسكَّن
قال : كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها ، وهذه الطرق من هذه
الوجه تفيد القطع بوقوع ذلك عند أئمة الحديث وكلها من دلائل نبوته ﷺ .

(٧) تسبيح الحصى في كفه عليه الصلاة والسلام

عن جابر بن سَمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنني لأعرف حجراً بمكة كان
يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إنني لأعرفه الآن » رواه أحمد .
وعن علي بن أبي طالب قال : « كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض
نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله » رواه
الترمذي وقال : هذا الحديث حسن غريب .

وروى أبو نُعَيْمٍ عن علي قال : خرجت مع رسول الله ﷺ فجعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه ، ولما رجع ﷺ وقد أوحى إليه جعل لا يمر بحجر ولا شجر ولا مدّر ولا شيء إلا قال له : السلام عليك يا رسول الله ، وفي وقعة بدر ووقعة حنين أخذ ﷺ بقبضة من تراب ، وأمر أصحابه أن يتبعوها بالحملة الصادقة فيكون النصر والظفر والتأييد عقب ذلك سريعاً .

ومن ذلك قوله ﷺ لعمة وبنيه تقاربوا تقاربوا يزحف بعضكم إلى بعض حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال : « يارب هذا عمي وصنوأبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه ، فأمنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين » رواه البيهقي .

وروى البخاري عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ، والروايات في هذا المعنى أيضاً كثيرة .

(٨) ما يتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة

(أ) سجود البعير له ﷺ

روى الإمام أحمد عن عائشة : « أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه : يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك فقال : اعبدوا ربكم وأكرموا أحاكم ولو كنت امرأةً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلى جبل أسود ومن جبل أسود إلى جبل أبيض كان ينبغي لها أن لا تفعله » رواه أحمد بإسناد على شرط السنن .

، وفي رواية أحمد ومسلم وقال : « من صاحب الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار قال هو لي يا رسول الله فقال : أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله لك ؟ إنه شكأ إليّ أنك تُجيعه وتُدّثبه (تتعبه) » .

وفي حديث يعلى بن سائبه : وجاء بعير فضرب بجرأته إلى الأرض ثم جرجر

حتى ابتلّ ما حوله ، فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون ماذا يقول البعير أنه يزعم أن صاحبه يريد نحره » رواه أحمد .

وفي رواية أخرى فسأل النبي ﷺ صاحبه : ماشأن جملك هذا ؟ قال : لأأدرى والله ماشأنه عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية فائتمرنا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه فقال رسول الله ﷺ تبيعونيهِ ؟ قالوا : يارسول الله هو لك . قال : فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله .

(ب) قصة الذئب وشهادته بالرسالة

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : « عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانترعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه فقال : ألا تتقي الله ؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ ؟ فقال : « يا عجبى ذئب يُقعى على ذنبه يكلمني كلام الإنس ! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق .

قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فأمر رسول الله فنودي : الصلاة جامعة ثم خرج فقال للراعي : أخبرهم فأخبرهم فقال رسول الله ﷺ . صدق والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباعُ الإنس ويكلم الرجل عذبةً سوطه ، وشراك نعله ويخبره فخذة بما أحدث أهله بعده « صححه البيهقي ، وقال ابن كثير هذا إسناد على شرط الصحيح .

وفي بعض الروايات فقال الذئب : أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم وكان الرجل يهودياً فجاء إلى النبي ﷺ فأسلم وخبره فصدقه النبي ﷺ .

ثم قال رسول الله : « إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدثه أهله بعده » رواه أحمد ، وهو

على شرط السنن .

(ج) قصة الوحش الذي كان في بيت النبي ﷺ

روى الإمام أحمد عن أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها قالت : كان لآلي رسول الله ﷺ وحش فإذا خرج رسول الله لعب واشتد ، وأقبل وأدبر فإذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل ربض فلم يترمرم مادام رسول الله ﷺ في البيت كراهية أن يؤذيه « قال ابن كثير هذا الإسناد على شرط الصحيح .

(د) قصة الأسد مع سفينة

ذكر عبد الرزاق : أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم أو أسرف في أرض الروم فانطلق هارباً يلتمس الجيش فإذا هو بالأسد ، فقال : يا أبا الحارث إني مولى رسول الله ﷺ كان من أمري كيت وكيت : فأقبل الأسد يبصبه حتى قام إلى جنبه ، كلما سمع صوته أهوى إليه ثم أقبل يمشي إلى جنبه فلم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش ثم رجع الأسد عنه « رواه البيهقي .

كرامات معدودة من المعجزات لأن كل ما ثبت لولي فهو معجز لنبيه

(١) روى البيهقي عن معاوية بن حرمل قال : خرجت نار بالحرة فجاء عمر إلى تميم الداري فقال : قم إلى هذه النار ، قال : يا أمير المؤمنين ومن أنا وما أنا ؟ قال : فلم يزل به حتى قام معه قال : وتبعتهما ، فانطلقا إلى النار ، فجعل تميم يحوشها بيديه حتى دخلت الشعب ودخل تميم خلفها ، قال فجعل عمر يقول : ليس من رأى كمن لم ير قالها ثلاثاً .

(٢) عن أبي سيرة النخعي قال : أقبل رجل من اليمن فلما كان ببعض الطريق نفق حماره ، فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال : اللهم إني جئت من الدفينة مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور لاتجعل لأحد عليّ اليوم منةً أطلب إليك اليوم أن تبعث حماري فقام الحمار

ينفض أذنيه « قال البيهقي : هذا إسناد صحيح .

(٣) روى البيهقي أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى دجلة وهى ترمي بالخشب من مدها فمشى على الماء والتفت إلى اصحابه وقال : هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعوا الله عزوجل ؟ .

قال البيهقي : هذا إسناد صحيح ، قال ابن كثير : وقد ذكرنا قصة أبو مسلم الخولاني واسمه عبد الله بن ثوب مع الأسود العنسي حين ألقاه في النار فكانت عليه برداً وسلاماً كما كانت على الخليل إبراهيم عليه السلام .

(٤) روى البيهقي أن زيد بن خارجة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج توفي زمن عثمان بن عفان فسجى بثوبه ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم ثم قال : أحمد في الكتاب الأول صدق أبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الأول صدق عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول ، صدق ، عثمان بن عفان على مناهجهم مضت أربع وبقيت ثنتان أتت بالفتن ، وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم عن جيشكم خبر بئر أريس ومابئر أريس . قال يحيى : قال سعيد : ثم هلك رجل من بني خطمه فسجى بثوبه فسمع جلجلة في صدره ثم تكلم فقال : إن أخابني الحارث بن الخزرج صدق صدق « رواه البيهقي وقال : هذا إسناد صحيح له شواهد .

(٥) روى البيهقي عن أنس قال : أدركت في هذه الأمة ثلاثاً لو كانت في بني إسرائيل لما تقاسمها الأمم : قلنا ماهى ياأباحمزة ؟ قال : كنا في القصة عندرسول الله ﷺ فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ فأضاف المرأة إلى النساء وأضاف ابنها إلينا فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياماً ثم قبض فضمه النبي ﷺ وأمر بجهازه فلما أردنا أن نغسله قال : ياأنس أتت أمه فاعلمها فأعلمتها قال : فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت : اللهم إني اسلمت لك طوعاً وخالفت الأوثان زهداً وهاجرت لك رغبة اللهم لاتشمت بي عبدة الأوثان

ولا تحملني من هذه المصيبة مالا طاقة لي بحملها .

قال : فوالله ماتقضي كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسول الله ﷺ وحتى هلكت أمه قال : ثم جهز عمر بن الخطاب جيشاً واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي . قال أنس : وكنت في غزاته فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد بدرُوا بنا فعفوا آثار الماء والحر شديد فجهدنا العطش ، ودوا بنا وذلك يوم الجمعة فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين ثم مد يده إلى السماء وما نرى في السماء شيئاً قال : فوالله ما حظ يده حتى بعث الله ريحاً وأنشأ سحاباً وأفرغت حتى ملأت العُدُر والشَّعَاب فشربنا وسقينا ركابنا واستقينا ثم أتينا عدونا وقد جاوزا خليجاً في البحر إلى جزيرة فوقف على الخليج وقال يا علىَّ يا عظيم يا حلِيم يا كريم ثم قال :

أجيزوا بسم الله قال : فأجزنا ما يبيل الماء حوافر دوابنا فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العدو عليه فقتلنا وأسرننا وسبينا ثم أتينا الخليج فقال مثل مقالته ، فأجزنا ما يبيل الماء حوافر دوابنا قال : فلم نلبث إلا يسيراً حتى رُمي في جنازته .

قال : فحفرنا له وغسلناه ودفناه فأتى رجل بعد فراغنا من دفنه فقال : من هذا ؟ فقلنا : هذا خير البشر هذا ابن الحضرمي فقال : إن هذه الأرض تلفظ الموتى فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين إلى أرض تقبل الموتى فقلنا : ما جزاء صاحبنا أن نعرضه للسباع تأكله ، قال : فاجتمعنا على نشبه فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا ليس فيه وإذا اللحد مدَّ البصر نور يتلألأ قال : فأعدنا التراب إلى اللحد ثم ارتحلنا .

معجزات دعوات النبي ﷺ

فمن ذلك دعاء ﷺ لأهل المدينة أن يُذهب حُمَاهَا إلى الجُحْفَة ، فاستجاب الله له ذلك ، فإن المدينة كانت من أوبأ أرض الله فصححها الله ببركة حلوله بها ودعائه لأهلها صلوات الله وسلامه عليه ،

وفي الصحيح أنه قال لأبي هريرة وجماعته : من يبسط رداءه اليوم فإنه لا ينسى

شيئاً من مقالتي وقال أبو هريرة: فبسطته فلم أنس شيئاً من مقالته تلك .
وروى البيهقي أنه دعا لعمه أبي طالب في مَرَضَة مرضها ، وطلب من رسول
الله ﷺ أن يدعو له ربه فدعا له فبرأ من ساعته .

وثبت في الصحيحين أن جابر بن عبد الله كان يسير على جمل قد أعيا ، فأراد
أن يسييه (يتركه ولا يركبه) قال : فلحقني رسول الله ﷺ فضربه ودعا لي ، فسار
سيراً لم يسير مثله .

وفي رواية : فما زال بين يدي الإبل قدامها حتى كنت أحبس خطامه فلا أقدر
عليه فقال : كيف ترى جملك ؟ فقلت : قد أصابته بركتك يا رسول الله .

وثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : أتني رسول الله ﷺ الخلاء فوضعت له
وضوءاً فلما خرج قال : من صنع هذا ؟ قالوا : ابن عباس ، قال : اللهم فقهه في
الدين « فكان ابن عباس إماماً يُهتدى بهداه ويقتدى بسنّاه في علوم الشريعة ،
ولاسيما في علم التأويل وهو التفسير ، فإنه انتهت إليه علوم الصحابة قبله .
وثبت في الصحيح أنه عليه السلام دعا لأنس بن مالك بكثرة المال والولد .
وفي رواية : أنه ﷺ قال : اللهم أطلّ عمره ، فعمرمائة .

وفي الصحيح أنه وكّد لصلبه قريباً من مائة أو مائيف عليها ، وكان له بستان
يحمل في السنة فاكهة مرتين ، وقد دعا ﷺ لأم سليم ولأبي طلحة في غابر ليلتهما
فولدت له غلاماً سماه رسول الله ﷺ عبد الله ، فجاء من صلّبه تسعة كلهم قد
حفظ القرآن (ثبت ذلك في الصحيح) .

وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه سأل رسول الله ﷺ أن يدعو
لأمّه فيهديها الله فدعا لها ، فذهب أبو هريرة فوجد أمه تغتسل خلف الباب فلما
فرغت قالت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فجعل أبو
هريرة يبكي من الفرح ثم ذهب فأعلم بذلك رسول الله وسأل منه أن يدعو لهما أن
يحببهما الله إلى عباده المؤمنين فدعا لهما ، فحصل ذلك .

قال أبو هريرة : فليس مؤمن ولا مؤمنة إلا هو يحبنا .

وثبت في صحيح البخاري وغيره أنه ﷺ دعا للسائب بن يزيد ومسح بيده على رأسه فطال عمره حتى بلغ أربعاً وتسعين سنة وهو تام القامة معتدل ، ولم يشيب منه موضع أصابت يد رسول الله ﷺ ومُتَّع بحواسه وقواه .

وثبت في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام دعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة حين رأى عليه ذلك الدرع من الزعفران لأجل العرس فاستجاب الله لرسوله ﷺ ففُتِح له في المتجر والمغانم حتى حصل له مال جزيل بحيث أنه لما مات صولحت امرأة من نسائه الأربع عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً .

وورد عن سلمة بن الأكوع ، أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال له : كل بيمينك ، قال : لا أستطيع قال : لا استطعت ما يمنعه إلا الكبير قال : فما رفعها إلى فيه « رواه مسلم .

وثبت عن أنس بن مالك قال : كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ ، فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب قال فرفعوه وقالوا : هذا كان يكتب لمحمد ، وأعجبوا به ، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم ، فحفروا له فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له وواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذاً « رواه مسلم .

ودعا على أولئك نفر السبعة ، حين طرحوا على ظهره ﷺ سلا الجزور ، قال ابن مسعود : فوالذي بعثه بالحق لقد رأيتهم صرعى في القليب قليب بدر . الحديث وهو متفق عليه .

معجزات لرسول الله مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء قبله وأعلى منها

فمن ذلك القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فإنه معجزة مستمرة على الأباد ولا يخفى برهانها وقد تحدى به الثقلين من الجن والإنس على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك.

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة « متفق عليه .

والمعنى أنه كل نبي أوتي من خوارق المعجزات ما يقتضي إيمان من رأى ذلك من أولي البصائر والنهى ، لا من أهل العناد والشقاء ، وإنما كان الذي أوتيته ، أي جلّه وأعظمه وأبهره ، القرآن الذي أوحاه الله إليّ ، فإنه لا يبيد ولا يذهب كما ذهبت معجزات الأنبياء وانقضت بانقضاء أيامهم فلا تشاهد ، بل يخبر عنها بالتواتر والآحاد بخلاف القرآن العظيم الذي أوحاه الله إليه فإنه معجزة متواترة عنه ، مستمرة دائمة البقاء بعده مسموعة لكل من ألقى السمع وهو شهيد .

وقد اختص الله نبيه ﷺ عن بقية إخوانه من الأنبياء بعدة خصائص :

فقد روى جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :

« أعطيت خمساً لم يُعْطَ أحدٌ قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلي قومه ، وبعثت إلى الناس عامة « متفق عليه .

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن كل معجزة لنبي من الأنبياء فهي معجزة لخاتمهم محمد ﷺ وذلك أن كلاً منهم بشرٌ بمبعثه ، وأمر بمتابعته .

كما قال تعالى ﴿وَإِذ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ، فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨١-٨٢﴾ .

وقد ذكر البخاري وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا وأخذ عليه العهد والميثاق لئن بُعث محمد وهو حي ليؤمنن به وليتبعنه ولينصرنه .

وذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء ، لأن الولي إنما نال ذلك بكرامة متابعتة لنيبه و ثواب إيمانه ، وقد ذكر الشافعي ، أنه ما أعطى الله نبياً مثل ما أعطى محمداً ﷺ .

ما أوتى نوح عليه السلام

ونحن لو تتبعنا معجزات الأنبياء تفصيلاً ونظرنا في معجزات رسول الله ﷺ التي ذكرناها إجمالاً لوجدنا مصداق ما أخبر عنه الإمام الشافعي فمن ذلك نجاة نوح في السفينة بالمؤمنين وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء ، وفي قصة العلاء بن الحضرمي ما يدل على ذلك .

روى منجّاب قال : غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين ، فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له ، فنزلنا منزلاً فطلب الماء فلم يجده ، فقام وصلى ركعتين وقال : اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك ، اللهم اسقنا غيثاً تنوضاً به ونشرب ، ولا يكون لأحد فيه نصيب غيرنا ، فسرنا قليلاً فإذا نحن بماء حين أقلعت السماء عنه ، فتوضأنا منه وتزودنا وملأت إدواتي وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا فسرنا قليلاً ثم قلت لأصحابي : نسيت إدواتي فرجعت إلي ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط ، ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم .

فقال : يا عليّ يا حكيم ، إنا عبيدك وفي سبيلك ، نقاتل عدوك اللهم فاجعل

إليهم سبيلاً ، فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لبودنا (ما يوضع تحت السرج) ومشينا على متن الماء ولم يتل لنا شيء . فهذا أبلغ من ركوب السفينة ، وأبلغ من فلق البحر لموسى . وهذه القصة ذكرها البخاري في التاريخ الكبير كما ذكرها البيهقي .

وقد حدث مثل ذلك مع أبي مسلم الخولاني وغيره ، فهذه الكرامات لهؤلاء الأولياء هي معجزات لرسول الله ﷺ ، لأنهم إنما نالوها ببركة متابعتهم ﷺ وقد أجاب الله دعاء نبيه نوح في إهلاك من كفر به .

وكذلك نبينا ﷺ لما كذبه قومه وبالغوا في أذيته رفع يديه فقال : اللهم عليك بالملأ من قريش ، ثم سمى فقال : اللهم عليك بأبي جهل وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأميه بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد ، قال عبد الله بن مسعود فوالذي بعثه بالحق لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سُحبوا إلى القليب قليب بدر .

وكذلك لما أقبلت قريش يوم بدر في عددها وعديدها فرفع النبي ﷺ يديه : اللهم هذه قريش جاءتك بفخرها وخيلائها تجادل وتكذب رسولك ، اللهم أحْنهم (أهلكهم) الغداة فقتل من سراتهم سبعون وأسر من أشرفهم سبعون ، ولو شاء الله لاستأصلهم ، ولكن الله أبقي منهم من سيؤمّن به وبرسوله ﷺ .

وقد دعا على عقبة بن أبي لهب أن يسلط عليه كلبه بالشام فقتله الأسد عند وادي الزرقاء قبل مدينة بصرى ، كما دعا على قريش بسبع كسبع يوسف فقطعوا حتى أكلوا العلهز (وهو الدم بالوير) ، وأكلوا العظام وكل شيء ثم توصلوا إلي تراحمه وشفقته ورأفته ، فدعا لهم ففرج الله عنهم وسقوا الغيث ببركة دعائه .

وقد ذكر العلماء أن قوم نوح لما بلغوا من أذيته والإستخفاف به ، وترك الإيمان بما جاءهم به من عند الله ، دعا عليهم فقال : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ (نوح : ٢٦) فاستجاب الله دعوته ، وغرق قومه ، حتى لم يسلم شيء من الحيوانات والدواب إلا من ركب السفينة .

أما بالنسبة لرسول الله ﷺ فقد روت أم المؤمنين عائشة في قصة ذهابه ﷺ إلى

الطائف ، فدعاهم فأذوه فرجع وهو مهموم فلما كان عند قرن الثعالب ناداه ملك الجبال فقال :

« يا محمد إن ربك قد سمع قول قومك وماردوا عليك ، وقد أرسلني إليك لأفعل ماتاًمرني به ، فإن شئت أطبقت عليهم الأحشيين - يعني جبلي مكة ، أبو قبيس وثور - فقال : بل أستأني بهم لعل الله يُخرج من أصلابهم من لا يشرك بالله شيئاً » وهذا أحسن .

وقد ذكرنا أحاديث الإستسقاء في غير ماموضع للجذب والعطش فيجواب كما يريد على قدر الحاجة المائية ، ولاأزيد ولاأنقص ، وهذا أبلغ في المعجزة ، وأيضاً فإن هذا ماء رحمة ونعمة ، وماء الطوفان ماء غضب ونقمة .

وقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، فبلغ جميع من آمن به رجالاً ونساء الذين ركبوا معه سفينته دون مائة نفس ، وآمن بنبينا ﷺ في مدة عشرين سنة - الناس شرقاً وغرباً ودانت له جبابرة الأرض وملوكها ، وخافت زوال ملكهم ككسرى وقيصر ، وأسلم النجاشي والأقبال رغبة في دين الله ، والتمزم من لم يؤمن به من عظماء الأرض الجزية ، فذلوا له منقادين ، لما أيده الله به من الرعب الذي يسير بين يديه شهراً ، وفتح الفتوح ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

كما قال الله تعالى: ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ﴾ (النصر : ٢) .

وتوفي رسول الله عن مائة ألف صحابي أو يزيدون ، ومات وقد فتح الله له المدينة وخيبر ومكة وأكثر اليمن وحضرموت وحدث ما أخبر عنه رسول الله ﷺ حين قال :

« زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي مازوي لي منها » وقال : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لتُنْفَقن كنوزهما في سبيل الله » وكذا وقع سواء بسواء فقد

استولت الممالك الإسلامية على ملك كسرى وقيصر وبلاد المشرق ، وإلى أقصى بلاد المغرب إلى أن قُتل عثمان رضى الله عنه سنة ٣٦ هـ .

فكما عمت جميع أهل الأرض النعمة بدعوة نوح عليه السلام كذلك عمت جميع أهل الأرض بركة رسالة محمد ﷺ ودعوته فأمن من آمن من الناس وقامت الحجة على من كفر منهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

(الأنبياء : ١٠٧) وكما قال ﷺ : ﴿ إنما أنا رحمة مهداة ﴾ وقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ (إبراهيم : ٢٨) .

قال ابن عباس : النعمة محمد ، والذين بدلوا نعمة الله كفراً كفار قريش - يعني - وكذلك كل من كذب به من سائر الناس - كما قال : ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ (هود : ١٧) .

قال أبو نعيم : فإن قيل سمى نوحاً عليه السلام باسم من أسمائه الحسنی فقال : ﴿ إنه كان عبداً شكوراً ﴾ (الإسراء : ٣) قلنا : وقد سمى الله محمداً ﷺ بإسمين من أسمائه فقال : ﴿ بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ (التوبة : ١٣٨) قال : وقد خاطب الله أنبياء بأسمائهم : يانوح ، ياإبراهيم ، ياموسى ، ياداود ، ياعيسى ، يايحيى ، يامريم وقال مخاطباً لمحمد ﷺ : ﴿ ياأيها الرسول ﴾ (المائدة : ٤١) ﴿ ياأيها النبی ﴾ (الأحزاب : ٢٨) ﴿ ياأيها المزمّل ﴾ (المزمّل : ١) ﴿ ياأيها المدثر ﴾ (المدثر : ١) .

وذلك قائم مقام الكنية بصفة الشرف ولما نسب المشركون أنبيائهم إلى السفه والجنون ، كل أجاب عن نفسه .

قال نوح : ﴿ ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ﴾ .

وأما محمد ﷺ فإن الله تعالى هو الذي يتولى جوابهم عنه بنفسه الكريمة كما قال تعالى : ﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ، قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً ﴾ . ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ، قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين ﴾ (الفرقان : ٦ ، ٥) .

قال تعالى: ﴿ن ، والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن لك لأجرًا غير ممنون ، وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم : ١ ، ٢ ، ٣) .
وقال تعالى: ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ (النحل : ١٠٣) .

القول فيما أوتى إبراهيم الخليل عليه السلام

كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم وقد خمدت لنبينا ﷺ نار فارس ، لما ولد ﷺ وبينه وبين بعثته أربعون سنة وخمدت نار إبراهيم لمباشرته لها ، وخمدت نار فارس لنبينا ﷺ وبينه وبينها مسافة أشهر كما قال الزمكاني .

وقد ألقى بعض هذه الأمة في النار فلم تؤثر فيهم بركة نبينا ﷺ منهم أبو مسلم الخولاني ، الذي امتحنه الأسود العنسي باليمن وأمر بنار فأججت وعظيمة فأججت فطرح فيها أبو مسلم فلم تضره ، وقدم المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ فقبل عمر ما بين عينيه ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر الصديق وقال : الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

قال إسماعيل بن عياش : فأننا أدركت رجلاً من الأمداد الذين يُمدون إلينا من اليمن من خوّلان ، ربما تآزحوا فيقول الخولانيون للعنسيين : صاحبكم الكذاب حرق صاحبنا بالنار ولم تضره .

وأما إلقاء نبي الله إبراهيم من المنجنيق فقد وقع في حديث البراء بن مالك في وقعة مسيلمة الكذاب ، وأن أصحاب مسيلمة انتهوا إلى حائط صغير فتحصنوا به وأغلقوا الباب ، فقال البراء بن مالك : ضعوني على بُرْش واحملوني على رؤوس الرماح ثم ألقوني من أعلاها داخل الباب ، ففعلوا ذلك وألقوه عليهم فوق وقام وقاتل المشركين وقتل مسيلمة .

وإن قيل فإن إبراهيم اختص بالخُلَّة مع النبوة ، قيل : فقد اتخذ الله محمداً

خليلاً وحيباً .

وقد ورد عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله ﷺ قال : « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً » رواه مسلم .

وقال ﷺ قبل أن يموت بخمس : «إني أبرأ إلى الله عزوجل أن يكون لي بينكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً » رواه مسلم .

وقد قال تعالى عن نبيه إبراهيم : ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ (الأنعام : ٧٥) وقال تعالى عن حبيبه محمد : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ .

وقال الخليل : ﴿ والذى أطمع أن يغفرلى خطيئتي يوم الدين ﴾ (الشعراء : ٨٢) .

وقال الله للحبيب محمد ﷺ : ﴿ ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ﴾ (الفتح : ٢)

وقال الخليل : ﴿ ولاتخزني يوم يعثون ﴾ (الشعراء : ٨٧) .

وقال الله للنبي : ﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ﴾ (التحريم : ٨) .

وقال الخليل حين ألقى في النار : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (آل عمران : ٧٣) .

وقال الله لمحمد : ﴿ ياأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ (الأنفال : ٦٤)

وقال الخليل : ﴿ واجعل لى لسان صدق فى الآخريين ﴾ (الشعراء : ٨٤) .

وقال الله لمحمد : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ (الشرح : ٤) .

وقال الخليل : ﴿ واجعلني من ورثة جنة النعيم ﴾ (الشعراء : ٨٥) .

وقال الله لمحمد : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .

وعن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال : « إني سأقوم مقاماً يوم القيامة يرغب

إلي الخلق كلهم حتى أبوهم إبراهيم الخليل » رواه مسلم .

وقد حجب إبراهيم عليه السلام عن عمرود وكذلك حُجِبَ محمد ﷺ عن

أرادوا قتله كأم جميل امرأة أبي لهب وأبي جهل وسراقة بن مالك وخرج سالماً يوم الهجرة من بين ظهراني المشركين رغم ترصدهم له .

وقد ألقى إبراهيم في النار فجعلها الله برداً وسلاماً ، وكذلك النبي ﷺ لما نزل بخبير سمته الخبيرية ، وأخبر ذراع الشاة رسول الله ﷺ بما أودع فيه من السم وكان قد نهس منه نهسة ، وكان السم فيه أكثر فصير الله ذلك السم في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله ، وقد مات بشر بن البراء بن معرور سريعاً من تلك الشاة المسمومة وقد أظهر الله حجة إبراهيم عندما خصم عمرو بن لحيان نبوته فبهته قال تعالى :

﴿ فبهت الذي كفر ﴾ (البقرة : ٢٥٨) وكذلك محمد ﷺ أتاه الكذاب بالبعث ، أبي بن خلف بعظم بال ففركه وقال: ﴿ من يحيى العظام وهي رميم ﴾ فأنزل الله تعالى البرهان الساطع ﴿ قُلْ يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ (يس : ٧٩) . فانصرف مبهوتاً ببرهان نبوته .

وقد قتله النبي ﷺ بيده الكريمة - يوم أحد - طعنه بحربة فأصاب ترقوته فتردى عن فرسه مراراً فقالوا له : ويحك مالك؟ فقال والله إن بي لما لو كان بأهل ذي المجاز لما اتوا أجمعين : ألم يقل : بل أنا أقتله؟ والله لو بصق عليّ لقتلني .

وكان هذا لعنه الله قد أعد فرساً وحرية ليقتل بها رسول الله ﷺ فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله ، فكان كذلك يوم أحد .

ومن المعلوم أن إبراهيم عليه السلام كسر أصنام قومه غضباً لله ، وكذلك فإن رسول الله كسر ثلاثمائة وستين صنماً ، كان كلما دنا منها بمخصرته تهوي من غير أن يمسه ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

وقد ذكر غير واحد من علماء السير أن الأصنام تساقطت أيضاً لمولده الكريم وخمدت نار فارس التي كانوا يعبدونها ليلتئذ ، وأما إحياء الطيور الأربعة لإبراهيم عليه السلام ، فإن إحياء الأموات بدعوات أمته ، وحنين الجذع وتسليم الحجر والشجر والمدر على النبي ﷺ وتكليم الذراع له ما هو أعظم من ذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴾ فإن رسول الله ﷺ قد أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عُرِج به إلى السماء السابعة ثم إلى حيث ماشاء ربنا من العلى وأراه من آياته الكبرى فصلوات الله وسلامه على نبيه في الآخرة والأولى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ (الإسراء : ١) .

القول فيما أوتى موسى عليه السلام

من الآيات البينات

وأعظمهن تسع آيات كما قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ (الإسراء : ١٠١) والجمهور على أنها هى العصا فى انقلابها حية تسعى ، واليد إذا أدخل يده فى جيب درعه أخرجها تضيء كقطعة قمر يتلألأ إضاءة ، ودعاؤه على قوم فرعون حين كذبوه فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ، وكذلك أخذهم الله بالسنين ، وهى نقص الحبوب ، وبالجدب وهو نقص الثمار ، وبالموت الذريع وهو نقص الأنفس ، وهو الطوفان فى قول ، ومنها فلق البحر لإنجاء بني إسرائيل وإغراق آل فرعون ، ومنها تضليل بني إسرائيل فى التيه ، وإنزال المن والسلوى عليهم واستسقاؤه لهم ، فجعل الله ماءهم يخرج من حجر يُحمل معهم على دابة ، له أربعة وجوه ، إذا ضربه موسى بعصاه يخرج من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين ، ثم يضربه فينقلع ، إلى غير ذلك من الآيات الباهرات .

وقيل كل من عبد العجل أماتهم ثم أحياهم الله تعالى ، وقصة البقرة ، فأما حياة عصا موسى فقد سبح الحصا فى كف رسول الله ﷺ وهو جماد ، والحديث فى ذلك صحيح .

وروى البخاري عن ابن مسعود قال : كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل .
وروى مسلم عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ إني لأعرف حجراً
كان يسلم عليّ بمكة قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن .
قال بعضهم : هو الحجر الأسود .

وعن ابن عباس قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : هم أعرف أنك
رسول الله ؟ قال : أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أنني رسول
الله ؟ قال : نعم قال : فدعا رسول الله فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط في
الأرض فجعل ينقر حتى أتى رسول الله ﷺ ثم قال له : إرجع ، فرجع إلى مكانه ،
فقال : أشهد أنك رسول الله ، وآمن به « رواه أحمد وصححه الترمذي ورواه
البيهقي والبخاري في التاريخ .

وحديث حنين الجذع مقطوع به في الجملة وقد ذكرناه فهذه جمادات ونباتات قد
حنت وتكلمت وهذه متعددة في محال متفرقة بخلاف عصا موسى ، فإنها وإن
تعدد جعلها حية فهي ذات واحدة .

وأما أن الله كلم موسى تكليماً ، فقد ثبت حصول الكلام للنبي ﷺ ليلة الإسراء
مع الرؤية وهو أبلغ ، فمن المعلوم أن الله تعالى كلم موسى وهو بطور سيناء ، وسأل
الرؤية فمنعها ، وكلم محمداً ﷺ ليلة الإسراء وهو بالملا الأعلى حين رفع لمستوى
سمع فيه صريف الأقلام ، وحصلت له الرؤية في قول طائفة كبيرة من علماء
السلف والخلف .

وقد قال تعالى لموسى ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي ﴾ (طه : ٣٩) .
وقال لمحمد ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ،
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران : ٣١) .
وأما اليد التي جعلها الله برهاناً لموسى على فرعون وقومه فقد روى البخاري أن

أسيد بن حضير وعباد بن بشر لما خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة أضاء لهما طرف عصا أحدهما ، فلما افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف عصاه .

ولما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي طلب من النبي ﷺ آية تكون له عوناً على إسلام قومه ، فسطع نور بين عينيه كالمصباح فقال : اللهم في غير هذا الموضع فإنهم يظنونهُ مثله ، فتحول النور إلى طرف سوطه فجعلوا ينظرون إليه كالمصباح فهداهم الله على يديه ببركة رسول الله ﷺ وبدعائه لهم في قوله : « اللهم اهد دُوساً وأت بهم ، وكان يقال للطفيل : ذو النور لذلك .

وأما دعاء نبي الله موسى بالطوفان وهو الموت الذريع في قول ، وما بعده من الآيات والقحط والجذب فقد دعا رسول الله ﷺ على قريش حين تبادوا على مخالفته بسبع كسبع يوسف فقحطوا حتى أكلوا كل شيء وكان أحدهم يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع ثم توسلوا إليه ﷺ فدعا لهم فأقلع عنهم ورفع عنهم العذاب .

وأما فلق البحر لموسى ، فقد أشار النبي ﷺ بيده الكريمة إلى القمر فانشق فلقين وفق ماسأله قريش ، وهم معه جلوس في ليلة البدر .

ولم ينقل معجزة عن نبي من الأنبياء من الآيات الحسية أعظم من هذا ، وهذا أعظم من حبس الشمس قليلاً ليوشع بن نون حتى تمكن من الفتح ليلة السبت . وقد ذكرنا من سيرة العلاء بن الحضرمي وغيره وسير الجيش معه على تيار الماء ما لا يقل عن فلق البحر لموسى ، وأما تظليله بالغمام في التيه ، فقد رأى بحيرا الراهب غمامة تظلل النبي ﷺ من بين أصحابه ، وهو ابن ثنتي عشرة سنة ، صحبة عمه أبي طالب وهو قادم إلى الشام في تجارة قبل أن يوحى إليه ، وهذا أشد في الإعتناء .

وأما إنزال المن والسلوى عليهم فقد كثر رسول الله ﷺ الطعام والشراب في غير ما موطن ، وورد إطعام الجمل الغفير من الشيء اليسير ، كما أطعم يوم الخندق من

شُوِيَهة جابر بن عبد الله وصاعه الشعير ، أزيد من ألف نفس جائعة صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين .

وورد في الصحيح من حديث جابر في سرية أبي عبيدة وجوعهم حتى أكلوا الخبط فحس البحر لهم عن دابة تسمى العنبر فأكلوا منها ثلاثين من يوم وليلة حتى سمئوا وتكسرت عكئ بطونهم .

وأما استسقاء موسى لبني اسرئيل فقد وردت الأحاديث في وضع النبي ﷺ يده في ذلك الإناء الصغير الذي لم يسع بسطها فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه أمثال العيون وكذلك كثر الماء في غير ماموطن ، كمزادتي تلك المرأة ، ويوم الحديدية وغير ذلك واستسقى لأصحابه في المدينة وغيرها فأصيب طبق السؤال وفق الحاجة لأزيد ولا أنقص ، وهذا أبلغ في المعجزة ، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة أعظم من نبع الماء من الحجر .

القول فيما أوتى عيسى بن مريم عليه السلام

ويسمى المسيح ، فقيل : لمسحه الأرض ، وقيل : لمسح قدمه ، وقيل : لخروجه من بطن أمه مسحاً بالدهان ، وقيل لمسح جبريل له بالبركة ، وقيل لمسح الله الذنوب عنه ، وقيل : لأنه كان لايمسح أحداً إلا براً ، حكاها كلها الحافظ أبو نعيم ، كما ذكره ابن كثير ، ومن خصائصه أنه عليه السلام مخلوق بالكلمة من أنثى بلا ذكر ، كما خلقت حواء من ذكر بلا أنثى وكخلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وإنما خلقه الله تعالى من تراب ثم قال له : كن فيكون ، وكذلك يكون عيسى بالكلمة وينفخ جبريل مريم فخلق منها عيسى .

ومن خصائصه وأمه أن إبليس لعنه الله حين ولد ذهب يطعن فطعن في الحجاب كما جاء في الصحيح .

ومن خصائصه أنه حتى لم يميت ، وهو الآن بجسده في السماء الدنيا ، وسينزل قبل يوم القيامة على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، فيملا الأرض قسطاً وعدلاً

كما ملئت جوراً وظلماً ، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ، ثم يموت ويدفن بالحجرة النبوية كما رواه الترمذي .

وأما إحياء الموتى لعيسى عليه السلام فللنبي ﷺ من ذلك الكثير وإحياء الجماد أبلغ من إحياء الميت ، وقد كلم النبي ﷺ الذراع المسمومة ، وهذا الإحياء أبلغ من إحياء الإنسان الميت .

وقد ورد في صحيح مسلم ذكر الحجر الذي كان يخاطب النبي ﷺ بالسلام عليه وهذا أبلغ من إحياء الحيوان ، لأنه كان محلاً للحياة ، في وقت بخلاف هذا ، وكذلك تسليم الأحجار والمدر عليه وكذلك الأشجار والأغصان وشهادتها بالرسالة وحين الجذع .

وقد جمع ابن أبي الدنيا كتاباً فيمن عاش بعد الموت وذكر منها كثيراً .^(١)
ومن ذلك قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت ، وشهادته للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان بالصدق فمشهورة مروية من وجوه كثيرة صحيحة .
وقد كان عيسى عليه السلام يبئ الأكمه والأبرص بإذن الله ، وقد ثبت مثل ذلك لرسول الله ﷺ .

فعن يعلى بن مرة أن امرأة أتت بابن لها صغير به لَمَم (أي جنون) مارأيت لِمَمًا أشد منه ، فقالت يارسول الله ابني هذا كما ترى أصابه بلاء ، وأصابنا منه بلاء ، يوجد منه في اليوم مايؤذي ثم قالت : مرة فقال رسول الله ﷺ : ناولنيه ، فجعلته بينه وبين واسطة الرَّحْل ، ثم فغرفاه ونفث فيه ثلاثاً وقال : بسم الله أنا عبد الله اخسأ عدو الله ، ثم ناولها إياه ، فذكرت أنه برأ من ساعته وما رابهم شيء بعد ذلك » رواه أحمد والبيهقي .

وحدّث عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى قال : هذه السوداء أتت رسول الله ﷺ فقالت : إني أصرع

١ - راجع رسالتي « الموتى يتكلمون » .

وأنكشف فادع الله لي قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك قالت : لا بل أصبر ، فادع الله ألا أنكشف قال : فدعا لها فكانت لا تنكشف « رواه البخاري ومسلم .

وقد رد رسول الله ﷺ يوم أحد عين قتادة بن النعمان إلى موضعها بعد ما سالت على خده ، فأخذها في كفه الكريم وأعادها إلى مقرها فاستمرت بحالها ، وبصرها وكانت أحسن عينيه رضي الله عنه ، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ نفث في عيني على يوم خيبر وهو أرمد فبرأ من ساعته لم يرمد بعدها أبداً .

وروى البيهقي أنه ﷺ مسح يد محمد بن حاطب وكانت قد احترقت بالنار فبرأ من ساعته ومسح رجل سلمة بن الأكوع وقد أصيبت يوم خيبر فبرأت من ساعته ودعا لسعد بن أبي وقاص أن يشفى من مرضه ذلك فشفي ، وقد وضع في كرامات الأولياء من ذلك الكثير .

وأما قصة المائدة سواء كانت نزلت وهو قول الجمهور أم لم تنزل ، فقد كانت موائد الرسول ﷺ تُمد من السماء وكانوا يسمعون تسييح الطعام وهو يؤكل بين يديه وكم قد أشبع من طعام يسير ألوفاً ومئات وعشرات ﷺ ماتعاقبت الأوقات ومادامت السموات والأرض .

وأما قوله تعالى عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال لبني إسرائيل : ﴿ وَأَنْبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمِمَّا دَخَرْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ (آل عمران : ٤٩) فهذا شيء يسير على الأنبياء ، بل وعلى كثير من الأولياء ، وقد قال يوسف الصديق لذئب الفتيين المحبوسين معه : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتِكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ (يوسف : ٣٧) .

وقد أخبر رسول الله ﷺ بالأخبار الماضية طبق ما وقع وعن الأخبار الحاضرة سواء بسواء كإخباره عن أكل الأرضة لتلك الصحيفة الظالمة وأخبر بموت النجاشي يوم مات وهو بالحبشة ، وأخبر عن قتل الأمراء الثلاثة يوم مؤتة واحداً بعد واحد

وهو على المنبر وعيناه تذر فان ، وأخبر عن الكتاب الذي أرسل به حاطب بن أبي بلتعة ، وفي يوم بدر لما طلب من العباس عمه فداء ادعى أنه لا مال له ، فقال له : فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل تحت أسكفة الباب ، وقلت لها : إن قتلت فهو للصبية ؟ فقال : والله يارسول الله إن هذا شئ لم يطلع عليه غيري وغير أم الفضل إلا الله عزوجل .

وقال لأميري كسرى اللذين بعث بهما نائب اليمن لكسرى ليستعلما أمر رسول الله ﷺ : إن ربي قد قتل الليلة ربكما ، فأرخا تلك الليلة ، فإذا كسرى قد سلط الله عليه ولده فقتله ، فأسلما وأسلم نائب اليمن وكان سبب ملك اليمن لرسول الله ﷺ .

وذكر ابن حامد في مقابلة جهاد عيسى عليه الصلاة والسلام جهاد رسول الله ﷺ وفي مقابلة زهد عيسى ، زهادة رسول الله عن كنوز الأرض حين عرضت عليه فأبأها وقال أجوع يوماً وأشبع يوماً ، وربما ربط الحجر على بطنه من الجوع وماشبعوا من خبزبرد ثلاث ليال تباعاً ، وكان فراشه من آدم وحشوه ليف ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي على طعام اشتراه لأهله .

هذا وكم أثر بألاف مؤلفة والإبل والشاء والغنائم والهدايا ، على نفسه وأهله للفقراء والمحاويج والأرامل والأيتام والأسرى والمساكين ، وفي مقابلة تبشير الملائكة لمريم الصديقة بوضع عيسى ، ما بشرت به أمنة أم رسول الله حين حملت في منامها ، وما قيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فسميه محمداً .

ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم

ذكر الماوردي في كتاب «أعلام النبوة» كلاماً كثيراً في مبدأ بعثته واستقرار نبوته ﷺ وآيات مولده وظهور بركته ، وهتوف الجن ، وما هجست به النفوس من إلهام العقول بنبوته ﷺ كما تكلم على مبادئ نسبه وطهارة مولده ﷺ ولكن فيما نقلناه من

«شمائل الرسول» للإمام ابن كثير باختصار شديد وتصرف كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . بل أقل القليل من هذه الأدلة تكفي في إثبات نبوة رسول الله ﷺ ، ولذلك كان الرجل لربما سمع آية أو حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ فيسارع بالإنقياد والإذعان كما رأينا .

أما إذا انتكست الفطر واضطربت العقول فقد يمر الناس على الآيات رغم وضوحها ، عمياً وبكماً وصماً قال تعالى : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيْنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (آل عمران : ١٨٤) .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ (الأعراف : ١٤٦) .

ونحن بدافع الشفقة ومحبة الخير لأهل الكتاب وغيرهم ، نقول آمنوا خيراً لكم وتابعوا هذا النبي الذي قرأتم صفته وخبره في كتبكم ، تسعدوا في دنياكم وأخراكم . قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران : ١١٠) والأمة المذكورة هي أمة محمد ﷺ يعني الصالحين منهم وأهل الفضل ، وهم الشهداء على الناس يوم القيامة وقال أبوهريرة : نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل إلى الإسلام .

وروى الترمذي عن رسول الله ﷺ في قوله : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » قال : « أَنْتُمْ تَمْتُونُ سَبْعِينَ أُمَّةً خَيْرَهَا وَأَكْرَمَهَا عَلَى اللَّهِ » حديث حسن .

وقيل : جاء ذلك لتقدم البشارة بالنبي ﷺ وأمته ، فالمعنى كنتم عند من تقدمكم من أهل الكتب خير أمة وقيل إنما صارت أمة محمد ﷺ خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى فقبل هذا لأصحاب رسول الله ﷺ .

كما قال ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم » رواه الأئمة عن عمران بن حصين ، وهذا يدل على أن أول هذه الأمة أفضل ممن بعدهم ، وهذه الخيرية التي وُصفت بها الأمة ، لا تحقق إلا بالإيمان والعمل الصالح ومن جملته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم .

وختُمت الآية بقوله سبحانه : ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ﴾ (آل عمران : ١١٠) فأخبر جل وعلا أن إيمان أهل الكتاب بالنبي ﷺ خير لهم وأخبر أن منهم مؤمناً وفاسقاً وأن الفاسق أكثر .

لو لم يظهر محمد بن عبد الله لبطلت نبوة سائر الأنبياء

ذكر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم أن ظهور رسول الله ﷺ تصديق للأنبياء السابقين وشهادة لنبواتهم بالصدق فأرساله من آيات الأنبياء قبله . ويدل على ذلك قوله سبحانه : ﴿ جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ (الصفات : ٣٧) . فإن المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه ، فمجيئه هو نفس صدق خبرهم فكان مجيئه تصديقاً لهم إذ هو تأويل ما أخبروا به ، فإنه صدقهم بقوله ومجيئه فشهد بصدقهم بنفس مجيئه وشهد بصدقهم بقوله .

ومثل هذا قول المسيح: ﴿ مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ (الصف : ٦) فإن التوراة لما بشرت به وبنبوتها كان نفس ظهوره تصديقاً لها ، ثم بشر عيسى برسول يأتي من بعده فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقاً له .

كما كان ظهوره تصديقاً للتوراة ، فعادة الله في رسله أن السابق يبشر باللاحق واللاحق يصدق السابق ، فلو لم يظهر محمد بن عبد الله ولم يبعث لبطلت نبوة الأنبياء قبله ، والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره .

وقد كان بشر ابراهيم وهاجر بشارات بينات ولم نرها تمت ولا ظهرت إلا بظهور رسول الله ﷺ وقد ذكرنا طرفاً من بشارات الأنبياء ^(١) برسول الله ﷺ فمن ذلك ما جاء في الفصل التاسع من السفر الأول في التوراة :

« لما هربت هاجر من سارة تراءى ملك وقال يا هاجر أمة سارة ارجعي إلى سيدتك فاخضعي لها فإن الله سيكثر ذرعك وذريتك حتى لا يحصون كثرة وهأنت تحبلين وتلدين إبناً وتسميه إسماعيل لأن الله تعالى قد سمع خشوعك وهو يكون عين الناس وتكون يده فوق الجميع مبسوطة إليه بالخضوع » .
وهذا لم يكن في ولد إسماعيل إلا رسول الله ﷺ لأنهم كانوا قبله مقهورين فصاروا به قاهرين .

ومنها قوله في هذا السفر لإبراهيم حين دعاه في إسماعيل :
« وباركت عليه وكثرته وعظمته جداً جداً وسيلد اثني عشر عظيماً وأجعله لأمة عظيمة » ، وليس في ولد إسماعيل من جعله لأمة عظيمة غير محمد ﷺ .
ومنها في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس عن موسى عليه السلام :
« إن الرب إلهكم قال : إني أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم أجعل كلامي على فمه فأبصر رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها عني ذلك الرجل باسمي فأنا أنتقم منه » ، ومعلوم أن أبا بني إسرائيل هم بنو إسرائيل وليس منهم من ظهر كلام الله تعالى على فمه غير محمد ﷺ .

وكان بين موسى وعيسى من الأنبياء الذين أوتوا الكتاب بإتفاق أهل الكتابين عليهم ستة عشر نبياً ظهرت كتبهم في بني إسرائيل فبشر كثير منهم بنبوته محمد ﷺ فمنهم شعيا بن أموص في الفصل السادس عشر والتاسع عشر والثاني والعشرين من كتابه .

١- راجع الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، هداية الحيارى ، إظهار الحق ، شمائل الرسول ، أعلام النبوة .

وفي الفصل العشرين منه :

« لترتاح البوادي وقراها ولتصير أرض قازار مروجاً ويسيح سكان الكهوف وليهتفوا من قلال الجبال بحمد الرب وليرفعوا تسايحه فإن الرب يأتي كالجبار المنتظي المتكبر وهو يزجر ويقتل أعداءه » .

وأرض قازار هي أرض العرب لأنهم ولد قازار والمروج ماصار حول مكة من النخل والشجر والعيون ، ومنهم نوال بن نوتال وعويد وميخاء من أنبياء بني إسرائيل ، ومنهم حقوق ، الذي بشر برسول الله ﷺ فقال :

« جاء الله من طور سيناء واستعلن القدوس من جبال فاران وانكسفت لبهاء محمد وانخسفت من شعاع المحمود وامتلات الأرض من محامده ، لأن شعاع منظره مثل النور يحفظ بلده وبعده وتسير المنايا أمامه ، وتصحب سباع الطير أجناده قام فمسح الأرض وقابل الأمم ويحث عنهم ، فتصفت الجبال القديمة واتضعت الروابي الدهرية وتزعزع سور أرض مدين ، ولقد جاز المساعي القديمة قطع الرأس من حب الأثيم ودمغت رءوس سلاطينه بعضبة » .

ومعلوم أن محمداً وأحمد ومحموداً صريح في اسمه وهما يتوجهان إلى من انطلق عليهم اسم المحمد وهو بالسريانية موشيحاً أي محمد ومحمود ، ولهذا إذا أراد السرياني أن يحمده الله تعالى قال : موشيحاً لإلهنا ، ومنهم حزقيال ويرصفينا وزكريا بن يوحنا ودانيال وأرميا بن برخنا وداود ، ومنهم المسيح الذي بشر برسول الله ﷺ في الإنجيل .

قال المسيح عليه السلام للحوارين: « انا ذاهب وسيأتيكم البارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه إلا كما يقال له ، وهو يشهد على وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به » .

وفي نقل يوحنا عنه : « إن البارقليط لا يجيئكم مالم أذهب فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً ولكنه مما يسمع به يكلمكم ويسوسكم

بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب » .

وفي نقل آخر عنه: « إن البارقليط روح الحق الذي يرسله باسمي هو يعلمكم كل شيء إنني سائل أن يبعث إليكم بارقليط آخر يكون معكم إلى الأبد وهو يعلمكم كل شيء » .

وفي نقل آخر عنه: « إن البشير ذاهب والبارقليط بعده يحيي لكم الأسرار ويقيم لكم كل شيء وهو يشهد لي كما شهدت له فإني لأجبتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل » والبارقليط بلغتهم لفظ من الحمد وقد قال النبي ﷺ وأنا أحمد وأنا محمود ، وأنا محمد .

فهذه من بشائر الأنبياء عن الكتب الإلهية المتناصرة بصحة نبوته المتواترة الأخبار بانتشار دعوته وتأييد شريعته ، ولعل مالم يصل إلينا منها أكثر فمنهم من عينه باسمه ومنهم من ذكره بصفته ومنهم من عزاه إلى قومه ، ومنهم من أضافه إلى بلده ومنهم من خصه بأفعاله ، ومنهم من ميزه بظهوره وانتشاره ، وقد حقق الله جميعها فيه ﷺ ولهذا لما علم الكفار من أهل الكتاب أنه لا يمكن الإيمان بالأنبياء المتقدمين إلا بالإيمان بالنبي الذي بشروا به قالوا : نحن في انتظاره ولم يجىء بعد .

ولما علم بعض الغلاة في كفره وتكذيبه منهم أن هذا النبي في ولد إسماعيل أنكروا أن يكون لإبراهيم ولد اسمه إسماعيل !!! وأن هذا لم يخلقه الله ، رغم النصوص الصريحة ، ولا يكسر على أمة البهت وإخوان القرود وقتلة الأنبياء مثل ذلك .

كما لم يكسر على المثلثة عباد الصليب الذين سبوا رب العالمين أعظم مسبة أن يطعنوا في ديننا ويتنقصوا نبينا ﷺ وهم لا يمكنهم أن يشبوا للمسيح فضيلة ولانبوة ولا آية ولا معجزة إلا بإقرارهم أن محمداً رسول الله ، وإلا فمع تكذيبه لا يمكن أن يثبت للمسيح شيء من ذلك البتة .

قال ابن القيم فنقول : إذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن وبمحمد ﷺ

فمن أين لكم أن تثبتوا لعيسى فضيلة أو معجزة؟ ومن نقل إليكم عنه آية أو معجزة؟ فإنكم إنما اتبعتم من بعده بنيف على مائتين وعشرات من السنين أخبرتم عن منام (وهو الصليب الذي رآه قسطنطين من كوكب مكتوباً حوله بهذا تغلب) رؤي فأسرعتم إلى تصديقه وكان الأولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود عيسى في العالم لأنه لا يقبل قول اليهود فيه ولا سيما وهم أعظم أعدائه الذين رموا أمه بالعظائم .

فأخبار المسيح والصليب إنما شيوخكم فيها اليهود وهم فيما بينهم مختلفون في أمره أعظم إختلاف ، وأنتم مختلفون معهم في أمره واليهود مجمعون أنه لم يظهر له معجزة ولا بدت لهم منه آية وفي الإنجيل الذي بأيديكم في غير موضع ما يشهد أنه لا معجزة له ولا آية

وفي الإنجيل الذي بأيديكم أيضاً « أنهم جاؤوا يسألونه آية فخذفهم وقال : جيل فاسق وشرير يطلب آية فلا تعطى له » متى (١٦) إلى أن قال فإذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن لم يتحقق لعيسى بن مريم آية ولا فضيلة فإن أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت إليها لإختلافكم في شأنه أشد الإختلاف وعدم تيقنكم لجميع أمره .

هذا هو الدين الذي دعا إليه النبي الأصيل

آمنا أن الله حق وأن النبي ﷺ حق ، وقد قامت الدلائل الكثيرة على صحة نبوته ووجوب تصديقه في كل مأخبر ، والعمل بكل ما أمر وإليه دعا ، فما كان بدعاً من الرسل ولكن جاء مصدقاً لمن سبقه من الأنبياء والمرسلين قال تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ (البقرة: ١٣٦) .

وقال سبحانه : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم والهنأ والهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ (العنكبوت : ٤٦) .

وأصول الشرائع التي جاء بها الأنبياء والمرسلون واحدة ، أوحى الله بها إليهم وأنزل عليهم بها كتبه ، يوصي فيها سابقهم بالإيمان باللاحق منهم ، ونصره وتأييده ويوصي متأخرهم بتصديق من تقدمه منهم ، وكل ما جاء وابه من عند الله يسمى دين الإسلام .

قال تعالى : ﴿ واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون ، قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ (آل عمران : ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥) .

والآيات فى هذا المعنى كثيرة وكلها دالة على وحدة أصول التشريع الذى جاءت

به الأنبياء من توحيد الله بالعبادة والإيمان به وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ،
وبالقضاء والقدر ، وأصل الصلاة والزكاة والصيام كقوله تعالى في ذكر دعاء خليله
إبراهيم: ﴿ ربنا إنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا
الصلاة ﴾ (إبراهيم : ٣٧) إلى أن قال في حكاية ضراعة خليله إليه: ﴿ رب اجعلني
مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾ (إبراهيم : ٤٠) وقوله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب
إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة
وكان عند ربه مرضيا ﴾ (مريم : ٥٤) .

وقوله تعالى: ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا
بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة ﴾ (يونس : ٨٧) .

وقوله في عيسى: ﴿ قال إنى عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا
أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾ (مريم : ٣٠) .
وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (البقرة : ١٨٣) .

لكنها اختلفت في كيفياتها وتفصيل فروعها كما قال تعالى: ﴿ لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا ﴾ (المائدة : ٤٨) . وعلى هذا فمن آمن بأصول الشرائع على
ما جاء به الأنبياء والمرسلون قد رضي الله عنهم وكتب لهم السعادة والفلاح ، وهم
الذين امتدحهم الله في كتابه وأثنى عليهم نبينا محمد ﷺ في سنته ومن آمن ببعض
الأصول التي جاءوا بها من عند الله وكفر ببعض فأولئك هو الكافرون حقا بالجميع
وقد ثبت عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم
في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات ، وأمهاتهم شتى ودينهم واحد » .
رواه أحمد والبخاري ومسلم .

ولذلك فمن كفر بمحمد ﷺ أو بدين الإسلام من اليهود والنصارى فهو كافر
بالله ويعامل معاملة الكفار في أحكام الدنيا والآخرة ، ولا ينفعه تمسكه بدينه مع

كفره بما جاء به نبينا محمد ﷺ.

ومن المعلوم أن التوراة قد غُيّرت وبُدلت ، وأن الدين المسيحي حرفه النصرارى عما كان عليه أيام نبيهم عيسى عليه السلام بدليل أنهم قالوا المسيح ابن الله ، وقالوا : إن الله ثالث ثلاثة ... وقد رد الله عليهم ذلك وكفرهم به .

قال تعالى : ﴿ واذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولأعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ (المائدة : ١١٦) .
إلى غير ذلك من النصوص .

والواجب علينا أن نرجع للكتاب والسنة في فهم العقيدة الصحيحة ، فهذه هي الأصول المعصومة والمحافظة ، وهذا هو الدين الذي تكفل الله بحفظه ، قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر : ٩) .

صلاحة الإيمان الذي ندين به (١)

الانتقال من الإجمال إلى التفصيل مسلك قرآني في الدعوة إلى الله ، وهو سبيل لا بد من سلوكه ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ، وخصوصاً واليهود والنصارى وغيرهم يزعمون الإيمان وأصبحت الدعوة للرجوع لمعاني الإيمان مُلححة بعد التجارب البشرية المريرة مع الفلسفات والنظم والمناهج الوضعية وكلها باءت بالفشل وعاد على أهله بالخيبة والحسرة ونحن إذ نعرض ملامح الإيمان الذي ندين به لا يسعنا أن نبسط الكلام بسطاً ولا أن نفصله تفصيلاً .

فمحل ذلك كتب العقيدة ، ككتاب شرح الطحاوية ، والعقيدة الواسطية

١- راجع « العقيدة الصحيحة وما يصادها » (لابن باز) - القضايا الكلية للإعتقاد في الكتاب والسنة (عبد الرحمن عبد الخالق) - مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة (ناصر العقل) - الضوابط الشرعية لتحقيق الأخوة الإيمانية .

ومعارج القبول ، وكتاب الإيمان للبخاري ومسلم وابن تيميه ، وعموماً فلا بد من الرجوع للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة فهؤلاء عن علم وقفوا وبيصرو نافذ كفو ، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وهانحن نذكر جملاً مختصرة لنقف من خلالها على العقيدة الصحيحة ، عقيدة أهل السنة والجماعة .

تعريفات هامة

١- **السلف** : هم صحابة رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم بإحسان إلى يوم الدين من الأئمة الأعلام المشهود لهم بالإمامة والفضل وإتباع الكتاب والسنة كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، والليث بن سعد ، والبخاري ، ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم ممن التزم مذهبهم وسار على طريقتهم إلى يوم الدين .

٢ - الفرقة الناجية :

قال رسول الله ﷺ :

« إن أهل الكتابين اختلفوا في دينهم على اثنين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة » رواه أبو داود وصححه الألباني .

وفي رواية : قالوا من هي يارسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابي » رواه الترمذي ، فدل هذا على أنه لا ينجوا إلا من كان على ما كان عليه جماعة الصحابة رضي الله عنهم إذ هم المشهود لهم بالإيمان .

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ﴾ ومخالفتهم ضلال وشقاء ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: ١٣٧) قال قتادة : أهل رحمة الله أهل الجماعة وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم وأهل معصيته أهل الفرقة وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم .

٣ - الطائفة المنصورة :

عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو

خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس » رواه مسلم .

وهذا ظهور الحجة والبيان : قال شيخ الإسلام في مقدمة العقيدة الواسطية :

« فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة ، أهل السنة

والجماعة) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة »

رواه مسلم وهذا ظهور القوة والسنان .

٤ - القرآن الكريم :

هو كلام الله عزوجل المنزل على محمد ﷺ ، المتعبد بتلاوته ، وهو معجزة

الإسلام الحية الخالدة وهو الأساس الأول لدراسة الإسلام ، وهذا الكتاب فصل

الله فيه أحكام كل شئ مما يصلح أمر العباد ، في دنياهم وأخراهم .

﴿ وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾

(النحل: ٨٩)

ولاخلاف بين جزئياته بأي وجه من الوجوه ، وآياته في المعنى الواحد لا يؤخذ

الحكم من شئ منها منفرداً بل يُضم بعضها إلى بعض ، ومن أنكر شيئاً من القرآن أو

ادعى فيه النقص أو الزيادة أو التحريف فهو كافر ولا يجوز تفسيره بالرأي المجرد

فإنه من القول على الله بغير علم والواجب أن يُفسر بما هو معلوم من منهج السلف

ومما يُعين على فهمه فهم لغة العرب التي نزل بها النص القرآني ودراسة السنة

وفهمها ، إذ هي التطبيق العملي ، والإيضاح القولي لمراد الله تبارك وتعالى ،

ولابد من سؤال الله الفهم وطلب الهداية منه سبحانه ، كما أن الإطلاع على أقوال

المفسرين الذين التزموا المنهج السابق ومنحهم الله عزوجل فهماً في كتابه
أمر لاغنى عنه .

٥ - السنة :

السنة هي ما صدر عن رسول الله ﷺ غير القرآن مما يقصد به التشريع للأمة من
قول أو فعل أو تقرير ، ولا تتلقى إلا بإسناد صحيح حسب القواعد التي وضعها
علماء الحديث لذلك ولا يُحتج أو يُعمل بما لم يصح عن الرسول ﷺ وهي بمنزلة
كتاب الله عزوجل في وجوب العمل بها.

وفي اعتقاد أنها من عند الله عزوجل ، إلا أن اللفظ لرسول الله ﷺ وتعبدنا
سبحانه بلفظ القرآن ومعناه ، والسنة لا تخالف القرآن لأنهما من مصدر واحد كما
قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (النجم : ٣) .
وقال أيضاً : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن
للخائنين خصيماً ﴾ (النساء : ١٠٥) .

وما اجتهد الرسول ﷺ فيه من أمر الشريعة فهو حق فإن الله سبحانه لا يقره على
باطل أبداً ، وكل ما ثبت عن رسول الله ﷺ بخبر العدل الحافظ عن مثله إلى رسول
الله يجب اعتقاده والعمل به وهو يسمى خبر الآحاد إلا ما شذ وأعلّ .

٦ - أهل السنة والجماعة :

وهم أهل القرآن كذلك وسُموا بأهل السنة لإلتزامهم بالسنة في العقيدة والعمل
في الظاهر والباطن وسُموا بالجماعة لكونهم يأمرون بالإجماع على ما كانت عليه
الجماعة الأولى جماعة الصحابة رضي الله عنهم ، وينهون عن الإختلاف ، وكان
ابن مسعود رضي الله عنه يقول :

«الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك» ، ومعنى الجماعة في الأحاديث التي
أوجبت الإلتزام بها وعدم الخروج عليها ، جماعة أهل الإسلام إذا اجمعوا على أمر
من أمور الشرع ، أو جماعة الأئمة المجتهدين أو السواد الأعظم أو الصحابة أو

جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير ، لا تعارض بين هذه الأقوال .

٧ - أهل الحديث :

الذين يعنون بحديث الرسول رواية ودراية وبالقرآن علماً وعملاً واعتقاداً ويقدمونها على قول كل أحد ورأيه ، فهم أهل السنة والقرآن كمالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وغيرهم ممن كان يجمع بين الفقه ورواية الحديث رضي الله عنهم أجمعين .

أولاً التوحيد وأصول الإيمان

التوحيد هو أول الدين وآخره ، وباطنه وظاهره ، وهو دعوة جميع الرسل وأول واجب على المكلف وحق الله على عباده وأول مسألة في الدعوة إلى الله ، إذ من أجل التوحيد خلق الله الخلق ، وعليه يكون مصيرهم في الآخرة ، والشرك أكبر الكبائر وأول ما ينهى عنه ، كما ورد في نصوص الشريعة .

وأصل التوحيد معرفة الله بأسمائه وصفاته ، وإفراده بصفات الربوبية ثم ماتستلزم هذه المعرفة من إفراد الله بالعبادة كلها ، وهذا معنى كلمة لا إله إلا الله .

توحيد الأسماء والصفات

قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ (الأعراف : ١٨٠) فمعرفة الله بأسمائه وصفاته ومحبته ودعاؤه بها ، والتعبد له بمقتضاها أشرف العلوم ولا يجوز التقليل من شأنه ، أو أنه من جملة الترف العقلي أو أن الإنشغال به إنشغال بما غيره أولى منه .

وطريق التلقي في ذلك هو الكتاب والسنة على طريقة السلف فنؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ من غير تعطيل ولا تحريف ، ومن

غير تكييف ولا تمثيل وليس العقل وعلم الكلام والفلسفة مصدرأ في معرفة ذلك .
ولا يجوز تشبيه الله بخلقه ولا تعطيل صفة من صفاته سبحانه ،
قال تعالى : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ (الإخلاص : ٤) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (الشورى : ١١) .
والكف عن التأويل في هذا الباب - هو إجماع السلف ، لا تجوز مخالفته إذ
إجماعهم حجة على من بعدهم ، وطريقتهم أسلم وأعلم وأحكم ، والتأويل
(كقول البعض استوى بمعنى استولى ، واليد بمعنى القدرة ، والنزول بمعنى
نزول الأمر) بدعة وليس من عقيدة أهل السنة والجماعة .

والكلام على الصفات فرع على الكلام في الذات ، فكما أن إثبات ذات الرب
إثبات وجود لا إثبات تكييف ، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات
تكييف إذ ذاته سبحانه لا تشابه ذوات المخلوقين ، وكذلك صفاته سبحانه لا تشابه
صفات المخلوقين والسلف يثبتون الصفة دالة على معناها ، مع تفويض الكيفية إلى
الله تعالى ، كقول الإمام مالك رحمه الله : الإستواء معلوم والكيف مجهول
والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

فتفويض السلف تفويض كيف لا تفويض معنى ، ومن نسب إليهم تفويض
المعنى ، وأن آيات الصفات من المتشابه ، بمعنى أنه لا يعلم معناها بالكلية ، وأن
ظاهرها غير مراد فقد جمع بين التعطيل والجهل بعقيدة السلف .

توحيد الربوبية

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله هو الخالق الرازق ، الذي يدبر الأمر ويعطي ويمنع
ويخفض ويرفع ويحي ويميت ، لا شريك له في ذلك ، وبأنه وحده المالك لكل ذرة
في هذا الكون ، بلاند ولا معين ، ولا شفيع بغير إذنه ، وبأنه وحده السيد الأمر
الحاكم الذي لا يشرع للبشر غيره ، وقد دلت على ذلك أدلة الشرع والعقل .

ومن مظاهر الشرك فى الربوبية :

- ١- اعتقاد حلول الرب فى بعض خلقه أو اتحاده بهم .
- ٢- اعتقاد أن هناك فى الكون أقطاباً وأبدالاً من الصالحين أو غيرهم ، ولهم قدر من التصرف فى حياة الناس ، من نفع وضر وإعطاء ومنع .
- قال تعالى: ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير ﴾ (الأنعام : ١٧) .
- ٣- اعتقاد أن أحداً له حق التشريع والحكم دون الله تعالى سواء كان فرداً أو جماعة أو شعباً أو دولة .

قال تعالى: ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ (الشورى : ٢١) .

وقال: ﴿ اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ (التوبة : ٣١) .
والحكم بغير ما أنزل الله من أصول الكفر وهو ينقسم إلى قسمين :
كفر أكبر وكفر أصغر .

القسم الأول : الكفر الأكبر وهو أنواع : (١)

١- أن يجحد شريعة الله المعلومة من الدين بالضرورة كمن ينكر أحكام الله فى الحدود والمعاملات والأموال والدماء وغيرها ويقول : إن الدين لا دخل له بذلك وهذا كفر بالإجماع .

٢- أن يعتقد ثبوت الشرع فى ذلك كله لكنه يفضل القوانين الوضعية على الشرع ويرى أن الشريعة غير مناسبة لهذا الزمان ، وهذا كفر بالإجماع .

قال تعالى : ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ (المائدة : ٥٠) .

١- راجع فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم - أضواء البيان للشنقيطي - عمدة التفاسير (أحمد شاكر) - ابن كثير - الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية (الأشقر) .

٣- أن يعتقد أن القوانين الوضعية مساوية لحكم الله .

٤- أن يعتقد أن شريعة الله أفضل لكنها غير واجبة ، وأنه مخير في أن يأخذ بها أو أن يتركها إلى ما يراه هو عدلاً ومصالحة من غير دليل من الشريعة ، إذ من المعلوم بالضرورة وجوب تنفيذ حكم الله .

٥- مضاهاة القوانين الوضعية بالأحكام الشرعية ، وجعل مصادر وموارد لها ، وإضفاء اسم المشرع على من يضعها ، وإلزام الناس بتلك القوانين وتحتيمها عليهم .

٦- ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل وغيرهم من حكايات تلقوها عن آبائهم وأجدادهم يعلمون مخالفتها للشرع ويقدمونها في الحكم على شرع الله إعراضاً عنه .

القسم الثاني الكفر الأصغر :

كفر دون كفر - لا يخرج عن الملة - وهو الذي قاله ابن عباس وغيره عمن تحمله شهوته أو هواه أو الرشوة أو غيرها على الحكم في قضية أو قضايا - ولو كثرت - بغير ما أنزل الله ، مع إقراره واعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق وأنه الأصل الذي يُحكم به ، وإقراره على نفسه بالخطأ والظلم وهذه من أكبر الكبائر إذ معصية سماها الله كفراً أعظم من غيرها .

قال تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾

(المائدة : ٤٤) .

تنبيه

الصور المذكورة المعدودة ضمن الكفر الأكبر- المخرج من الملة- لابد من التفريق فيها بين النوع والمعين ، أو معرفة الفرق بين الحكم العام والفتوى بكفر شخص معين أو رده ، إذ ذلك مرده لأهل العلم واجتهادهم في ثبوت شرائط التكفير وإنتفاء موانعه .

وليس من هذا الباب خطأ الحاكم الذي بلغ مرتبة الإجتهد في شرع الله ، بل هذا كما قال النبي ﷺ :

« إذ اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر » ، والواجب على كل مسلم أن يدعو خصمه في أي نزاع إلى من يحكم بينهما بشرع الله ، ومن أهل العلم إن لم يوجد قضاء شرعي ، ولا يحل له أن يطلب التحاكم إلى المحاكم الوضعية ، وإن اضطر للوقوف أمامها لنيل حق أو دفع ظلم عن نفسه أو غيره ، لا يمكنه تحصيله بغير ذلك ، فلا يطالب إلا بما يعطيه له الشرع ، وليعلم أن فتوى المفتي ، وحكم الحاكم وقضاء القاضي لا يجعل الحرام حلالاً ولا الحلال حراماً .

توحيد الألوهية

وهو أفراد الله بالعبادة الظاهرة والباطنة ، وطريقة القرآن إلزام المشركين بتوحيد الألوهية ، بكونهم يقرون بإنفراد الله بالربوبية ، فمشركوا العرب وأهل الكتاب وغيرهم يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت .

وعلى الرغم من ذلك صرفوا العبادة لغير الله قال تعالى : ﴿ أمن يدؤ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض ألمه مع الله ﴾ (النمل : ٦٤) .

ولا إله إلا الله - كلمة التوحيد- معناها لا معبود بحق إلا الله ، وهي تتضمن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله .

﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها ﴾

(البقرة : ٢٥٦).

والطاغوت هو كل ماعُبد من دون الله وهو راضٍ ، ويشمل الشيطان والساحر والكاهن والحاكم المبدل لشرع الله .

والعبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (الأنعام : ١٦٢) .

ومن مظاهر الشرك في الألوهية :

١ - دعاء غير الله والإستغاثة به (فيما لا يقدر عليه إلا الله) وطلب المدد منه ،

قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ﴾ (الإسراء : ٥٦) .

٢ - الإستعاذة بغير الله كالجن وغيرهم ، قال تعالى : ﴿ وأنه كان رجال من الأنس

يعودون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ (الجن : ٦) .

٣ - الذبح لغير الله ، قال تعالى : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ (الكوثر : ٢) .

٤ - النذر لغير الله ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ﴾

(البقرة : ٢٧٠) .

٥ - التبرك بالأحجار والأشجار معتقداً أنها تنفع وتضر لحديث ذات أنواط ،

وكذلك لبس الحلقة والخيط والتمايم لدفع البلاء أو رفعه ، فإن اعتقد أنها لا تنفع

ولا تضر من دون الله ، بل هي سبب فهذا كذب على الشرع وعلى القدر وهي من

وسائل الشرك وذرائعه ، ومن جملة الشرك الأصغر .

أما التمايم من القرآن ففي جوازها خلاف بين السلف ، وكذلك التبرك بآثار

الصالحين ، غير الأنبياء ، ففي جوازها خلاف والراجح منعه سداً للذريعة ، ولترك

الصحابة له ، وهو كالإجماع منهم مع وجود المقتضي وانتفاء الموانع .

٦ - الإستسقاء بالأنواء للحديث القدسي: « من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فهو

كافر بى مؤمن بالكوكب» فاعتقاد أن النجوم تنزل المطر ، وكذا طلب ذلك منها شرك أكبر أما التللفظ بالنوات مع سلامة الإعتقاد ، واعتقاد أنها علامة فالراجح كراهة ذلك تحريماً .

٧- إتيان العرافين والكهان وتصديقهم فيما يدعون من علم الغيب ، واعتقاد أنهم يعلمون مفاتيح الغيب الخمس - شرك أكبر ، قال تعالى : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ (الأنعام : ٥٩) .

ولا يحل تعلم الكهانة ولا سؤال الكهان ولو مزاحاً ، كما لا يجوز قراءة الفنجان والكف ، أو ضرب الرمل والودع للحديث : « من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » .

٨- التحاكم إلى غير شرع الله لقول النبي ﷺ لعدي بن حاتم : « ألم يُحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فاتبعتموهم » قال بلى ، قال : « فتلك عبادتهم » . والمتبع لغيره في التحليل والتحريم على وجهين :

أ- أن يعلم بأنهم بدلوا دين الله فيتبعهم على التبديل ، فيعتقد تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ، اتباعاً للرؤساء مع علمه أنهم خالفوا دين الرسل ، فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شركاً .

ب- أن يكون اعتقاده في تحليل الحلال وتحريم الحرام ثابتاً ولكن يطيع في معصيته الله فهذا له حكم أمثاله من أهل الذنوب (ذكره ابن تيمية) .

٩- السحر : قال تعالى ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾ (البقرة : ١٠٢) .

والسحر له حقيقة ، ويخلق الله عنده ما يشاء وتعلمه وتعليمه حرام ، وفي تكفير الساحر تفصيل عند أهل العلم .

١٠- الغلو في الصالحين ، وبناء المشاهد والمساجد على قبورهم وإقامة الموالد حولها وشد الرحال إليها ، مما حذر منه النبي ﷺ أشد التحذير فقال :

«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا» متفق عليه وقال : « لاتتخذوا قبوري عيداً » وقال : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة ، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » .

وقد صرف القبوريون العبادات كالذبح والنذر لغير الله بزعم محبة الأولياء والصالحين ، وهذا من أعظم أسباب البلاء لذا كان محاربة هذه البدع من أهم الواجبات على الدعاة إلى الله .

١١ - التوسل في الدعاء بمعنى طلب الدعاء من الأموات والغائبين وهذه بدعة بالإتفاق ، وكذلك التوسل بمعنى السؤال بالحق والجاه والذات ، - وإن كان مختلفاً فيه - إلا أن الراجح منعه ، إذ لم يرد عن الصحابة رضي الله عنهم ، بل تركوا ذلك مع وجود المقتضي وانتفاء الموانع ، فإن اعتقد التوسل أن معنى الجاه ، تصريف الكون والنفع والضرر فيكون شركاً ، كذلك دعاء غير الله وطلب المدد منه على جهة الشفاعة فهذا شرك أكبر .

والمشروع التوسل إلى الله

١ - بأسمائه وصفاته . ٢ - العمل الصالح .

٣ - بدعاء الصالحين الأحياء كأن تطلب ممن تتوسم فيه الصلاح أن يدعوك .

١٢ - الشفاعة الشركية من جنس ما يعتقده المشركون في الأصنام ، أنها تشفع عند الله بغير إذنه كما يشفع الوزراء عند الملوك ، أما الشفاعة الشرعية يوم القيامة ، فهي لمن أذن الله له من النبيين والملائكة والصالحين - بعد الإستئذان - وتكون لأهل التوحيد خاصة ، وحققتها أن الله يفضل على أهل التوحيد بواسطة دعاء من أذن له ليريهم منزلته وينال بذلك الكرامة عند الله .

وهكذا فالشرك يتقسم إلى قسمين أكبر وأصغر .

فالشرك الأكبر ، صرف أي عبادة لغير الله .

والشرك الأصغر : كل ذريعة أو سبب يؤدي إلى الشرك الأكبر ، ومنه الرياء والحلف بغير الله ، ومايجري على الألسنة كقوله: « ماشاء الله وشئت ، وتوكلت على الله وعليك » وكذلك التطير وإيرادة الإنسان بعمله الدنيا وحكم الشرك الأصغر ، حكم الكبائر في كون صاحبه لا يخلد في النار .

الإيمان بالملائكة

١- الإيمان بأنهم عباد الله مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

٢- خلقهم الله من نور وليسوا بنات لله ولا أولاداً ولا شركاء .

٣- من صفاتهم أن لهم أجنحة يتفاوتون في عددها ﴿ أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴾ (فاطر : ١) . لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ، ولا يفترقون عن الطاعة ، مطهرون من الشهوات ، منزهون عن الآثام والخطايا ، يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم ومن أماكن المعصية ، وعندهم المقدرة على التشكل والتلون ولديهم سرعات كبيرة .

٤- منهم جبريل الموكل بالوحي ، وميكائيل الموكل بالقطر ، وإسرافيل الموكل بالصور ، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح وله أعوان ولا يصح تسميته بعزرائيل ومنهم الموكل بكتابة الأعمال ، ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان ، ومنهم خزنة جهنم ورؤسائهم تسعة عشر مقدمهم مالك ومنهم حملة العرش وغيرهم ممن لا يحصيهم إلا الله .

٥- ويجب على المؤمن أن يحب جميع ملائكة الله ، ومن عادى أحداً منهم فهو كافر ﴿ من كان عدواً لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ (البقرة : ٩٨) . وعليه أن يتشبه بالملائكة في المداومة على الطاعة وتسوية الصفوف في الصلاة ويبعد عن إيذائهم بالمعاصي والذنوب .

الإيمان بالكتب

- ١- الإيمان بأنها منزلة من عند الله وأنها كلام الله لا كلام غيره تكلم الله بها حقيقة .
- ٢- الاعتقاد بأن كل ما فيها من الشرائع كان واجباً على الأمم الذين نزلت إليهم .
- ٣- الاعتقاد بأنها كلها يصدق بعضها بعضاً ، وذلك لا ينافي نسخ بعضها بعض ﴿ولأحل لكم بعض الذي حُرِّم عليكم﴾ (آل عمران : ٥٠) . وكما نسخ القرآن ماخالفه من الشرائع السابقة وكذلك نسخ بعض آيات القرآن ببعضها حق .
- كما قال تعالى : ﴿ ما نسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ (البقرة : ١٠٦) .
- ٤- يجب الإيمان بما سمي الله في كتابه منها : القرآن والتوراة والإنجيل والزيور و صحف إبراهيم وموسى .
- ٥- القرآن مهيمن على ما قبله ، أي شاهد مصدق لما فيها من الحق ، مبين لما زاده أهل الملل السابقة عليها ، مما ليس منها ، ولما نقصوه وبدلوه وحرفوه .
- ٦- ما بأيدي أهل الكتاب اليوم من كتب ، هي مما وقع فيه التحريف بنص القرآن تحريف كتاب : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ﴾ (البقرة : ٧٩) .
- وتحريف لسان : ﴿ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب ﴾ (آل عمران : ٥٢) .
- وتحريف معاني : ﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ .
- ٧- والقرآن كلام الله حقيقة ، حروفه ومعانيه غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود قبل يوم القيامة ، ولا يسع أحداً الخروج عن شريعته إلى يوم الدين .

الإيمان بالرسول والأَنْبياء

- الرسول من أوحى الله إليه وأمره بتبليغ رسالة ، والنبي من أوحى الله إليه ولم يؤمر بتبليغ رسالة ، والرسول جميعهم دينهم واحد ، وهو الإسلام ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران : ١٩) .

ودعوتهم واحدة هي التوحيد ، صادقون مصدقون ، بارون راشدون هداة مهتدون بلغوا كل ماأمروا به ، والكفر بواحد منهم كفر بجمعهم ، وكفر بالله الذي أرسلهم وأفضلهم أولوا العزم ، محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح صلى الله عليهم وسلم أجمعين .

وأفضلهم محمد ﷺ ، والتفضيل بينهم لله لا للناس ، ولا يكون بانتقاص المفضول ، ومعنى عدم التفريق بين أحد منهم أي في الإيمان بهم جميعاً ، وإن كان بعضهم أفضل من بعض .

والرسل رجال وبشر من البشر ، يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، وجعل الله لمن شاء منهم أزواجاً وذرية ، فلا يُعبدون ولا يُغالى فيهم ، وقد خصهم الله بالأخلاق العظيمة من الصدق والأمانة والطهر وعصمتهم من المعاصي ، وإجماع أهل السنة على عصمتهم من الكبائر والصحيح أن العصمة من الصغائر أيضاً ، لا من النسيان والسهو والخطأ وسائر عوارض البشرية ، لكن لا يقرون عليه بل يُنهون لذا فهم قدوة للعباد ﴿ أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده ﴾ (الأنعام : ٩٠).

ويجب الإيمان بالخمسة والعشرين نبياً المذكورين بأسمائهم في القرآن ، والإيمان بأن هناك رسلاً آخرين لم يقصهم الله على نبيه في القرآن .

وإتباع محمد ﷺ فرض على كل مكلف من الأنس والجن إلى يوم القيامة ، إذا بلغته رسالته ، لا يقبل الله من أحد صرفاً ولا عدلاً إلا الإيمان به .

قال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ (الأعراف : ١٨٥) وقال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا أدخله الله النار » . رواه مسلم .

وكل من ادعى النبوة بعد النبي ﷺ فهو كافر لا يجوز تصديقه قال تعالى :

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾

(الأحزاب : ٤٠) .

وقال النبي ﷺ : « لاني بعدى » . فطوائف البائية والبهائية والقاديانية وماشابهها كلها خارجة من ملة الإسلام تجري عليها أحكام المرتدين ، والمسلمون هم اتباع كل الأنبياء إذ دين الأنبياء واحد - هو الإسلام - وانما تعددت الشرائع ، وشريعة الإسلام مهيمنة على سائر الشرائع .

ومن اعتقد أنه يسوغ لأحد أن يكون مع النبي ﷺ كالحضر مع موسى لا يلتزم بشريعته ، لأن له شريعة أخرى فهو كافر بالإجماع ، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لو كان موسى بن عمران حياً لما وسعه إلا أن يتبعني » .

وكل نبي أفضل من جميع الأولياء بالإجماع ، والصحابة هم سادات الأولياء بعد الأنبياء وكل مؤمن تقى ولي من أولياء الله ، وبحسب إيمانه وتقواه بحسب ولايته له تعالى .

والنبوة لأئثال بالكسب والاجتهاد ، بل هي فضل ومنة من الله ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (الأنعام : ١٢٤) ، وإذا رأيت الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة ، فهذا هو الفارق بين الكرامة الرحمانية والخرافة الشيطانية ، والإستقامة هي أعظم كرامة .

الإيمان باليوم الآخر

ويشمل الإيمان بالموت وسؤال القبر وحياته ، وعلامات الساعة والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار .

١ - الموت حق على جميع المخلوقات ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ (القصص : ٨٨) ، والمقصود الأعظم هو الإستعداد له قبل نزوله بالإيمان والعمل الصالح .

٢ - يجب الإيمان بسؤال الملكين لكل ميت عن ربه وعن دينه ونيبه ، وأن العبد إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وذلك يحصل لروحه وبدنه ، ومن كذب بهذا فهو

ضال مبتدع .

٣- ويجب الإيمان بأشراط الساعة الصغرى والكبرى .

فمن **الصغرى** ، رفع العلم وظهور الجهل وضياع الأمانة وكثرة النساء وكثرة القتل ، وغيرها مما ثبت في النصوص .

ومن **الكبرى** ظهور المهدي وظهور المسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم يحكم بشريعة الإسلام ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية (أي لا يقبلها) ويقتل الدجال ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والحسف والدخان ، والدابة وطلوع الشمس من مغربها وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم .

٤- ولا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله ، فلا طلوع لملك مقرب ولا نبي مرسل على ذلك ويجب الإيمان بالنفخ في الصور ، وقيام الأجساد بعد عودة الأرواح إليها والحساب والميزان والصراط ، وكتب الأعمال التي تؤخذ باليمين أو بالشمال من خلف الظهر والشفاعة والحوض مما استفاضت به الأحاديث .

٥- الإيمان بالجنة والنار وهما موجودتان الآن لاتفتيان أبداً ولايفنى من فيهما ونعيم الجنة ، حسي ومعنوي ، وأعظم نعيم أهل الجنة النظر إلى وجهه بأبصارهم والنار عذابها حسي ومعنوي ، ولايبقى فيها أحد من أهل التوحيد ممن قال لا إله إلا الله ، بل لا بد أن يخرجوا منها بشفاعة الشافعين وبرحمة رب العالمين .

الإيمان بالقدر

ونؤمن بالقدر خيره وشره ، وإنه نظام التوحيد فمن كذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، والقدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتسليم بالقدر إنما يكون في المصائب لا في المعائب ، إذ لا بد من الإنتهاء عنها شرعاً ، كما لا بد من بذل الوسع في تعاطي ما أمر الله به من الأسباب ، ومراتب القضاء ومشيئته وخلقها لها .

١ - أن نؤمن بأن الله تعالى عليم بالخلق وهم عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال .

٢ - ثم الإيمان بكتابة الله سبحانه المقادير ويدخل فيه خمسة تقادير :

التقدير (الأزلى) كتابة الميثاق .

وتقدير (شقاوة العباد وسعادتهم) .

والتقدير (العمرى) .

والتقدير (الحولى) في ليلة القدر .

والتقدير (اليومى) .

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً ، فقد كتب في اللوح المحفوظ ماشاء ، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيقال له اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ونحو ذلك فهذا التقدير كما يقول ابن تيمية كان ينكره غلاة القدرية قديماً ومنكروه اليوم قليل .

(٣) الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه مافي السموات ومافي الأرض من حركة ولاسكون إلا بمشيئة الله سبحانه ، لا يكون في ملكه ما لا يريد ، وأنه سبحانه على كل شئ قدير من الموجودات والمعدومات . فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لاخالق غيره ولا رب سواه ، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولايحب الكافرين ولايرضى عن القوم الفاسقين ، ولايأمر بالفحشاء ولايرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد .

(٤) والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم ، ولهم إرادة ، والله

خالقهم وإرادتهم .

كما قال تعالى : ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم وماتشاورون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ (التكوير : ٢٨) ، وهذه الدرجة - كما يقول ابن تيمية - يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها .

الولاء والبراء

أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، ومقتضى الإيمان الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، ومقتضى الكفر بالطاغوت ، البراء من الشرك وأهله .

قال تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ (المائدة : ٥٥) .

وقال : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ﴾ (المتحنة : ٤) .

من معانى الولاء :

الحب والرضا والنصرة والطاعة والمتابعة والمعاونة والقيام بالأمر ، ولوازم هذه الأمور : كالتشبه والركون وإظهار المودة ، وتولية الولايات .

وهذه المعاني يجب صرفها لله ولرسوله والمؤمنين ، فيحب الله ورسوله والمؤمنين ويرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وينصر دين الله بكل ممكن ومستطاع ، وينصر كل مؤمن ظالماً أو مظلوماً (بأن يمنع الظالم من ظلمه والمظلوم ممن ظلمه) ، ويطيع الله ويطيع رسوله ﷺ ، وأولي الأمر من العلماء والأمراء ، الذين يقودون الناس بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، ويتابع طريق المؤمنين ، ويتشبه بالنبي ﷺ وصحابته الكرام ، كما يهتم بأمر المسلمين وينصح لهم ويتعاون معهم على البر والتقوى ويتخذ منهم الأخلاء والأصدقاء دون غيرهم .

ومن أحب الكافرين (المقطوع بكفرهم كفرعون وأبي جهل) ووادهم على

كفرهم ورضى بكفرهم وأطاعهم فيه واتبعهم على مبادئهم المخالفة لدين الإسلام فهو كافر مثلهم ، كمن ينادي بالمساواة بين الأديان ، ويقول إن أهل الإيمان منهم اليهود والنصارى المكذبين برسول الله ﷺ .

ولا يجوز لمسلم أن يصادق الكفار ولا أن يتشبه بهم فيما هو من خصائصهم كما لا يجوز له مشاركتهم في أعيادهم ولا تهنتهم بها أو بمظاهر الشرك التي يفعلونها ، ولا يصح التسمي بأسمائهم ولا الدعاء لهم بالمغفرة إذا ماتوا على الكفر ، ولا التأريخ بتاريخهم ويتحرز من السفر لبلادهم إلا لحاجة أو ضرورة مع الحرص على إظهار شعائر الدين .

وليس من موالات الكفار هديتهم وعبادتهم في مرضهم والعدل معهم والتزوج من الكتابية وأكل ذبائح أهل الكتاب والبيع والشراء والإجارة والشركة وقبول الهبة منهم ورحمتهم بالرحمة العامة ومجادلتهم بالتي هي أحسن ، والإستعانة بهم في مصالح المسلمين دون أن يكون لهم سلطان على المسلمين ، وكذا إيجابتهم لحق ولتعظيم حرمان الله ، ولنعلم أن المسلم أولى بكل خير والكافر أولى بكل شر .

والله قد أذهب عنا عصبية الجاهلية وتفاخرها بالأحساب ، فالناس مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، ويجب الحذر من دعوات القومية والوطنية والقبلية فهي دعوات الجاهلية لا يقبلها المسلم ولا يقف تحت آياتها ولا ينصر عليها ، ولا يغضب لها ولا يميز بين الناس استناداً عليها .

كما لا يجوز الإنضمام إلى الهيئات والنحل التي تقوم على مبادئ تخالف دين الإسلام كالماسونية والعلمانية ونحوها .

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (الشعراء: ٢١٦) .

وقال: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (يونس : ١٠٨) .

مسائل الإيمان والكفر

(١) الإيمان قول وعمل ونية ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية
قال تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ (البقرة : ١٤٣) . أي صلاتكم إلى
بيت المقدس فسمى الصلاة إيماناً ، وقال سبحانه : ﴿ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾
(الفتح : ٤) .

وقال النبي ﷺ : « الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة
الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » .

فالإيمان قول باللسان وإقرار بالجنان (القلب) وعمل بالأركان .

(٢) من مات على التوحيد دخل الجنة يوماً من الدهر ، يصيبه قبل هذا اليوم
ما يصيبه لأحاديث الشفاعة وفضل الشهادة .

(٣) من مات على الشرك بعد بلوغ الرسالة فهو مخلد في النار أبداً ﴿ إن الله
لا يفرغ أن يشرك به ويفغر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ ، وأما من لم تبلغهم الرسالة فهم
من أهل الإمتحان في عرصات القيامة كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة .

(٤) المسلم الذي يرتكب الكبائر ويصر عليها (أي لا يتوب منها) لا يكفر بفعلها
ولا يخلد في النار لو دخلها في الآخرة - ما لم يستحلها لقوله تعالى : ﴿ ويفغر مادون
ذلك لمن يشاء ﴾ وهذه الآية في غير التائب لأن التائب من الشرك مغفور له فالآية
إذن فيمن مات على الشرك ، ولكن ينقص إيمان المرء بمعصيته وفسقه لقول النبي ﷺ
: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » رواه مسلم .

(٥) من رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة بغير دخول النار إلا تحلة
القسم ، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف ومآلهم إلى الجنة
ومن رجحت سيئاته على حسناته استحق دخول النار .

(٦) ومن استحق دخول النار من عصاة الموحدين فهو في مشيئة الله ، إن شاء

عذبه وإن شاء غفر له - فالناس يدورون بين فضل وعدل في الدنيا والآخرة - ومن هذا الصنف من يدخل النار بلا شك ولكن المسلم لا يدخل النار دخول الكفار ولا يعذب فيها عذاب الكفار ولا يُخلد فيها خلود الكفار .

(٧) لا يختلف أهل السنة في أن تارك النطق بالشهادتين مع القدرة عليها كافر مخلد في النار ، حتى لو اعتقد صحتها بقلبه دون نطق لقوله ﷺ :
« يخرج من النار من قال لا إله إلا الله » .

(٨) والخلاف فيمن ترك الأركان الأربعة تكاسلاً لاجحوداً (وهي الصلاة والصوم والزكاة والحج) من مسائل الإجتهد عند أهل السنة لا يُبدع المخالف فيها ولا يُفسق وليست كمسألة مرتكب الكبيرة ، فمن كفر مرتكب الكبيرة كالزنا والسرقة أو حكم بخلوده في النار (كالخوارج والمعتزلة) فهو مبتدع .
وأما من كفر تارك الصلاة (وهي أشهرها) فهو مجتهد مأجور على أي حال ، وكذا من لم يكفر كفراً ينقل عن الملة فهو مجتهد ، وهذه المسألة مما يسوغ فيها الخلاف عند أهل السنة ، وإن كان جمهور فقهاءهم يقولون عنه كفر دون كفر ، أما تركها جحوداً فكفره معلوم من الدين بالضرورة .

(٩) ومثله الخلاف في تكفير بعض طوائف أهل البدع مما ليس فيه إجماع عند أهل السنة - بل هو من مسائل الإجتهد - كالخوارج ومتأخري القدرية والمعتزلة والروافض ، والجمهور على عدم تكفيرهم .

(١٠) لا يكفر مسلم معين ثبت له حكم الإسلام إلا بعد بلوغ الحجة التي يكفر المخالف لها ، نقل الإجماع عليه ابن حزم وأقره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ، سواء كان خلافه في الأصول أو الفروع وهذه الحجة يقيمها عالم أو ذو سلطان مطاع بحيث تنتفي الشبهات وتدرأ المعاذير ويحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك أيضاً عن بينة .

(١١) يثبت حكم الإسلام بالنطق بالشهادتين بالنص والإجماع ، نقله ابن رجب وغيره ، وكذا بالولادة لأبوين مسلمين لحديث :
« كل مولود يولد على الفطرة » متفق عليه .

والولد يتبع المسلم من والديه ، ومن توقف في الحكم بالإسلام لمن نطق بالشهادتين أو ولد مسلماً ولم يُعلم عنه شرك ولا ردة ، فهو مبتدع لمخالفته إجماع السلف الصالح على ذلك ، ولا يستثنى من ذلك إلا من يقولها حال كفره فلا بد من نطقها مع البراءة من الكفر .

(١٢) استمرار عصمة الدم والمال لمن دخل في الإسلام متوقف على التزامه بالصلاة والزكاة وسائر حق الإسلام كما في الحديث :
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » الحديث رواه مسلم .

(١٣) يجب الحذر في الجملة من تكفير من قد علم إسلامه بيقين لقول النبي ﷺ : « من قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما » .
وقال ﷺ : « لعن المؤمن كقتله » .

فثبوت عقد الإسلام بيقين لا يزحزح بشك ، وإذا كانت الحدود تُدْرَأُ بالشبهات فأولى ثم أولى أمر التكفير ، ولأن يخطئ الحاكم في العفو خير من أن يخطئ في القصاص .

وكان الإمام مالك يقول : (لو احتمل المرء الكفر من تسعة وتسعين وجها واحتمل الإيمان من وجه لحمته على الإيمان تحسناً للظن بالمسلم) .
وكان الإمام أحمد يقول لعلماء وقضاة الجهمية : (أنا لو قلت قولكم لكفرت ، ولكني لا أكفركم لأنكم عندي جهال) .

وإذا كانت الناس اليوم قد ورثت الإسلام وجهلت معانيه ولم تقم عليهم الحجة الرسالية قياماً يتأكد معه أن يحيى من حيٍّ عن بينة ، وإن يهلك من هلك عن بينة ، فعلياً بدعوتهم والرفق بهم وتعليمهم ما جهلوه من دين الله لا المسارعة في تكفيرهم

الصحابة والخلافة والإمامة

قال تعالى: ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ .

وقال النبي ﷺ: « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .
وقال ﷺ: « لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

(١) فالواجب على كل مسلم حب الصحابة وتوليهم ومعرفة فضلهم - خصوصاً أفضلهم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة - وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ومن أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى .
وكذا أزواج النبي ﷺ والإيمان بأنهن أزواجه في الجنة ، وحب أهل بيته كما أوصانا النبي ﷺ .

(٢) والخلفاء بعد الرسول ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين لإجماع الصحابة على ذلك وإجماعهم حجة ملزمة ، ومن طعن في خلافة واحد منهم فهو أضل من حمار أهله .

(٣) ومن قدّم علياً على أبو بكر وعمر في الفضل أو الخلافة فهو ضال مبتدع كما ثبت عن علي لما سئل أي هذه الأمة أفضل بعد نبيها قال : (أبو بكر وعمر) .
رواه البخاري .

(٤) ومن قدم علياً على عثمان في الفضل لا في الخلافة فهو مخطئ ، لكن لا يُفسق ولا يتبع ، وهي مسألة يُعذر فيها المخالف ، وكان من أهل السنة من يقولها قديماً (كنا بين أصحاب رسول الله ﷺ فنقدم أبا بكر ثم عمر) ثم انعقد الإجماع على تقديم عثمان في الفضل والخلافة معاً لحديث ابن عمر ثم عثمان (رواه البخاري) .

(٥) يجب الإمساك عما شجر بين الصحابة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه من خلاف و قتال ، فقد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه ، وكثير مما يروى كذب وزور عليهم ، وأكثر أهل السنة على أن علياً اجتهد وأصاب والمخطئ من خالفه وكلاهما مأجور وكل مجتهد مأجور مرفوع عنه الإثم معذور في خطئه لقول النبي ﷺ :
« الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » .

وقوله ﷺ عن الخوارج: « تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وقد قاتلهم على رضى الله عنه .

وسب الصحابة من عظام الذنوب ، سواء علياً ومن معه أو طلحة أو الزبير أو معاوية ومن معهم رضى الله عنهم أجمعين ، بل هم جميعاً ممن قال الله فيهم :
﴿ ونزعنا ما فى قلوبهم من غل إخواناً على سرر متقابلين ﴾ .

(٦) ولا عصمة لأحد بعد النبي ﷺ ، لالصاحب ولا إمام ولا ولي بل الجميع يجوز عليه الكبائر والصغائر ، لكن للصحابة مزية على من بعدهم للسبق للإسلام والصحبة والهجرة والجهاد في سبيل الله .

(٧) وأولياء الله هم المؤمنون المتقون في كل زمان ومكان من أهل السنة والجماعة لهم الكرامات والفضائل في الدنيا والآخرة ما يوجب حبهم وتوليهم ولكن يجب الحذر من الغلو فيهم أو عبادتهم من دون الله .

(٨) ومن اعتقد في أحد منهم أو من غيرهم الألوهية (كالنصيرية العلويين في على ، والدروز في الحاكم بأمر الله ، والباطنية في إمامهم) أو النبوة (كطوائف من الروافض) أو اعتقد تحريف القرآن أو خطأ الوحي ، فهو كافر بلا خلاف عند أهل السنة ، ولا يختلف أهل السنة في عدم تكفير الشيعة المفضلة (الزيدية) .

(٩) وإقامة الخلافة التي بها تجتمع كلمة المسلمين فرض وواجب على المسلمين عودتها على منهاج النبوة مما بشر به النبي ﷺ ، والسعى إلى ذلك واجب بكل الطرق الشرعية وأهمها الدعوة إلى الله تعالى .

الإِتِّبَاع

(١) فرض على الناس جميعاً التأدب مع النبي ﷺ وطاعته واتباع سننه قال تعالى: ﴿ من يُطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ﴾ فالكتاب القرآن ، والحكمة سنة رسول الله ﷺ .

(٢) ومقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ تجريد متابعتة وتحكيمه في كل موارد النزاع في أصول الدين وفروعه ، وفي العقائد والأحكام ومنازل القلوب والرضا بحكمه ، والإنقياد له ، والتسليم لسنته ، والإعراض عن مخالفه وتقديم قوله وهديه وأمره ونهيه على قول كل أحد كائناً من كان .

(٣) التوحيد توحيديان ، توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول ، وكل الطرق مسدودة إلا طريق رسول الله ﷺ ، وكل من أراد تربية نفسه وتزكيتها فعليه بالمتابعة الصادقة لرسول الله ﷺ علماً وعملاً واعتقاداً .

(٤) من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر ، وكذلك من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ، ولو عمل به فقد كفر .

لقوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ .

وكذلك من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر والدليل قوله تعالى : ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ، لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ ويدخل فيما ذكرنا من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين أو أنه يُحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى ومن ذلك أن يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر .

ويدخل في ذلك أيضاً كل من أعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين .

الإجتihad والتقليد

(١) الإبتاع أن يتبع الإنسان ما أنزل الله على رسوله ، أي يأخذ بالحجة التي يأخذ بها العلماء ، ومن استبانت له السنة لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس .

(٢) والتمذهب بمذهب إمام معين من الأمور الجائزة للعاجز عن الإجتihad لعذر وليس بلازم ، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله .

أما التعصب المذهبي ، وهو أن يرد كل ما خالف إمامه ولا يقبل منه شيئاً حتى ولو استبانت له الحجة فهو مذموم ، ومنه البدع ، وقد نهى الأئمة عن هذا التعصب وعن هذا الجمود .

(٣) احترام الأئمة المجتهدين المقبولين عند الأمة (كالأئمة الأربعة والثوري وابن عيينة وابن المبارك) ومحبتهم وموالاتهم - واجب على كل مسلم - إذ هم ورثة النبي ﷺ ، وليس أحد منهم يتعمد مخالفة الرسول ﷺ خصوصاً الأئمة الأربعة (أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة) - ولكن كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

(٤) الإنتقال بين المذاهب بمجرد التشهي بغير دليل ، والإنتقاء من المذاهب ما يناسب الهوى بدعة ضلالة ومنكر يخالف الإجماع ، ومن تتبع رخص المذاهب تجمع فيه الشر كله ، فكيف بمن تتبع زلات العلماء ، وصنع منها ديناً !!! .

(٥) الواجب على العالم الجامع لأدوات الإجتihad أن يجتهد ويتبع ما وصله من الأدلة ، يدل الناس عليها ، ولا يحل له التقليد إلا عند العجز .

والواجب على الجاهل الذي لا قدرة له على النظر في الأدلة ولا فهمها ولا الترجيح بينها ، أن يسأل العلماء ويتبعهم على ما يفتونه ، ومن كان عنده علم وإطلاع وتمييز بين الأقوال والمذاهب فليس هو كالجاهل العامي المقلد بل عليه أن يتبع ما اطلع على دليله الشرعي من أقوال العلماء وله إذا جمع الأدلة في مسألة أو أكثر أن يرجح بين الأقوال .

ومن علم مسألة فهو بها عالم ، ومسائل الإجتهد تتجزأ ولا يحل القول في دين الله بغير علم ومن سئل عن دليل المسألة التي يتكلم بها بيّنه ولا حرج في سؤال عالم في مسائل الصلاة وآخر في مسائل الزكاة ويستفتي العلماء من أى مذهب ويجتهد في اختيار الأعلم والأورع .

(٦) الآراء العارية عن الدليل متساوية ويجوز العمل بأى واحد منها إذا اطمأن إليه قلب المكلف ، والتعصب لواحد منها ضلال .

(٧) لا يصح القول بإغلاق باب الإجتهد ، فما أكثر الحوادث المستجدة التي تتطلب ممن هو أهل للإجتهد والإستنباط أن يطبق الأحكام الشرعية على الواقع المساوي لها وأن يحكم على الجديد من أمور الحياة وشؤونها وضروراتها .

(٨) الإجتهد هو بذل العالم وسعه في استنباط الحكم ، فإن حكم بنص فقد حكم بحكم الله ، وإن حكم بما يفهم ويرى فيجب أن يغلب على ظنه أن الله لو أنزل نصاً لهذا الحكم لكان موافقاً لما أفتى به .

(٩) وطاعة ولي الأمر المسلم فيما يجتهد فيه لمصالح المسلمين والنصح له واجب ولا يجوز مخالفته إلا إذا أمر أمراً صريحاً بمعصية الله عزوجل ويجوز الإفتاء بغير ما يراه إذا كان مع المفتي دليل وطاعته في الأمور العامة إذا كان مجتهداً متأولاً ومشروعاً .

أما في الأمور الخاصة والتي لا يتأتى من ورائها تفريق المسلمين فلا تجوز إذا كانت

الحجة بخلاف أمره ، ولا يجوز للكافر أن يتولى إمرة المسلم .
(١٠) التحاكم إلى الله ورسوله يقطع الخلاف ، فإن لم تتضح الحجة عذر كل
أخاه ووكل سريرته إلى الله عزوجل وأحسن الظن بأخيه وأساء الظن بنفسه .

(٧) أهل السنة والجماعة

هناك فارق بين أهل السنة وأهل القبلة ، فليس كل من انتسب للقبلة يكون من
أهل السنة ، بل قد يكون من أهل البدع والأهواء كحالة الخوارج الذين لم يكفرهم
علي رضى الله عنه ولا جمهور الصحابة

جاء في « شرح الطحاوية » ٢٨٦ (ونسبي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا بما
جاء به النبي ﷺ معترفين وله بكل ماقاله وأخبر مصدقين) .

قال رسول الله ﷺ : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فهو
المسلم ، له مالنا وعليه ماعلينا » أخرجه البخاري وغيره .

ويشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى أن الإسلام والإيمان واحد وأن المسلم
لا يخرج من الإسلام بإرتكاب الذنب ما لم يستحله .

والمراد بقوله : أهل قبلتنا من يدعى الإسلام ويستقبل الكعبة وإن كان من أهل
الأهواء ، أو من أهل المعاصي ، ما لم يكذب بشئ مما جاء به الرسول ﷺ) إلى
أن قال (ولا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان
ذنب لمن عمله) .

فرد بذلك على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب كما رد على المرجئة فإنهم
يقولون : لا يضر مع الإيمان ذنب ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، فهؤلاء في طرف
والخوارج في طرف وكلاهما على ضلالة خالفوا بها ماكان عليه رسول الله ﷺ
وصحابته الكرام .

فهذا هو مقياسنا وميزاننا ، ولا يثبت الحق بمجرد الإدعاء ، ولذلك لزم على
الأفراد والدول والجماعات أن تعرض نفسها على أصول وقواعد أهل السنة
والجماعة .

فقد كانوا يثبتون كل ماوافق الكتاب والسنة وماخالفهما أبطلوه ، ولا معصوم عندهم إلا رسول الله ﷺ .

وإجماع السلف الصالح عندهم حجة شرعية ملزمة لمن بعدهم ، وهم لايقرون قولاً ولا يقبلون اجتهاداً إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة والإجماع ، ولا يعارضون القرآن والسنة بعقل أورأى أو قياس ، ولايوجبون على العاجز في معرفة العلم مايجب على القادر .

والجماعة عندهم هي مناط النجاة في الدنيا والآخرة ، فأهل السنة هم أهل الجماعة وأهل التوسط والإعتدال وهم أيضاً أهل الجُمْل الثابتة بالقرآن والسنة والإجماع ، فهم أهل الشريعة ، وهم الإمتداد التاريخي لأهل ملة الإسلام جمعوا الدين علماً وعملاً ، ظاهراً وباطناً ، ولا يأخذون إلا ماكان ثابتاً عن الرسول ﷺ .

والسلف الصالح يقومون بكتاب الله حفظاً وتلاوة وتفسيراً ، كما يهتمون بالحديث معرفة وفهماً وتمييزاً لصحيحه من سقيم (لأنهما مصدر التلقي) ، مع إتباع العلم بالعمل ويؤمنون بالكتاب كله ويجمعون بين القوة وبين العمل بالأسباب والتوكل على الله ويحرصون على إقامة حضارة على منهاج النبوة ، فالتطور عندهم لاينافي التخلق بأخلاق المؤمنين .

والسلفية ليس معناها الجمود على وسائل التطور الأولى ، والسلف كانوا يحرصون على معرفة السنن والنزول على حكمها وقد اختلفت اجتهاداتهم تبعاً لثفاوت علمهم بالسنة ، ولكن ضبطوا أنفسهم لحرصهم على الوحدة والإئتلاف وجمع كلمة المسلمين على الحق وتوحيد صفوفهم على التوحيد والإتباع وإبعاد كل أسباب النزاع والخلاف بينهم . والحق في النهاية لا يخرج عنهم .

وأهل السنة هم الطائفة المنصورة ، وهم خير الناس للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحافظون على الجماعة ويلتزمون الطاعة في المعروف ومن هنا لا يميزون على الأمة في أصول الدين باسم سوى السنة والجماعة ولايوالون

ولا يعادون على رابطة سوى الإسلام والسنة ، ويغزون مع أمرائهم أبراراً كانوا أم فجاراً من أجل إقامة شرائع الإسلام سيماهم الإنصاف والعدل ، فهم يراعون حق الله تعالى ولهذا لا يغفلون في موال ولا يجورون على معاد ، ولا يغمطون ذا فضل فضله أياً كان ، ويحرصون على الإحسان والرحمة وحسن الخلق مع الناس كافة صبغتهم ربانية ، ويدعون إلى الله على بصيرة ويعلمون أن الدعوة بالسلوك أبلغ من الدعوة بالقول ، ويبدأون فيها بالأهم .

والبيان أول واجباتها ويبلغونها بالحكمة والموعظة الحسنة ولا يجادلون الناس إلا بالتي هي أحسن ، فتخلق بهذه السمات وهذه الخصائص ، واحرص على أن تكون في واقعك وواقع الناس حتى نسلم في دنيانا وآخرتنا من سخط ربنا .

(١) إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية ، وأجمع الجميع وأصوبها ، وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها . فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم ، لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خير الدنيا والآخرة ، فمن ذلك توحيد الله جل وعلا فقد هدى القرآن فيه للطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها .

وهي توحيدة جل وعلا في ربوبيته وفي عبادته وفي أسمائه وصفاته ، ومن تتبع الآيات وجد أن الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية إستفهامات تقرير ، يراد منها أنهم إذا أقروررتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة .

نحو قوله تعالى : ﴿ أفى الله شك ﴾ .

وقوله : ﴿ قل أغير الله أبغى رباً ﴾ واليهود والنصارى لا ينكرون الربوبية وإقرارهم هذا يلزمهم أن يوجدوا ربهم ، وأن يفردوه

١- راجع تفسير الآية في أضواء البيان للشنقيطي (سورة الاسراء) .

بالعبادة ولا يجعلوا معه آلهة أخرى ، وأن ينزهوه سبحانه عن الصاحبة والولد ونحن نذكر بعون الله - بعض المسائل والشبهات ونوضح كيف هدى القرآن فيها للتي هي أقوم .

(١) من هديه ، جعله الطلاق بيد الرجل

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ الآية ونحوها من الآيات ، وفيها جعل سبحانه الطلاق بيد الرجل وذلك لأن النساء مزارع وحقول ، تبذر فيها النطف كما يبذر الحب في الأرض قال تعالى : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ .

ولاشك أن الطريق التي هي أقوم الطرق : أن الزارع لا يُرغم على الإذراع في حقل لا يرغب الزراعة فيه لأنه يراه غير صالح له ، والدليل الحسي القاطع على ماجاء به القرآن من أن الرجل زارع والمرأة مزرعة ، لأن آلة الإزراع مع الرجل ، فلو أرادت المرأة أن تجامع الرجل وهو كاره لها لارغبة له فيها لم تستطع ، بخلاف الرجل فإنه قد يرغمها وهي كارهة فتحمل وتلد .

فدلت الطبيعة والخلقة على أنه فاعل وأنها مفعول به ولذا أجمع العقلاء على نسبة الولد له لالها وتسوية المرأة بالرجل في ذلك مكابرة في المحسوس كما لا يخفى .

(٢) إباحة تعدد الزوجات إلى أربع (١)

وهذا من هدي القرآن للتي هي أقوم ، فإذا خاف الرجل عدم العدل بينهن لزمه الإقتصار على واحدة أو ملك يمينه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِي وَثَلَاثَ وَرِبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ .

وإباحة تعدد الزوجات أمور محسوسة يعرفها كل العقلاء منها :

أن المرأة الواحدة تحيض وتقرض وتنفس إلى غير ذلك من العوائق المانعة من قيامها بأخص لوازم الزوجية ، والرجل مستعد للتسبب في زيادة الأمة ، فلو حبس

١- راجع كتابي «عاشروهن بالمعروف» ٧١-٨٣ .

عليها في أحوال عذرهما لعطلت منافعه باطلاً في غير ذنب .
ومنها : أن الله أجرى العادة بأن الرجال أقل عدداً من النساء في أقطار الدنيا
وأكثر تعرضاً لأسباب الموت منهن في جميع ميادين الحياة ، فلو قعد الرجل على
واحدة لبقى عدد ضخم من النساء محروماً من الزواج ، فيضطرون إلى
ركوب الفاحشة .

فالعُدول عن هدي القرآن في هذه المسألة من أعظم أسباب ضياع الأخلاق
والإنحطاط إلى درجة البهائم في عدم الصيانة والمحافظة على الشرف والمروءة
والأخلاق ، فسبحان الحكيم الخبير ﴿ كتاب أحكام آياته ثم فصلت من لدن
حكيم خبير ﴾ .

ومنها : أن الإناث كلهن مستعدات للزواج ، وكثير من الرجال لاقدرة لهم على
القيام بلوازم الزواج لفقرهم فالمستعدون للزواج من الرجال أقل من المستعدات له
من النساء ، لأن المرأة لا عائق لها .

والرجل يعوقه الفقر وعدم القدرة على لوازم النكاح ، فلو قصر الواحد على
الواحدة لضاع كثير من المستعدات للزواج أيضاً بعدم وجود أزواج ، فيكون ذلك
سبباً لضياع الفضيلة وتفشي الرذيلة والإنحطاط الخلقي وضياع القيم الإنسانية كما
هو واضح .

والذي أباحه الإسلام هو تعدد الزوجات لاتعدد العشيقات ، فإن خاف الرجل
ألا يعدل بينهن ، وجب عليه الإقتصار على واحدة لأن الله تعالى يقول : ﴿ إن الله
يأمر بالعدل والإحسان ﴾ والتفضيل بينهن في الحقوق الشرعية لا يجوز لقوله تعالى
﴿ فلا تميلوا كل الميل فتدروها كالمعلقة ﴾ (النساء : ١٢٩) .

أما الميل الطبيعي بمحبة بعضهن أكثر من بعض ، فهو غير مستطاع دفعه للبشر
فلا حرج فيه وهو المراد بقوله : ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ﴾ (النساء : ١٢٩) .
ومايزعمه بعض الملاحدة من أعداء دين الإسلام من أن تعدد الزوجات يلزمه الخصام

والشغب الدائم المفضي إلى نكد الحياة ، وأن هذا ليس من الحكمة ، فهو كلام ساقط ، يظهر سقوطه لكل عاقل ، لأن الخصام والمشاغبة بين أفراد أهل البيت لا انفكك عنه البتة فيقع بين الرجل وأمه ، وبينه وبين أبيه ، وبينه وبين أولاده ، وبينه وبين زوجته الواحدة ، فهو أمر عادي ليس كبير شأن .

وهو في جنب المصالح العظيمة التي ذكرناها في تعدد الزوجات من صيانة النساء وتيسير التزويج لجميعهن ، وكثرة عدد الأمة لتقوم بعددها الكثير في وجه أعداء الإسلام ، كلا شيء لأن المصلحة العظمى يقدم جلبها على دفع المفسدة الصغرى .

ففداء الأسارى مصلحة راجحة ، ودفع فدائهم النافع للعدو مفسدة مرجوحة فتقدم عليها المصلحة الراجحة ، وكذلك العنب تعصر منه الخمر وهي أم الخبائث ، إلا أن مصلحة وجود العنب والزبيب والإنتفاع بهما في أقطار الدنيا مصلحة راجحة على مفسدة عصر الخمر منها ألغيت لها تلك المفسدة المرجوحة .

فالقرآن أباح تعدد الزوجات لمصلحة المرأة في عدم حرمانها من الزواج ولمصلحة الرجل بعدم تعطل منافعه في حال قيام العذر بالمرأة الواحدة ولمصلحة الأمة ليكثر عددها فيمكنها مقاومة عدوها لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو تشريع حكيم خبير لا يطعن فيه إلا من أعمى الله بصيرته بظلمات الكفر .

وتحديد الزوجات بأربع تحديد من حكيم خبير ، وهو أمر وسط بين القلة المفضية إلى تعطل بعض منافع الرجل ، وبين الكثرة التي هي مظنة عدم القدرة على القيام بلوازم الزوجية للجميع .

وعموماً فقد تشترط المرأة على زوجها ألا يتزوج عليها بأخرى عند العقد فيلزمه الوفاء والمعروف عرفاً كالمشروط شراطاً ، وإباحة التزوج بأكثر من أربع خصوصية من خصوصيات رسول الله ﷺ ومن تتبع قصص الأنبياء كدواد وسليمان وغيرها علم أن التعدد نظام كان موجوداً قبل بعثة النبي ﷺ ، وقد أجازت كثير من بلدان

العالم التعدد بعد أن كانت تحرمه وتمنعه ، تحقيقاً للمصلحة الظاهرة ودفعاً للمضرة والمفسدة وعموماً فالمسلم يدور مع إسلامه حيث دار ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً ﴾ .

(٣) تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث

قال تعالى : ﴿ وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين ، بين الله لكم أن تضلوا والله بكل شئ عليم ﴾ وقد صرح تعالى في هذه الآية الكريمة : أنه يبين لخلقه هذا البيان الذي من جملته تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث لثلاث يضل فمن سوى بينهما فيه فهو ضال قطعاً .

ثم بين أنه أعلم بالحكم والمصالح وبكل شئ من خلقه ، ولاشك أن الطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها : تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث الذي ذكره الله تعالى ، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ بعضهم أي الرجال على بعض أي النساء .

وقوله ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ وذلك لأن الذكورة كمال خلقي ، وقوة طبيعية وشرف وجمال والأنوثة نقص خلقي وضعف طبيعي كما هو محسوس ومشاهد لجميع العقلاء ، لا يكاد ينكره إلا مكابر في المحسوس .

وقد أشار جل وعلا إلى ذلك بقوله : ﴿ أو من ينشأ في الخلية وهو في الخصام غير مبين ﴾ لأن الله أنكر عليهم في هذه الآية الكريمة أنهم نسبوا له ما لا يليق به من الولد ومع ذلك نسبوا له أحسن الولدين وأنقصهما وأضعفهما .

ولذلك ينشأ في الخلية أي الزينة من أنواع الحللي والحلل ليَجبر نقصه الخلقي الطبيعي بالتجميل بالحلي والحلل وهو الأنثى ، بخلاف الرجل ، فإن كمال ذكورته وقوتها وجمالها يكفيه عن الحللي والحلل وقال تعالى : ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذا قسمة ظيزى ﴾ وإنما كانت هذه القسمة ظيزي - أي غير عادلة - لأن الأنثى أنقص من الذكر خلقة وطبيعة ، فجعلوا هذا النصيب الناقص لله جل وعلا سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وجعلوا الكامل لأنفسهم .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ومعلوم عند عامة العقلاء أن الأنثى متاع لا بد له ممن يقوم بشئونه ويحافظ عليه ، وقد شبه العلماء النساء بالطعام والفاكهة ، وجاءت السنة الصحيحة بالنهي عن قتل النساء والصبيان في الجهاد لأنهما من جملة مال المسلمين الغائمين .

ثم المرأة الأولى خلقت من ضلع الرجل الأول ، فأصلها جزء منه إذا فالعقل الصحيح الذي يدرك الحكم والأسرار ، يقضي بأن الناقص الضعيف بخلقته وطبيعته يلزم أن يكون تحت نظر الكامل في خلقته ، القوي بطبيعته ، ليجلب له ما لا يقدر على جلبه من النفع ويدفع عنه ما لا يقدر على دفعه من الضرر .

ولذلك كانت القوامة للرجل ، وبمقتضاها يلزم بالإئناق على نسائه ، والقيام بجميع لوازمهن في الحياة كما قال تعالى : ﴿ وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ وهذا يجعل الرجل مترقباً للنقص دائماً بالإئناق وبذل المهور لهن والبذل في نواصب الدهر والمرأة مترقبة للزيادة بدفع الرجل لها المهر ، وإئناقه عليها وقيامه بشئونها ، وإيثار مترقب النقص دائماً على مترقب الزيادة دائماً لجبر بعض نقصه المترقب ، حكمته ظاهرة واضحة ، لا ينكرها إلا من أعمى الله بصيرته بالكفر والمعاصي ولذا قال تعالى : ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ .

ولأجل هذه الحكم التي بينا بها فضل نوع الذكر على الأنثى في أصل الخلقة والطبيعة ، جعل الحكيم الخبير الرجل هو المسئول عن المرأة في جميع أحوالها وخصه بالرسالة والنبوة والخلافة دونها ، وملكه الطلاق دونها ، وجعله الولي في النكاح دونها ، وجعل أنساب الأولاد إليه لا إليها ، وجعل شهادته في الأموال بشهادة إمرأتين في قوله تعالى : ﴿ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ﴾ وجعل شهادته تقبل في الحدود والقصاص دونها ، إلى غير ذلك من الفوارق الحسية والمعنوية والشرعية بينهما .

وقد صح عن النبي ﷺ اللعن على من تشبه منهما بالآخر والمرأة التي تحاول أن

تكون كالرجل في جميع الشئون ، امرأة مترجلة متشبهة بالرجال ملعونة في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ﷺ .

وكذلك المخشون المشبهون بالنساء فهم أيضاً ملعونون وحالهم أخزى ، وهذا يجعلنا نقول : إن تسوية الأنثى بالذكر في جميع الأحكام والميادين فيها من الفساد والإخلال بنظام المجتمع الإنساني ما لا يخفى على أحد إلا من أعمى الله بصيرته .

فالأنثى بصفاتھا الخاصة بها صالحة لأنواع من المشاركة في بناء المجتمع صلاحاً لا يصلح لها غيرها كالحمل والوضع والإرضاع وتربية الأولاد وخدمة البيت والقيام على شئونه وهذه الخدمات التي تقوم بها للمجتمع داخل بيتها في ستر وصيانة وعفاف ومحافظة على الشرف والفضيلة ، لاتقل عن خدمة الرجل بالإكتساب .

ومن المعلوم أن المرأة في زمن حملها ورضاعها ونفاسها لاتقدر على مزاوله أي عمل فيه أي مشقة كما هو مشاهد فإذا خرجت هي وزوجها بقيت خدمات البيت كلها ضائعة .

على أن خروج المرأة وابتذالها فيه ضياع المروءة والدين لأن المرأة متاع وهو أشد متعة الدنيا تعرضاً للخيانة فتعريضها لأن تكون مائدة للخونة فيه ما لا يخفى على أدنى عاقل .

ودعوى الجهلة أن دوام خروج النساء متبرجات واختلاطهن بالرجال يُذهب إثارة غرائز الرجال ، لأن كثرة الإمساس تُذهب الإحساس كلام في غاية السقوط والخسة ، لأن معناه : إشباع الرغبة مما لايجوز ، والإمساس المذكور لا يُذهب إثارة الغريزة باتفاق العقلاء ، لأن الرجل يمكث مع زوجته سنين كثيرة ، ولاتزال ملامسته لها ورؤيته لبعض جسمها تثير غريزته ، كما هو مشاهد لاينكره إلا مكابر .

وقد أمر رب السموات والأرض ، خالق هذا الكون ومدبر شئونه ، العالم بخفايا أموره ، وبكل ماكان وماسيكون فيه بغض النظر عما لايجل .

قال تعالى: ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدین زینتهن ﴾ الآية .

ونهى المرأة أن تضرب برجلها لتسمع الرجال صوت خلخالها في قوله تعالى: ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ ونهاهن عن لين الكلام لثلا يطمع أهل الخنى فيهن ، قال تعالى: ﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ﴾ .

(٤) الرقة

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: ملك الرقيق المعبر عنه في القرآن بملك اليمين وذلك في آيات كثيرة كقوله تعالى ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴾ (المعارج: ٢٩، ٣٠) والمراد بملك اليمين في هذه الآية وغيرها ملك الرقيق بالرقة ، وسبب الملك بالرقة : هو الكفر ومحاربة الله ورسوله فإذا أقدر الله المسلمين المجاهدين الباذلين مهجهم وأموالهم ، وجميع قواهم ، وما أعطاهم الله لتكون كلمة الله هي العليا على الكفار ، جعلهم ملكاً لهم بالسبي ، إلا إذا اختار الإمام المن أو الفداء لما في ذلك من المصلحة على المسلمين . وهذا الحكم من أعدل الأحكام وأوضحها وأظهرها حكمة ، وذلك أن الله جل وعلا خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ، ويمتثلوا وأوامره ويتجنبوا نواهيه كما قال تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ليشكروه .

فتمرد الكفار على ربهم وطغوا وعتوا ، وأعلنوا الحرب على رسله لثلا تكون كلمته هي العليا ، واستعملوا جميع المواهب التي أنعم عليهم بها في محاربتهم وارتكاب ما يسخطه ، ومعاداته ومعاداة أوليائه القائمين بأمره ، وهذا أكبر جريمة

يتصورها الإنسان فعاقبهم الحكم العدل اللطيف الخبير جل وعلا - عقوبة شديدة تناسب جريمتهم ، فسلبهم التصرف ووضعهم من مقام الإنسانية إلى مقام أسفل منه كمقام الحيوانات ، فأجاز بيعهم وشراءهم ، وغير ذلك من التصرفات المالية ، مع أنه لم يسلبهم حقوق الإنسانية سلباً كلياً ، فأوجب على مالكهم الرفق والإحسان إليهم وأن يطعموهم مما يطعمون ويكسوهم مما يلبسون ، ولا يكلفوهم من العمل ما لا يطيقون وإن كلفوهم أعانوهم ، كما هو معروف في السنة الواردة عنه ﷺ ، مع الإيضاء عليهم في القرآن .

كما في قوله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى ﴾ إلى قوله : ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ (النساء : ٣٦) .

وتشوف الشارع تشوفاً شديداً للحرية والإخراج من الرق فأكثر أسباب ذلك كما أوجبه في الكفارات من قتل خطأ وظهار ويمين وغير ذلك وأوجب سراية العتق وأمر بالكتابة في قوله: ﴿ فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ﴾ ورغب في الإعتاق ترغيباً شديداً .

ولو فرضنا (ولله المثل الأعلى) أن حكومة من هذه الحكومات التي تنكر مسألة الرقيق وتشنع في ذلك على دين الإسلام قام عليها رجل من رعاياها كانت تغدق عليه النعم ، وتسدي إليه جميع أنواع الإحسان ودبر عليها صورة شديدة يريد بها اسقاط حكمها ، ثم قدرت عليه بعد مقاومة شديدة فإنها تقتله شر قتلة .

ولا شك أن ذلك القتل يسلبه جميع تصرفاته وجميع منافعه ، فهو أشد سلباً لتصرفات الإنسان ومنافعه من الرق بمراحل .

والكافر قام ببذل كل مافي وسعه ليحول دون إقامة نظام الله الذي شرعه ليسير عليه خلقه فينشر بسببه في الأرض الأمن والطمأنينة والرخاء والعدالة والمساواة في الحقوق الشرعية وتنظم به الحياة على أكمل الوجوه وأعدلها وأسمأها ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم

تذكرون ﴿ فعاقبة الله هذه المعاقبة بمنعه التصرف ووضع درجته وجريمته تجعله يستحق العقوبة بذلك .

فإن قيل : إذا كان الرقيق مسلماً فما وجه ملكه بالرق؟ مع أن سبب الرق الذي هو الكفر ومحاربة الله ورسله قد زال ؟ .

فالجواب أن القاعدة المعروفة عند العلماء وكافة العقلاء :

« أن الحق السابق لا يرفعه الحق اللاحق ، والأحقية بالأسبقية ظاهرة لاختفاء بها فالمسلمون عندما غنموا الكفار بالسبي ثبت لهم حق الملكية بتشريع خالق الجميع وهو الحكيم الخبير فإذا استقر هذا الحق وثبت ثم أسلم الرقيق بعد ذلك كان حقه في الخروج من الرق بالإسلام مسبقاً بحق المجاهد التي سبقت له الملكية قبل الإسلام وليس من العدل والإنصاف رفع الحق السابق بالحق المتأخر عنه كما هو معلوم عن العقلاء .

نعم يحسن بالمالك ويحمل به أن يعتقه إذا أسلم ، وقد أمر الشارع بذلك ورغب فيه وفتح له الأبواب الكثيرة فسبحان الحكيم الخبير ﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴿ فقله: ﴿ صدقاً ﴾ أي في الإخبار وقوله : ﴿ عدلاً ﴾ أي في نظام الأحكام ولا شك أن من ذلك العدل : الملك بالرق وغيره من أحكام القرآن .

(٥) القصاص

وهذا الحكم من هدي القرآن للتي هي أقوم ، فإن الإنسان إذا غضب وهم بأن يقتل إنساناً آخر فتذكر أنه إن قتله قُتل به ، خاف العاقبة فترك القتل ، فحي ذلك الذي كان يريد قتله ، وحي هو لأنه لم يقتل فيقتل قصاصاً ، فقتل القاتل يحيا به مالا يعلمه إلا الله كثرة .

قال تعالى : ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾ (البقرة : 179) ولا شك أن هذا من أعدل الطرق وأقومها ، ولذلك يُشاهد في أقطار الدنيا

قديمًا وحديثاً قلة وقوع القتل في البلاد التي تُحكم بكتاب الله ، لأن القصاص رادع عن جريمة القتل .

ومايزعمه أعداء الإسلام من أن القصاص غير مطابق للحكمة لأن فيه إقلال عدد المجتمع بقتل إنسان بعد أن مات الأول وأنه ينبغي أن يعافب بغير القتل فيحبس وقد يولد له في الحبس فيزيد المجتمع ، كلام ساقط عار من الحكمة لأن الحبس لا يروع الناس عن القتل فإذا لم تكن العقوبة رادعة فإن السفهاء يكثر منهم القتل فيتضاعف نقص المجتمع بكثرة القتل وأصحاب الشفقة الكاذبة اليوم على الجناة والقتلة ينبغي أن ينظروا نفس النظرة تجاه المجني عليهم إقامة للحق والعدل .

(٦) قطع يد السارق

وهذا الحكم أيضاً من هدي القرآن للتي هي أسد وأعدل قال تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴾ (المائدة: ٣٨) .

وقال النبي ﷺ: « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .
وجمهور العلماء على أن القطع من الكوع ، وأنها اليمنى فإن سرق ثانياً قُطعت رجله اليسرى ثم إن سرق فيده اليسرى ، ثم إن سرق فرجله اليمنى ثم يعزر .
وقيل يقتل ، كما جاء في الحديث : « ولا قطع إلا في ربع دينار أو قيمته أو ثلاثة دراهم » وليس قصدنا هنا تفصيل أحكام السرقة وشروط القطع كالنصاب والإخراج من حرز ولكن مرادنا أن نبين أن قطع يد السارق من هدي القرآن للتي هي أقوم .

وذلك أن هذه اليد الخبيثة الخائنة التي خلقها الله لتبطش تكتسب في كل ما يرضيه من امتثال أوامره واجتناب نهيه ، والمشاركة في بناء المجتمع الإنساني فمدت أصابعها الخائنة إلى مال الغير لتأخذه بغير حق واستعملت قوة البطش المودعة فيها في المجتمع إذ لانظام له بغير المال فعاقبها خالقها بالقطع والإزالة ، كالعضو الفاسد

الذي يجرد الداء بسائر البدن ، فإنه يزال بالكلية ، إبقاء على البدن ، وتطهيراً له من المرض لذلك فإن قطع اليد يطهر السارق من دنس ذنب ارتكاب معصية السرقة مع الردع البالغ بالقطع عن السرقة .

قال البخاري في صحيحه : « باب الحدود كفارة » وساق حديث عبادة بن الصامت وفيه : « ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارته » .

وقطع يد السارق كان معروفاً في الجاهلية فأقره الإسلام وقد اعترض بعض الملحدين الذين لا يؤمنون بالله ورسوله فقالوا : كيف تُقطع يد فيها نصف الدية (أي خمسمائة دينار) في مقابلة ربع دينار ؟ وماوجه العدالة والإنصاف في ذلك وقد رد البعض بقوله

عز الأمانة أغلاها ، وأرخصها ذل الخيانة ، فافهم حكمة الباري .

وقال بعضهم : لما خانت هانت ، وقال الفخر الرازي : ثم إننا أجبنا عن هذا الطعن بأن الشرع إنما قطع يده بسبب أنه تحمل الدناءة والخساسة في سرقة ذلك القدر القليل فلا يبعد أن يعاقبه الشرع بسبب تلك الدناءة هذه العقوبة العظيمة أهـ .

وقد جعل الشرع قطع يد السارق في السرقة خاصة دون غيرها من الجنايات على الأموال كالغصب والإنتهاب ونحو ذلك وذلك لأن هذه الجنايات قليلة بالنسبة إلى السرقة ولأن الأمر الظاهر غالباً توجد البينة عليه بخلاف السرقة فإن السارق إنما يسرق خفية بحيث لا يطلع عليه أحد فيعسر الإنصاف منه فغلظت عليه الجناية ليكون أبلغ في الزجر والعلم عند الله تعالى .

(٧) رجم الزاني المحصن و جلد البكر

من هدي القرآن للتي هي أقوم : رجم الزاني المحصن ذكراً كان أو أنثى ، و جلد الزاني البكر مائة جلدة ذكراً كان أم أنثى وحكم الرجم موجود في التوراة وهوثابت بالكتاب والسنة . ويدل على ذلك قول عمر رضي الله عنه في حديثه الصحيح المشهور : « فكان مما أنزل إليه آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، ورجم

رسول الله ﷺ ورجمنا بعده » الحديث .

والمحددون يقولون : إن الرجم قتل وحشي لايناسب الحكمة التشريعية ولاينبغي أن يكون مثله في الأنظمة التي يُعامل بها الإنسان لقصور إدراكهم عن فهم حكم الله البالغة في تشريعه .

والحاصل : أن الرجم عقوبة سماوية معقولة المعنى ، لأن الزاني لما أدخل فرجه في فرج امرأة على وجه الخيانة والغدر فإنه ارتكب أخس جريمة عرفها الإنسان بهتك الأعراس ، وتقذير الحرمات والسعي في ضياع أنساب المجتمع الإنساني والمرأة التي تطاوعه في ذلك مثله .

ومن كان كذلك فهو نجس قذر لا يصلح للمصاحبة ، فعاقبه خالقه الحكيم الخبير بالقتل ليدفع شره البالغ غاية الخبث والخسة ، وشر أمثاله عن المجتمع ويطهره هو من التنجيس بتلك القاذورات التي ارتكب وجعل قتلته أفظع قتلة لأن جريمته أفظع جريمة والجزاء من جنس العمل .

وشدة قبح الزنى أمر مركز في الطبائع وقد قالت هند بنت عتبة وهي كافرة : ما أقبح ذلك الفعل حلالاً فكيف به وهو حرام . وغلظ جل وعلا عقوبة المحصن بالرجم تغليظ أشد من تغليظ عقوبة البكر بمائة جلدة ، لأن المحصن قد ذاق عسيلة النساء ، ومن كان كذلك يعسر عليه الصبر عنهن ، فلما كان الداعى إلى الزنا أعظم كان الردع عنه أعظم وهو الرجم .

وأما جلد الزاني البكر ذكر كان أو أنثى مائة جلدة فذلك لقوله تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ (النور : ٢) لأن هذه العقوبة تردعه وأمثاله عن الزنى وتطهره من ذنبه ومن هذا يتبين لك أن من أقوم الطرق معاقبة فطبع الجناية بعظيم العقاب جزاء وفاقاً .

(٨) التقدم لا ينافي التمسك بالدين

خيّل أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي إلى الإسلام ، أن التقدم لا يمكن إلا بالانسلاخ من دين الإسلام وهذا باطل لأساس له فالقرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين ولكن ذلك التقدم في حدود الدين والتحلي بأدابه الكريمة وتعاليمه السماوية .

قال تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ .

فهو أمر جازم بإعداد كل ما في الإستطاعة من قوة ولو بلغت القوة من التطور ما بلغت فهو أمر جازم بمسيرة التطور في الأمور الدنيوية ، وعدم الجمود على الحالات الأولى إذا طرأ تطور جديد ولكن كل ذلك مع التمسك بالدين .

ولابد من التفريق بين العبادات والمعاملات ، فالعبادات الأصل فيها التوقيف أي أنها تؤخذ دون زيادة أو نقصان سواء كنا في العصر الأول أو في القرن العشرين .

أما المعاملات فالأصل فيها الإباحة إذا روعيت ضوابطها الكلية ، مثل لا ضرر ولا ضرار ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ (النساء : ٥٨) فلا حرج في صناعة طائرة أو صاروخ أو إنشاء ملجأ أو مستشفى والوسائل العصرية لها حكم الغايات وهي لما استخدمت له ، فإن استخدمت في أمر صالح فهي صالحة وإن استخدمت في أمر فاسد فهي فاسدة .

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ولذلك نقول : إن النسبة بين التمسك بالدين والتقدم كالنسبة بين الملزوم ولازمه ، لأن التمسك بالدين ملزوم للتقدم ، بمعنى أنه يلزم عليه التقدم كما صرحت بذلك النصوص .

فانظر كيف خيلوا لضعاف النفوس أن الربط بين الملزوم ولازمه كالتنافي الذي بين النقيضين والضدين وأطاعوهم في ذلك لسذاجتهم وجهلهم وعمى بصائرهم فهم ماتقولوا على الدين الإسلامي ورموه بما هو بريء منه إلا لينفروا منه ضعاف

العقول ممن ينتمي للإسلام ليتمكنهم الإستيلاء عليهم لأنهم لو عرفوا الدين حقاً واتبعوه لفعلوا بهم ما فعل أسلافهم بأسلافهم ، فالدين هو هو وصلته بالله هي هي ولكن المتسبين إليه في جل أقطار الدنيا تنكروا له ، ونظروا إليه بعين المقت والإزدراء فجعلهم الله أرقاء للكفرة الفجرة ولو راجعوا دينهم لرجع لهم عزهم ومجدهم وقادوا جميع أهل الأرض وهذا مما لاشك فيه .

﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلوا بعضهم ببعض ﴾ .

(٩) اتباع التشريع المخالف كفر بواجب

ذكرنا أن القرآن شريعة مستقلة كالتوراة ، وذلك بعكس الإنجيل ، كما ذكرنا أيضاً أن الدين واحد وإنما تعددت الشرائع وشريعة الإسلام حاکمة ومهيمنة على سائر الشرائع وقول البعض كيف تطبقون الشريعة الإسلامية في دولة يسكنها اليهود والنصارى بالإضافة للمسلمين ، يدل على جهل بالشرع والواقع ، فالنصارى لا يأنفون من تطبيق الشريعة عليهم في الموارث وغيرها ، ولا ينبغي لهم أن يأنفوا ، إذ لا شريعة لديهم .

ومن المعلوم أن كل بلد تطبق نظامها ودستورها على كل رعاياها ، فكيف لانطبق تشريع الخالق العليم الحكيم على خلقه !!! والعجب ممن يحكم غير تشريع الله ثم يدعى الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ (النساء : ٦٠) وقال : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (المائدة : ٤٤) وقال : ﴿ أغير الله أبتغى حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾ (الأنعام : ١١٤) .

فمن هدي القرآن للتي هي أقوم بيانه أن كل من اتبع تشريعاً غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فاتباعه لذلك

التشريع المخالف كفر بواح ، مخرج من الملة الإسلامية ، فطاعة شياطين الإنس والجن في تشريعهم المخالف للوحي عبادة لهم من دون الله .

قال تعالى : ﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً ﴾ (النساء : ١١٧) .
وقال عن خليله ﴿ يَأْتِ لَاتَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾ أي بطاعته في الكفر والمعاصي ولما سأل عدي بن حاتم النبي ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً ﴾ (التوبة : ٣١) الآية بين له أن معنى ذلك أنهم أطاعوهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم والآيات بمثل هذا كثيرة .

(١٠) الرابطة بين أفراد المجتمع هي الإسلام لا شئ سواه

من هدي القرآن للتي هي أقوم ، هديه إلى أن الرابطة التي يجب أن يعتقد أنها هي التي تربط بين أفراد المجتمع وأن ينادي بالارتباط بها دون غيرها إنما هي دين الإسلام لأنه هو الذي يربط بين أفراد المجتمع حتى يصير بقوة تلك الرابطة جميع المجتمع الإسلامي كأنه جسد واحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

فربط الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمعصمك ورجلك بساقك كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ : « إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

هذه الرابطة هي التي جعلت أبا الإنسان كنفسه ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ (البقرة : ٨٤) وثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ومما يدل على أن الرابطة الحقيقية هي الدين وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية قوله تعالى : ﴿ لا تجحد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ وقوله : ﴿ إنما المؤمنون إخوة

فأصلحوا بين أخويكم ﴿ .

فهذه الآيات ومثلها تدل على أن النداء برابطة أخرى غير الإسلام لا يجوز ولاخلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض وتربط بين أهل الأرض والسماء هي رابطة « لا إله إلا الله » فلا يجوز البتة النداء برابطة غيرها .

ومن وإلى الكفار بالروابط النسبية وغيرها محبة لهم، ورغبة فيهم يدخل في قوله تعالى: ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ (المائدة : ٥١) .
وقوله تعالى: ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ .

روابط مشبوهة

ما أكثر الدعوات الخبيثة الهدامة المرفوعة كالقومية والوطنية والإنسانية وزمالة الأديان التي يروج لها الكفار لتكون بمثابة رايات يتكتل تحتها أبناء المسلمين بدلاً من الراية الإسلامية ، حتى تكون الموالاتة والمعاداة والقتال والمسألة لأجلها ، والكفار قاتلهم الله - لم يقتصروا على راية واحدة يرفعونها للمسلمين بدل إسلامهم ولم يقتصروا على خطة واحدة بل كثرت خططهم وشعاراتهم وراياتهم وذلك من باب تكثير السهام على الفريسة فإن أخطأها الأول أو العاشر لم يخطئها العشرون أو الثلاثون والذي لا تروق له القومية تجذبه شبك الوطنية أو الإنسانية أو زمالة الأديان أو الإشتراكية وهكذا ، ولاينجو منهم إلا من اعتصم بالكتاب والسنة .

(١) القومية (١)

روى البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :

« كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري :

يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فسمعها رسول الله ﷺ فقال : ما هذا

؟ فقالوا : كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري :

يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فقال النبي ﷺ :

« دعوها فإنها متنته » الحديث فقول هذا الأنصاري : يا للأنصار ، وهذا

المهاجري يا : للمهاجرين ، هو النداء بالقومية العصبية بعينه . ، وقول النبي ﷺ :

« دعوها فإنها متنته » يقتضي وجوب ترك النداء بها ، وحسبك بالنتن موجباً

للتباعد لدلالته على الخبث البالغ .

فدل هذا الحديث الصحيح على أن في النداء برابطة القومية مخالفة لما أمر به

النبي ﷺ ، وأن فاعله يتعاطى المنتن وفي بعض روايات الحديث : « ما بال دعوى

الجاهلية » فإذا صح بذلك أن الدعوة للقومية من دعوى الجاهلية فقد صح

عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا

بدعوى الجاهلية » .

واعلم أن رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية : أبو جهل وأبولهب

والوليد بن المغيرة ، ونظراؤهم من رؤساء الكفرة ، وقد بين الله تعالى تعصبهم

لقوميتهم في آيات كثيرة كقوله : ﴿ قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ .

وقد علم في التاريخ حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعده كما لا يخفى وقد

بين الله جل وعلا في محكم كتابه أن الحكمة في جعله بني آدم شعوباً وقبائل هي

التعارف بينهم وليست هي أن يتعصب كل شعب على غيره ، وكل قبيلة على غيرها

١- راجع اضواء البيان ج(٣) ص ٤٠١-٤٠٢ . نقد القومية العربية (لابن باز) - أهمية الجهاد ٣٩٨-٤١٠ .

قال جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ولا ننكر أن المسلم ربما انتفع بروابط نسبية لامت إلى الإسلام بصلة ، كما نفع الله نبيه ﷺ بعمه أبي طالب ، وقد نفع الله بتلك العصبية النسبية شعبياً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

قال تعالى: ﴿ قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول ، وانا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك ﴾ الآية

وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » فيلزم الناظر في هذه المسألة أن يفرق بين الأمرين ، ويعلم أن النداء بروابط القوميات لا يجوز على كل حال ، ولا سيما إذا كان القصد بذلك القضاء على رابطة الإسلام ، وإزالتها بالكلية بدعوى أنه لا يسير التطور الجديد ، أو أنه جمود وتأخر عن مسيرة ركب الحضارة ، نعوذ بالله من طمس البصيرة .

وأن منع النداء بروابط القوميات لا ينافي أنه ربما انتفع المسلم بنصرة قريبه الكافر بسبب العواطف النسبية والأواصر العصبية التي لامت إلى الإسلام بصلة ، وذلك لأنها تشمل المسلم والكافر .

ومعلوم أن المسلم عدو الكافر كما قال تعالى: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ (المجادلة : ٢٢).

وفي الحديث : « من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية » رواه مسلم .

ومن يطلع على نشأة القومية العربية والعوامل المؤثرة في نشأتها ، وعلى تصريح دعائها يدرك خطورة الكيد الذي يمارس لتحريف دين المسلمين كما حرفت اليهودية والنصرانية من قبل .

يقول جورج كيرك مؤلف كتاب « موجز تاريخ الشرق الأوسط »: إن القومية العربية ولدت في دار المندوب السامي البريطاني !!! ، والحاصل : أن الرابطة

الحقيقية التي تجمع المفترق وتؤلف المختلف هي رابطة « لا إله إلا الله » .
ألا ترى أن هذه الرابطة التي تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد ،
وتجعله كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، عطفت قلوب حملة العرش ومن حوله من
الملائكة على بني آدم في الأرض مع ما بينهم من الإختلاف .

وقد قال سبحانه عن أبي لهب عم النبي ﷺ ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾
(المسد : ٣) ، ويقابل ذلك بما لسلمان الفارسي من الفضل والمكانة ، فقد روى
عن النبي ﷺ أنه قال فيه : « سلمان منا أهل البيت » رواه الطبراني والحاكم في
المستدرک وقد اختلف في تصحيحه ، وقد أجاد من قال :

لقد رفع الإسلام سلمان فارس
وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب .
وقد أجمع العلماء على أن الرجل إن مات وليس له من الأقارب إلا ابن كافر أن
إرثه يكون للمسلمين بإخوة الإسلام ، ولا يكون لولده لصلبه الذي هو كافر ،
والميراث دليل القرابة ، فدل ذلك على أن الأخوة الدينية أقرب من البنوة النسبية .

(٢) الوطنية (١)

الوطنية هي تقديس الوطن بحيث يصير الحب فيه والبغض لأجله والقتال من أجله وإنفاق الأموال من أجله حتى يطفى على الدين وحتى تحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية .

فالوطنيون يحبون أبناء وطنهم وإن كانوا على غير ملتهم أكثر من محبتهم لمن كانوا على ملتهم إذا لم يكونوا في وطنهم ، بل قد يصل الأمر بالوطنيين إلى اجتماعهم على محاربة المسلمين مع الكفار لأن الكفار من أبناء وطنهم !!
فالوطنية على هذا النحو بضاعة مستوردة كغيرها من المستوردات وما أكثرها ، يقول الأستاذ محمد قطب عن هدف تصدير الكفار لشعار الوطنية إلى الأمة الإسلامية مايلي :

« وقد كانت دعاوى الوطنية والقومية المصدرة عن عمد إلى العالم الإسلامي من بين وسائل الغزو الفكري الذي استخدمه الصليبيون المحدثون في الغارة على العالم الإسلامي كما سمي شاتيليه كتابه السالف الذكر .

ومن المقولات الفاجرة المستخدمة لترويج دعوة الوطنية ، الدين لله والوطن للجميع فكان التراب بمقتضاها أهم على صاحبها من دينه ، ومن المعلوم أنه لاخير في وطن بلا دين .

(٣) الإنسانية

الدعوة إلى الإنسانية هي نتاج يهودي ، وذلك لأن اليهود يعتبرون جميع الأجناس البشرية من غير اليهود هم الحمير التي خلقها الله ليركبها الشعب اليهودي المختار ، وهم يخططون لإقامة مملكة عالمية يحكمها يهودي من نسل داود ، وكان من تخطيطهم الخبيث أن انقسموا فريقين ، فريقاً ساعد على إنجاح الثورة الفرنسية التي

١ - اقتبست الكلام عن الوطنية والإنسانية وزمالة الأديان من كتاب « أهمية الجهاد » لعلي بن نفيح العلياني باختصار وشئ من التصرف

يسير على مبادئها العالم الرأسمالي أوروبا وأمريكا ومن يسير في فلكنهم ، وفريقاً أشعل الثورة الشيوعية التي تشمل روسيا والصين ومن يسير في فلكنهم .

تقول البروتوكولات : « كنا أول من اخترع كلما الحرية والمساواة والإخاء (وهي مبادئ الثورة الفرنسية التي تبتتها الشعوب الغربية على أساس أنها أم المبادئ التحررية في العالم !!!) التي أخذ العميان يرددونها في كل مكان دون تفكير أو وعي وهي كلمات جوفاء لم تلحظ الشعوب الجاهلة مدى الإختلاف بل التناقض الذي يشيع في مدلولها .

إن شعار الحرية والمساواة والإخاء الذي أطلقناه قد جلب لنا أعواناً من جميع أنحاء الدنيا وأساءت هذه الكلمات إلى الرخاء السائد لدى المسيحيين وحطمت سلمهم ووحدتهم (البرتوكول الأول) .

إن المبادئ الإنسانية التي رفعتها الثورة الفرنسية ، عبارة عن كلمات مطاطة ، بلا ضابط ولا رابط فالحرية قد تصل إلى الفوضى العارمة ، والمساواة كما هي موجودة في الدول الشيوعية عبارة عن ظلم وبغي وتحقير لإنسانية الإنسان والأخوة المذكورة لاندرى أتم على أساس عقائدي أم فكري أم سياسي أم اقتصادي أم اجتماعي . فإذا انتقلنا إلى الثورة الشيوعية ، علمنا كيف نفذ اليهود بسمومهم عن طريق هذا المسمى هنا وهناك .

يقول الحاخام لويبرونس عن مؤسس العقيدة والفكر الماركسي (إن كارل ماركس حفيد للحاخام مردخاي . ماركسياً كان في روحه وفي اجتهاده وعمله ونشاطه وكل ما قام به وأعد له فكراً وأسلوباً ، أشد إخلاصاً لإسرائيل من الكثيرين ممن يتشددون اليوم بأدوارهم في مولد الدولة اليهودية » (لعبة اليمين واليسار) . وقد كانت العقيدة والفكرة الماركسية هي إحدى الأعمدة الأساسية في عملية التضليل العقائدي والفكري للشعوب والتي شارك فيها دارون ، وفرويد ودوركايم وماركس ونيتشة وسارتر وذلك بمعونة الإعلام اليهودي الذي رعى هذه الأفكار

وروجتها الشيوعية وليدة الماسونية أو على الأقل تربطهما صلة القربى الوثيقة عن طريق الأمم اليهودية العالمية .

لقد ابتكر اليهود الدعوة إلى الإنسانية الواحدة ، ونجحوا إلى حد كبير في صرف المسلمين عن عقيدتهم التي تأمرهم بمحبة المؤمن وموالاته ومناصرته وبغض الكافر ومعاداته ومناذته ، وأرادوا لهم أن يتعاملوا مع غيرهم على أساس الرابطة الإنسانية بغض النظر عن العقيدة والدين وسخروا ما يملكون من وسائل لتحقيق هذا الهدف ومن أهم هذه الوسائل الجمعيات الماسونية ووسائل الإعلام والمنظمات الدولية .

إن الدعوة إلى أن يعيش الإنسان مع أخيه الإنسان ويحبه ويمد يده إليه ولا يجاهده لأجل عقيدته دعوة ماسونية^(١) تهدف إلى إسقاط الجهاد وعقيدة الولاء والبراء .

إن المسلم أمره الله أن يتعامل مع البشر على أساس الرابطة الدينية فالإنسان إما مهتد وإما ضال كافر ، والمسلم صديق للمهتدي عدو للكافر هذا من ناحية الولاء القلبي والمحبة .

أما تعامل البيع والشراء فلا يدخل في هذا بل يبتاع المسلم من أي كافر ويبيع له ما لم يكن محرماً ، ونزید المسألة وضوحاً أثناء كلامنا على حكم التعامل مع أهل الكتاب بإذن الله .

١ - جمعية سرية يهودية هي سبب كثير من البلايا والنكبات ، ويسمونها بالقوة الخفية ، أسسها بادئ الأمر ضد النصارى لتحريف الأناجيل وإفساد عقائد النصارى ، وغاية الماسونية تأسيس جمهوريات علمانية تتخذ الوصولية والنفعية أساساً لها ولها تأثير على كثير من القادة والحكام ورجال الفكر وللماسونية درجات متفاوتة ، ولهم أندية مشل الروتاري والسليبي ونز والانج ساد والت رقي .

(٤) زمالة الأديان

الدعوة إلى زمالة الأديان في هذا العصر دعوة خبيثة تظهر أحياناً بهذا الاسم وأحياناً باسم التقريب بين الأديان وأحياناً باسم جمعيات الصداقة بين الأديان ونحو هذه المسميات .

وجوهرها وهدفها في الحقيقة هو أن يكسب اليهود والنصارى في هذا العصر اعترافاً من المسلمين بصحة دينهم ، وهذا له دور كبير في صد النصارى واليهود عن الدخول في الإسلام .

وذلك لأن كثيراً من النصارى وبعض اليهود متعطشون إلى دين شامل كامل كالإسلام وقد سئموا بما يسمى عندهم بالمسيحية أو اليهودية التي هي من صنع الأحرار والرهبان وليست الدين الصحيح الذي أنزله الله على موسى وعيسى عليهما السلام فإذا سمع هؤلاء تلك الشنينة التي تصدر من أشخاص يطلق عليهم ألقاب علمية ودينية كبيرة المتضمنة لاعترافهم بالدين النصراني والدين اليهودي المحرفين وسمعوا حرص أولئك العلماء الأكابر إلى مد أيديهم إلى دين النصارى واليهود والبحث عن مزالمة بأي ثمن ومحاولة تقريبه من الإسلام خاب ظنهم وقالوا لماذا نتقل إلى الإسلام وهو كديننا الذي نشعر فيه بالنعاسة بل إن ديننا أفضل منه بدلالة حرص أصحابه على تقربنا إليهم ليكسبوا بذلك شرفاً وعزاً .

ثم منهم من يمكث على دينه المنحرف ومنهم من يزهد في الأديان عموماً ويتنقل إلى الشيوعية وما أكثر هذا الصنف الأخير !!! .

وقد نجم عن هذه الدعوة الخبيثة التي يروج لها الخبيثاء أو المغفلون بأن تغير مفهوم الولاء والبراء عند قطاع كبير من المسلمين وظن أن اليهود والنصارى من عداد المؤمنين الناجين يوم القيامة ، وتناسى هؤلاء عن عمد أو جهل قول النبي ﷺ :

« والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » رواه مسلم .

لقد جاور رسول الله ﷺ يهود المدينة سنين طوالاً قبل أن يجلبهم عنها ، جادلوه خلالها وخاصموه ودعاهم بدوره إلى كلمة الإيمان والإسلام ولم يدعهم للتوفيق بين الإسلام واليهودية أو إلى التقريب بينهما ولو علم خيراً أو بعض خير في ذلك لفعله .

وحاج وفد من نجران الرسول ﷺ في النصرانية فدعاه الرسول من ناحية إلى الإسلام ولم يدعه إلى التوفيق بين الإسلام والنصرانية ونزل عليه قوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ . (آل عمران : ٦٤) .

إن الدعوة إلى زمالة الأديان ماهي إلا جزء من الحملة المسعورة على العقيدة الإسلامية لكي تفقد تميزها وصفاءها ونقاءها ولكن الله لأعدائه بالمرصاد وسوف يأتي اليوم الذي يقول فيه الشجر والحجر يامسلم يا عبد الله ورائي يهودي تعال فاقتله ، وعندئذ لاتنفعهم جمعيات الصداقة والتقريب ومؤتمرات الأديان العالمية وعسى أن يكون قريباً .

(١١) هدي القرآن إلى حل المشاكل العالمية

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم ، هديه إلى حل المشاكل العالمية بأقوم الطرق وأعدلها ، وهي من أعظم هذه المشكلات التي يعاني منها العالم الإسلامي في جميع المعمورة .

المشكلة الأولى

ضعف المسلمين

وهذه المشكلة تشكل فتنة لكثير من المسلمين يترتب عليها انصرافهم عن دينهم وإنبهارهم بقوة أعدائهم بل قد يمتنع البعض من الدخول في الإسلام عندما يرى ضعف المسلمين في أقطار الدنيا في العدد والعدد .

وقد هدى القرآن العظيم إلى حل هذه المشكلة بأقوم الطرق وأعدلها ، فبين أن علاج الضعف عن مقاومة الكفار إنما هو بصدق التوجه إلى الله تعالى ، وقوة الإيمان به والتوكل عليه لأن الله قوي عزيز قاهر لكل شئ فمن كان من حزبه على الحقيقة لا يمكن أن يغلبه الكفار ولو بلغوا من القوة ما بلغوا .

ومن أدلة ذلك ما حدث في غزوة الأحزاب ، قال تعالى : ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلوا زلزالاً شديداً ﴾ (الأحزاب : ١٠ ، ١١) وقد عالج المؤمنون هذه المشكلة بصدق الإيمان واليقين .

يقول تعالى : ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾ (الأحزاب : ٢٢) وكان من نتيجة هذا العلاج ما قصه علينا ربنا بقوله : ﴿ ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شئ قديراً ﴾ (الأحزاب : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) وهذا الذي نصرهم الله به على عدوهم ما كانوا يظنونهم ولا يحسبون أنهم ينصرون به وهو الملائكة والريح .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ﴾ (الأحزاب : ٩) وشواهد كثيرة تدل على أن الإخلاص لله وقوة الإيمان به هو السبب لقدرة الضعيف على القوي وغلبته له ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ﴾ (البقرة : ٢٤٩) ، ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ .

المشكلة الثانية

تسليط الكفار على المؤمنين

استشكل الناس قديماً وحديثاً، تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء مع أن المسلمين على الحق والكفار على الباطل، وهذه المشكلة استشكلها كذلك أصحاب النبي ﷺ، فأفتى الله جل وعلا فيها وبين السبب في ذلك بفتوى سماوية تُتلى في كتابه جل وعلا وذلك أنه لما وقع ما وقع بالمسلمين يوم أحد فقتل عم رسول الله ﷺ وابن عمته، ومُثل بهما، وقتل غيرهما من المهاجرين وقتل سبعون رجلاً من الأنصار، وجرح رسول الله ﷺ وشقت شفته، وكسرت رباعيته وشج ﷺ، استشكل المسلمون ذلك وقالوا كيف يدال منا المشركون؟ ونحن على الحق وهو على الباطل؟ فأنزل الله قوله تعالى: ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا . قل هو من عند أنفسكم﴾ (آل عمران : ١٦٥)

وقوله تعالى: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ فيه إجمال بينه تعالى بقوله: ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا - إلى قوله - ليبتليكم﴾ (آل عمران ١٥٢). ففي هذه الفتوى السماوية بيان واضح لأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين وتنازعهم في الأمر وعصيانهم أمره ﷺ وإرادة بعضهم الدنيا مقدماً على أمر رسول الله ﷺ ومن عرف أصل الداء عرف الدواء كما لا يخفى .

المشكلة الثالثة

اختلاف القلوب

وهذا الداء من أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية لإستلزامه الفشل وذهاب القوة والدولة كما قال تعالى: ﴿ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ فترى المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا يضمربعضهم لبعض العداوة والبغضاء، وإن جامل بعضهم بعضاً فإنه لا يخفى على أحد أنها مجاملة، وأن

مانطوي عليه الضمائر مخالف لذلك .

وقد نجحت فيهم سياسات فرق تسد التي استخدمها الأعداء بدهاء شديد فأقصيت الشريعة الإسلامية واستبدلت بنظم وفلسفات ومناهج ، وتم التمكين للعملاء والخونة لدينهم وحوربت الفضيلة ، وأضيفت الهالات حول كل انحراف وفسق وفجور وكان مكر الليل والنهار ، وعلى هذا شب الصغير وهرم الكبير فكيف لا تختلف القلوب وقد بين تعالى في سورة الحشر أن سبب هذا الداء الذي عمت به البلوى إنما هو ضعف العقل ، قال تعالى : ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ﴾ ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله: ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ .

ولاشك أن داء ضعف العقل الذي يصيبه فيضعفه عن إدراك الحقائق ، وتميز الحق من الباطل والنافع من الضار والحسن من القبيح ، لادواء له إلا إنارته بنور الوحي ، لأن نور الوحي يحيا به من كان ميتاً ويضئ الطريق للمتمسك به ، فيريه الحق حقاً والباطل باطلاً ، والنافع نافعاً ، والضار ضاراً .

قال تعالى : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ وقال تعالى : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ .

ومن أخرج من الظلمات إلى النور أبصر الحق لأن ذلك النور يكشف له عن الحقائق فيريه الحق حقاً والباطل باطلاً قال تعالى : ﴿ أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الإيمان يكسب الإنسان حياة بدلاً من الموت الذي كان فيه ، ونوراً بدلاً من الظلمات التي كان فيها وهذا النور يكشف الحقائق كشفاً عظيماً ، فيبصر النفوس بمواضع الأقدام ، وتستعصي على حيل الأعداء وتكون بمقتضاه يداً واحدة على عدو الله وعدوها .

حكم معاملة أهل الكتاب

أولاً : عقد الذمة (١)

شارط عمر أهل الذمة على شروط المسلمين فأتى بها المسلمون بعده ، وقد ذكرها أهل السير وغيرهم .

فروى سفيان الثوري عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم قال : كتبت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام وشروط عليهم فيه أن لا يحدثوا في مدينتهم ولا ما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قنطرة ولا صومعة راهب ولا يجددوا ما حارب ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد المسلمين ثلاث ليالي يطعمونهم ، ولا يؤوا جاسوساً ، ولا يكتموا غشاً للمسلمين ، ولا يعلموا أولادهم القرآن ، ولا يظهروا شركاً ، ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الإسلام إن أرادوا ، وأن يوقروا المسلمين ، وأن يقوموا لهم إذا أرادوا الجلوس ، ولا يتشبهوا بالمسلمين بشئ من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ، ولا نعلين ولا فرق في شعر ، ولا يتسموا بأسماء المسلمين ، ولا يكتنوا بكناهم ، ولا يركبوا سرجاً ولا يتقلدوا سيفاً ، ولا يتخذوا شيئاً من سلاح ، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية ، ولا يبيعوا الخمر ، وأن يجزوا مقدم رؤوسهم ، وأن يلزموا زيارتهم حيث ما كانوا ، وأن يشدوا الزنانيير ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ولا يضربوا الناقوس إلا ضرباً خفيفاً ، ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شئ من حضرة المسلمين ، ولا يخرجوا شعانين ، ولا يرفعوا مع موتاهم أصواتهم ولا يظهروا النيران معهم ، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين .

فإن خالفوا في شئ مما شرطوه ، فلا ذمة لهم وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق « أخرجه أبو داود في سننه .

قال ابن تيمية : ولما كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل الذمة هذه الشروط والتزموها ، أوصى بهم نوابه ومن يأتي بعده من الخلفاء وغيرهم ، وهذا

١ الذمة هي العهد والأمان وعقد الذمة يبرمه الحاكم أو نائبه مع بعض أهل الكتاب أو غيرهم .

هو العدل الذي أمر الله به رسوله ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته عند وفاته : وأوصى الخليفة من بعدي بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم . وهذا امثال لقول النبي ﷺ : « ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه من حقه أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » . رواه أبو داود ، فكان هذا في النصارى الذين أدوا إليه الجزية .

ثم إن عمر بن الخطاب لما فتح الشام وأدوا إليه الجزية عن يد وهم صاغرون أسلم منهم خلق كثير لا يحصي عددهم إلا الله تبارك وتعالى ، فإن العامة والفلاحين وغيرهم كان عامتهم نصارى ، ولم يكن في المسلمين من يعمل فلاحاً ولم يكن للمسلمين في دمشق مسجد يصلون فيه إلا مسجد واحد لقتلتهم ، ثم صار أكثر أهل الشام وغيرهم مسلمين طوعاً لا كرهاً ، فإن إكراه أهل الذمة على الإسلام غير جائز كما قال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ، الله ولي الذين آمنوا يخرجهم الظلمات إلى النور والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ البقرة (٢٥٥ ، ٢٥٧) قال أبو عبيد في كتاب الأموال عن ابن الزبير قال : كتب النبي ﷺ إلى أهل اليمن أنه من أسلم من يهودي أو نصراني ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهودية أو نصرانية ، فإنه لا يفتن عنها وعليه الجزية » (١) قال ابن شهاب : أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران فيما بلغنا ، وكانوا نصارى .

١- الجزية : مبلغ من المال يوضع على من دخل في ذمة المسلمين وعهدهم من أهل الكتاب .

حقوق أهل الذمة

ذكر عبد الله ناصح علوان في كتابه « حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية » الحقوق التي فرضها الإسلام لأهل الذمة تحت ظل دولته وسلطانه فقال :

١- يجب الكفّ عن قتالهم إذا جنحوا للسلم ودفَعوا الجزية لقوله تعالى : ﴿ حتى يعطوا الجزية عن يد وهو صاغرون ﴾ (التوبة : ٢٩).

ولحديث: « فادعهم إلى أداء الجزية ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم » .

٢- يجب المحافظة على أموالهم ، ودمائهم ، وأعراضهم

جاء في «نصب الرأية» عن علي كرم الله وجهه : (١)

« وإنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ، ودمائهم كدمائنا » وجاء في شرح

البخاري للعيني : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال :

« من قتل معاهداً (أي ذمياً) بغير حق لم يُرَحَ رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد

من مسيرة أربعين عاماً » .

٣- يجب أن يتركوا أحراراً في معابدهم وأحوالهم الشخصية جاء في

معاهدة عمر رضي الله عنه لأهل فلسطين مايلي : « هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين

أهل إيليا من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم

لا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم » .

٤- يجب أن يعطوا من الحقوق العامة ما يُعطى للمسلمين سواء بسواء وكنموذج

لمعرفة حقوق الذميين الناتجة من عقد الذمة نذكر جانباً مما جاء في كتاب النبي ﷺ

لأهل نجران كما جاء في كتابي « فتوح البلدان » و« الخراج » :

(ولنجران ولحاشيتها جوار الله وذمة محمد ﷺ على أموالهم وأنفسهم

وأرضهم ، وملتهم ، وغائبهم ، وشاهدتهم ، وعشيرتهم ، وبيعتهم ، وكل ماتحت

أيديهم من قليل أو كثير لانغير أسقف من أساقفتهم ولا راهب من رهبانهم

١- الأولى أن يقال : رضي الله عنه فشان علي في ذلك كشأن سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

ولا يحشرون ولا يعشرون ، ولا يطاء أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقاً فيبينهم
النّصفُ (العدل) غير ظالمين ولا مظلومين .

٥- يجب حمايتهم من كل اعتداء ، ورفع الظلم عنهم والدفاع عن أنفسهم
وأموالهم، وساق وصية عمر للخليفة من بعده بالوفاء لهم ، والقتال من ورائهم وألا
يكلفهم فوق طاقتهم .

كما ذكر حديث أبي داود في نهى النبي ﷺ عن ظلمهم ، وذكر السماح معهم
في أخذ الجزية وكيف أنه تسقط بالعمى ، والزمانة المرضية ، والعجز الدائم
والشيخوخة ، ولا تضرب الجزية على نساء أهل الكتاب ، ولا على صبيانهم حتى
يبلغوا ، ولا على عبيدهم ومجانينهم ، وأصحاب الصوامع من الرهبان

وأنها تسقط عن الذمي إذا أسلم ، لما روى الإمام أحمد وأبو داود « ليس على
من أسلم جزية » وهذا مجمع عليه لدى الفقهاء

تلكم أهم الحقوق التي أعطاها الإسلام لمن يعيش تحت ظلال الدولة الإسلامية
من أهل الكتابين اليهود والنصارى ، وهي حقوق عظيمة ضخمة لا يمكن أن يجدها
في أي دين سماوي ^(١) ، أو نظام أرضي أو قانون دولي .

ما ينتقض به العقد

القاعدة العامة التي رآها الفقهاء في التعامل مع أهل الذمة : أن لهم مالنا ،
وعليهم ما علينا .

وبمقتضى عقد الذمة لا يجوز لهم أن يتصرفوا تصرفاً لا يتفق مع تعاليم الإسلام ،
كعقد الربا ، وغيره من العقود المحرمة ، كما تقام عليهم الحدود متى فعلوا
ما يوجب ذلك .

وقد ثبت أن النبي ﷺ رجم يهوديين زنيا بعد إحصانهما ، أما ما يتصل بعقائدهم

١- دين الله واحد من لدن آدم حتى رسول الله ﷺ «إن الدين عند الله الإسلام» وإنما تعددت الشرائع كما ذكرنا ،
أما الأديان الباطلة فهي كثيرة .

وعبادتهم داخل كنائسهم ومايتصل بزواجهم وطلاقهم وماشابه ذلك ، فلهم فيها الحرية تبعاً للقاعدة الفقهية المقررة « اتركوهم ومايدينون » وإن تحاكموا إلينا فلنا أن نحكم لهم بمقتضى الإسلام أو نرفض ذلك لقوله تعالى :

﴿ فَإِنْ جَاؤَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ ، وَإِنْ تَعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّكَ شَيْئاً ، وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (المائدة : ٤٢) .

وكما يجوز هذا العقد لمن يريد أن يعيش مع المسلمين وتحت ظلال الإسلام فإنه يجوز للمستقلين في أماكنهم بعيداً عن المسلمين فقد عقد رسول الله ﷺ مع نصارى نجران عقداً ، مع بقائهم في أماكنهم ، وإقامتهم في ديارهم ، وهكذا فأنت ترى أنه عقد بين طرفين يجب الوفاء به .

وقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما : كان آخر ما تكلم به النبي ﷺ أن قال : « احفظوني في ذمتي » فإذا امتنع أهل الذمة عن الجزية^(١) ، أو رفضوا التزام حكم الإسلام ، أو تعدوا على مسلم بقتل ، أو يفتنه عن دينه ، أو زنا الذمي بمسلمة ، أو أصابها بزواج ، أو عملَ عمل قوم لوط ، أو قطع الطريق ، أو تجسس ، أو أوى جاسوساً ، أو ذكر الله ورسوله أو كتابه أو دينه بسوء ، فإن هذا ضرر يعم المسلمين في أنفسهم ، وأعراضهم وأموالهم ، وأخلاقهم ، ودينهم وينتقض بذلك عقد الذمة .

قيل لابن عمر رضي الله عنهما : « إن راهباً يشتم النبي ﷺ فقال : لو سمعته لقتلته ، إن لم نعطه الأمان على هذا » .

وكذا إذا لحق بدار الحرب ، بخلاف ما إذا أظهر منكراً ، أو قذف مسلماً ، فإن عهده لا ينتقض ، وإذا انتقض عهده ، فإن عهد نسائه وأولاده لا ينتقض ، لأن النقض حدث منه فيختص به ، وإذا انتقض عهده ، كان حكمه حكم الأسير ، فإن أسلم حرّم قتله ، لأن الإسلام يجب ما قبله .

١- راجع فقه السنة ج (١١) ١٦٠ .

ثانياً : المستأمن

إذا طلب الأمان أي فرد من الأعداء المحاربين قُبِلَ منه ، وصار بذلك آمناً ، لا يجوز الإعتداء عليه بأي وجه من الوجوه قال تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ (التوبة : ٦).

وهذا الحق ثابت للرجال والنساء والأحرار والعبيد ، فمن حق أي فرد من هؤلاء أن يؤمنَ أيَّ فرد من الأعداء يطلب الأمان ، ولا يُمنع من هذا الحق أحد من المسلمين إلا الصبيان والمجانين ، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال :
« قد أجرنا (آمناً) من أجزت يأمن هانئ » رواه البخاري .

وفي الحديث : « ذمة المسلمين واحدة ، يسعى بها أدناهم ، وهم يدٌ على من سواهم » . رواه أحمد وأبو داود وغيرهما .

وإذا تقرر الأمان بالعبرة أو الإشارة حرُمُ الغدر والإعتداء على المؤمن ، فقد روى البخاري في التاريخ والنسائي عن النبي ﷺ قال :
« من آمنَ رجلاً على دمه فقتله ، فأنا بريء من القاتل ، وإن كان المقتول كافراً »
وروى البخاري ومسلم وأحمد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« لكل غادر لواء يُعرف به يوم القيامة ، ويصير المؤمنُ من أهل الذمة ، ولا يجوز إلغاء أمانه إلا إذا ثبت أنه أراد أن يستغل هذا الحق في إيقاع الضرر بالمسلمين ، كأن يكون جاسوساً لقومه على المسلمين .

وقد ذكر صديق حسن خان في «الروضة الندية» (٤٠٨) مانصه :

« إنما يصح الأمان من آحاد المسلمين إذا أمن واحداً أو اثنين ، فأما عقد الأمان لأهل ناحية على العموم فلا يصح إلا من الإمام على سبيل الإجتهد ، وتحري المصلحة كعقد الذمة ولو جعل ذلك لآحاد الناس صار ذريعة إلي إبطال الجهاد »
والرسول مثل المؤمن سواء أكان يحمل الرسائل أو يمشي بين الفريقين المتقاتلين

بالصلح ، أو يحاول وقف القتال لفترة يتيسر فيها نقل الجرحى والقَتلى لقول النبي ﷺ لرسولي مسيلمة :

« لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما » رواه أحمد وأبو داود .

والمستأمن إذا قصر الإقامة بصفة دائمة ، فإنه يتحول إلى ذمي ويكون له حكمه ويتبعه في الأمان ، ويلحق به زوجته وأبناؤه الذكور القاصرون والبنات جميعاً ، والأم والجدات والخدم ، ماداموا يعيشون مع الحربي الذي أعطى الأمان ، وإذا دخل الحربي دار الإسلام بأمان ، كان له حق المحافظة على نفسه وماله وسائر حقوقه ومصالحه ، مادام متمسكاً بعقد الأمان ، فإذا عاد إلى دار الحرب بطل الأمان بالنسبة لنفسه ويبقى بالنسبة لماله .

قال ابن قدامة في «المغني» « إذا دخل حربي دار الإسلام بأمان فأودع ماله مسلماً أو ذمياً ، أو أقرضهما إياه ، ثم عاد إلى دار الحرب ، نظرنا ، فإن دخل تاجراً أو رسولاً متنزهاً أو لحاجة يقضيها ، ثم يعود إلى دار الإسلام ، فهو على أمانه في نفسه وماله لأنه لم يخرج بذلك عن نية الإقامة في دار الإسلام ، فأشبهه الذمي لذلك .

وإن دخل دار الحرب مستوطناً ، بطل الأمان في نفسه ، وبقي في ماله ، لأنه بدخوله دار الإسلام بأمان ثبت الأمان لماله فإذا بطل الأمان في نفسه بدخوله دار الحرب بقي في ماله لإختصاص المبطل بنفسه ، فيختص البطلان به » وتطبق على المستأمن القوانين الإسلامية ويمنع من التعامل بالربا ، وتُطبق عليه العقوبات الإسلامية إذا أتى ما يوجب ذلك ويصادر ماله إذا حارب المسلمين ، فإذا مات المستأمن في دار الإسلام ، أو في دار الحرب فإن ملكيته لماله لاتذهب عنه ، وتنتقل إلى ورثته ، وهذا قول جمهور العلماء .

ثالثاً : الولاء والبواء في الإسلام

من أصول العقيدة الإسلامية ، أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة ، أن يوالي أهلها ويعادي أعدائها ، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم ، ويبغض أهل الأشراك ويعاديهم وذلك من ملة إبراهيم ، قال تعالى :

﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا براء آؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ (المتحنة : ٤) .

وقال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (المائدة : ٥١) .
وقال جلا وعلا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾ (المتحنة : ١) .
بل لقد حرم الله موالة الكافرين ولو كانوا من أقرب الناس إلينا نسباً فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾ (التوبة : ٢٣) .

وقال : ﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ (المجادلة : ٢٢) .
وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، إلتفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر ، واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل ، ومن مظاهر موالة الكفار : (١)

١ - التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرها لقول النبي ﷺ :

« من تشبه بقوم فهو منهم » فيحرم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم من عاداتهم وعباداتهم وسمتهم وأخلاقهم كحلق الرأس وإطالة الشوارب ، والرطانة

١ - راجع رسالة الولاء والبراء لصالح بن فوزان .

بلغتهم إلا عند الحاجة ، وفي هيئة اللباس والأكل والشرب وغير ذلك .
 ٢- الإقامة في بلادهم ، وعدم الإنتقال منها إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين
 ومستثنى من ذلك المستضعفون ، الذين لا يستطيعون الهجرة ، وكذلك من كان في
 إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم ، قال تعالى :
 ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيما كنتم ، قالوا كنا مستضعفين
 فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم
 وساءت مصيراً ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة
 ولا يهتدون سبيلاً ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ﴾ .
 (النساء : ٩٧ - ٩٨) .

٣- السفر لبلادهم لغرض التنزه ومتعة النفس ، فلو وجدت ضرورة كالعلاج
 والتجارة والتعليم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم
 ، فيجوز بقدر الحاجة وإذا انتهت الحاجة وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين ،
 ويشترط كذلك لجواز هذا السفر أن يكون مظهراً لدينه معتزلاً بإسلامه مبتعداً عن
 مواطن الشر ، حذراً من دسائس الأعداء ومكائدهم ، وكذلك يجوز السفر أو يجب
 إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام .

٤- إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذب عنهم ، وهذا من نواقض
 الإسلام وأسباب الردة- نعوذ بالله من ذلك .

٥- الإستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين
 واتخاذهم بطانة ومستشارين قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من
 دونكم لا يألونكم خبلاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم
 أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ، هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون
 بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا
 بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴾ (آل عمران : ١١٨- ١١٩) .

وروى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قلت لعمر رضي الله عنه : لي كاتب نصراني قال : مالك قاتلك الله ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (المائدة : ٥١) ألا اتخذت حنيفاً ، قلت : يا أمير المؤمنين . لي كتابته وله دينه قال : لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله . وقد روى الإمام أحمد ومسلم : « أن النبي ﷺ خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال : إني أردت أن اتبعك وأصيب معك ، قال تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا ، قال : ارجع فلن أستعين بمشرك » .

٦ - التاريخ بتاريخهم خصوصاً التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي وهذا ابتداء من أنفسهم وليس هو من دين المسيح ، ولهذا لما أراد الصحابة رضي الله عنهم وضع تاريخ للمسلمين في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه عدلوا عن تواريخ الكفار وأرخوا بهجرة الرسول ﷺ مما يدل على وجوب مخالفة الكفار في هذا وفي غيره مما هو من خصائصهم .

٧ - مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنتهم بمناسبةها أو حضور إقامتها قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ (الفرقان : ٧٢) . قال غير واحد من أهل العلم الزور أي أعياد المشركين .

٨ - مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة والإعجاب بأخلاقهم ومهارتهم دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (طه : ١٣١) ولا يتعارض ذلك مع أهمية أخذنا بأسباب القوة والتقدم والتحضر الحقيقية .

٩ - التسمي بأسمائهم ، مما يسبب الانفصال بين هذا الجيل والأجيال السابقة من جهة ، والتألف والمودة مع أصحاب الأسماء الأجنبية من الكفار .

١٠- الإستغفار لهم والترحم عليهم قال تعالى: ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ماتين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ (التوبة : ١١٣).

معاملات جائزة لاتدخل ضمن معنى الموالاة

لامحبة ولا إخوة ولا صداقة ، ولا مودة ، ولا موالاة بين المسلمين والكفار وهذا لا يمنع جواز المعاملات الآتية :

١- جواز الإهداء إليه ، وقبول هديته ، وأكل طعامه إن كان كتابياً : يهودياً أو نصرانياً لقوله تعالى: ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ﴾ (المائدة : ٤) .
وهي ذبائحهم باتفاق المفسرين .

ولما صح عنه ﷺ أنه كان يدعى إلى طعام يهود المدينة فيجيب الدعوة ويأكل مما يقدم له من طعامهم ، وقد كان السلف الصالح يهدون للمشركين وليس بينهم وبينهم مودة كما بوب البخاري على ذلك فقال : باب صلة الوالد المشرك ، باب صلة الأخ المشرك ، واستدل على ذلك بأن النبي ﷺ أهدى إلى عمر حلة سبراء وأنه أرسل بها إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم .

وعمر هو هو الذي قال للنبي ﷺ في أسارى بدر: « ولكن أرى أن تمكثني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين » ، وقال ابن عبد البر في هذه القصة : « فيه جواز الهدية للكافر ولو كان حربياً » .

٢- العدل معهم وذلك لقوله تعالى: ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ (المائدة : ٨) .

ولما أرسل النبي ﷺ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى يهود خيبر وهم أهل ذمة يومئذ لكي يخرص نخيلهم ، فحاولوا رشوته ، قال لهم :

« يا أعداء الله تطعموني السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ ولأنتم أبغض إليّ من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم وحيي إياه على أن لا أعدل بينكم فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض » فالعدل معهم واجب ولا يعني هذا محبتهم وهل تكون أخوة بيننا وبين من تضطره إلى أضييق الطريق لقول رسول الله ﷺ: « لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضييقه » رواه أبو داود .

٣- تسميته إذا عطس وحمد الله تعالى بأن يقول له : يهديكم الله ويصلح بالكم إذ كان الرسول ﷺ يتعاطس عنده يهود رجاء أن يقول لهم : يرحمكم الله ، فكان يقول لهم يهديكم الله ويصلح بالكم .

٤- عدم أذيته في ماله أو دمه أو عرضه أن كان غير محارب لقول الرسول ﷺ يقول الله تعالى: « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » رواه مسلم ، وقوله : « من أذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة » رواه مسلم .

٥- يرحمه بالرحمة العامة كإطعامه إن جاع ، وسقيه إن عطش ، ومداوته إن مرض ، وكإنقاذه من تهلكة ، وتجنيبه الأذى لقوله ﷺ: « إرحم من في الأرض يرحمك من في السماء » رواه الطبراني والحاكم .

وقوله : « في كل ذي كبد رطبة أجر » رواه أحمد وابن ماجه .

٦- الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما قال الخطابي وغيره .

قال تعالى: ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ .

وقال جل وعلا: ﴿ وإن جاهدك على أن تشرك بى مالمالك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾ .

فأباحث هذه الآيات الإقساط والمصاحبة بالمعروف وإسداء البر والخير ومنعت الآيات الأخرى وجود المودة بيننا وبين الكفار ، إذ المودة هي عمل القلب

٧- يجوز للمسلم زواج الكتابيات من الكفار بل ومعاشرتهن بالمعروف لقوله تعالى: ﴿واحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان﴾ (المتحنة : ٥) .

وليس معنى معاشرتها بالمعروف أن يحب ما عليه زوجته الكتابية من دين باطل ولا يحل للمؤمنات الزواج بالكافر مطلقاً لقوله تعالى: ﴿لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن﴾، ولقوله: ﴿ولاتكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ (البقرة : ٢٢١) .
إذ الإسلام يعلو ولا يُعلَى ، والقوامة من أعظم السبيل وقد قال تعالى: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ (النساء : ١٤١) .

٨- يجوز ضيافته ، كما ورد في عقد الذمة ، وعيادته فقد عاد النبي ﷺ الغلام اليهودي وقال له أسلم ، فقال له أبوه أطع أبا القاسم ، فأسلم الغلام ، ففاضت روحه من ساعته فقال النبي ﷺ لأصحابه: صلوا على صاحبكم ، كما يجوز أيضاً البيع والشراء معهم وقد مات النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي .

متى تشوع مخالفة أهل الكتاب ومتى يجوز موافقتهم ؟

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ، الشروط المأخوذة على أهل الذمة ، وذلك في كتابه القيم « اقتضاء الصراط المستقيم ، مخالفة أصحاب الجحيم » في ص ١٢١ :
« وأما الإجماع فمن وجوه من ذلك أن أمير المؤمنين عمر في الصحابة رضي الله عنهم ، ثم عامة الأئمة بعده ، وسائر الفقهاء : جعلوا في الشروط المشروطة على أهل الذمة من النصرارى وغيرهم فيما شرطوه على أنفسهم .

« أن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس ، ولانتشبه بهم في شئ من ملابسهم : قلنسوة ، أو عمامة ، أو نعلين أو فرقة شعر ، ولانتكلم بكلامهم ، ولانكتني بكناهم ، ولانركب السروج ولانقلد السيوف ، ولانتخذ شيئاً من السلاح ، ولانحمله ، ولاننقش خواتمنا بالعربية ، ولانبيع الخمر ، وأن نُجَزَّ مقاديرنا وأن نلزم زِيناً حيثما كان ، وأن نشد الزناير على أوساطنا ، وأن

لانظهر الصليب على كنائسنا ولا نظهر صليباً ولا كتباً من كتب ديننا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولانضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً ولانرفع أصواتنا مع موتانا ، ولانظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين » رواه حرب بإسناد جيد

ولانخرج باعوثاً، والباعوث : أنهم يخرجون مجتمعين كما نخرج يوم الأضحى والقطر، ولا شعانينا ولانجاورهم بالجنازير ولانبيع الخمر وهذه الشروط أشهر شيء في كتب الفقه والعلم وهي مجمع عليها في الجملة بين العلماء من الأئمة المتبوعين وأصحابهم وسائر الأئمة ولولا شهرتها عند الفقهاء لذكرنا ألفاظ كل طائفة فيها وهي أصناف .

الصف الأول : مامقصوده التمييز عن المسلمين في الشعور واللباس والأسماء والمراكب والكلام ونحوها لتمييز المسلم من الكافر ولا يشبه أحدهما الآخر في الظاهر

ومن جملة الشروط : مايعود بإخفاء منكرات دينهم وترك إظهارها

ومنها : مايعود بإخفاء شعار دينهم كأصواتهم بكتابهم

ومنها : مايعود بترك إكرامهم وإلزامهم الصغار الذي شرعه الله تعالى إلى

أن قال ص ١٧٦ مانصه :

ثم إنه ثبت بعد ذلك في الكتاب والسنة والإجماع الذي كمل ظهوره في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ماشرعه الله في مخالفة الكافرين أو مفارقتهم في الشعار والهدي وسبب ذلك :

أن المخالفة لهم لا تكون إلا بعد ظهور الدين وعلوه كالجهاد وإلزامهم بالجزية والصغار فلما كان المسلمون في أول الأمر ضعفاء لم يشرع المخالفة لهم :

فلما كمل الدين وظهر وعلا شرع ذلك ومثل ذلك اليوم : لو أن المسلم بدار حرب أو دار كفر غير حرب : لم يكن مأموراً بالمخالفة لهم في الهدى الظاهر ، لما

عليه في ذلك من الضرر بل قد يُستحب للرجل أو يجب عليه : أن يشاركهم أحياناً في هديهم الظاهر ، إذا كان في ذلك مصلحة دينية : من دعوتهم إلى الدين والإطلاع على باطن أمرهم لإخبار المسلمين بذلك ، أو دفع ضررهم عن المسلمين ونحو ذلك من المقاصد الصالحة .

فأما في دار الإسلام والهجرة التي أعز الله فيها دينه ، وجعل على الكافرين بها الصغار والجزية : ففيها شُرعت المخالفة وإذا ظهرت الموافقة والمخالفة لهم باختلاف الزمان ظهرت حقيقة الأحاديث في هذا « أ. هـ .

يتضح من هذا الكلام القيم أن إقامة الشرع والدين تتطلب قدرة واستطاعة وتمكيناً ، ومن المعلوم أن الواجبات تسقط بالعجز وعدم الإستطاعة ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ .

وقد ذكرت في كتابي «تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد»^(١) أجواز مهادنة الكفار بمال عند ضعف المسلمين ونقلت أقوال أهل العلم في ذلك ، وإستدلالهم بفداء الأسير المسلم بمال إذا لم يطلق إلا بذلك .

وقولهم إذا دعت الضرورة لمصالح الكفار على مال ، كأن يخاف على المسلمين الهلاك أو الأسر فيجوز لأنه يجوز للأسير فداء نفسه بالمال فكذا ههنا ولأن بذله المال إن كان فيه صغار فإنه يجوز تمثله لدفع صغار أعظم منه وهو القتل والأسر وسيب الذرية الذي يفضي سبيهم إلى كفرهم .

لكم دينكم ولي دين

ليس في هذه الآية أنه رضى بدين المشركين ، ولا أهل الكتاب كما يظنه بعض الملحددين ، ولا أنه نهى عن جهادهم كما ظنه بعض الغالطين ، وجعلوها منسوخة بل فيها براءته من دينهم ، وبراءتهم من دينه وأنه لا تضره أعمالهم ولا يجوزون بعمله ولا ينفعهم .

١- راجع الكتاب ٢٥-٣١ .

وهذا أمر محكم لا يقبل النسخ ولم يرض الرسول بدين المشركين ، ولا أهل الكتاب طرفة عين قط ، فقوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون ، لأعبد ما تعبدون ، ولأنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولأنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين ﴾ شبيه بقوله جل وعلا : ﴿ لى عملى ولكم عملكم أنتم بريون مما أعمل وأنا برى مما تعملون ﴾ فهي كلمة توجب براءته من عملهم وبراءتهم من عمله .

والنبي ﷺ لم يرض قط إلا بدين الله الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه مارضى قط بدين الكفار ، لا من المشركين ، ولا من أهل الكتاب ، ولهذا قال النبي ﷺ في ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ هي براءة من الشرك ، وهذا أمر محكم لا يمكن نسخه بحال ، كما قال تعالى عن الخليل : ﴿ وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إنى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين ﴾ (الزخرف : ٢٦-٢٧) .

بل قال تعالى لنبىه ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل إنى برى مما تعملون ﴾ (الشعراء : ٢١٥-٢١٦) .

فإذا كان قد برأه الله من معصية من عصاه من أتباعه المؤمنين فكيف لا يرثه من كفر الكافرين الذين هم أشد له معصية ومخالفة ؟

ولاتعارض بين قوله تعالى : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ . وبين قوله سبحانه في سورة الشورى : ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾ (الشورى : ١٥) .

إذ نحن نؤمن بالكتب المنزل ، لا المحرفة والمغيرة والمبدلة فقد أخبر سبحانه عن تفرق الذين أتوا الكتاب كتفرق اليهود والنصارى وتفرق فرق اليهود ، وفرق النصارى كالنسطورية واليعقوبية ، والملكانية . ثم قال : ﴿ وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ﴾ (الشورى : ١٤) .

وقال : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك

لقضى بينهم وانهم لفي شك منه مريب ﴿ (هود: ١١٠) .

وقال تعالى: ﴿ وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (النساء : ١٥٧- ١٥٨) .

وقد تتابعت الآيات تنهى عن اتباع المشركين وتأمّر جميع الخلق أن يؤمنوا بجميع ما أنزل الله ، كما أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يعدل بين جميع الخلق ﴿ وأمرت لأعدل بينكم ﴾ .

(١) شهادة بعض المنصفين

يقول الأستاذ « أرنولد » في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » مانصه :
(ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن ، وعسكر أبو عبيدة في (فحل) كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب المسلمين يقولون :
« يامعشر المسلمين : أنتم أحب إلينا من الروم ، وإن كان الروم على ديننا ، أنتم أوفى وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا » قال : « وغلقت أهل مدينة حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم إلا غريق وتعسفهم »
« ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق ، فإن الدعوة والإقناع كانا هما الطابعين الرئيسيين لحركة الدعوة هذه ، وليس القوة والعنف » أ . ه .

ويقول « غوستاف لوبون » قولته المشهورة : « ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب » ومما يذكره التاريخ : أن التتار لما غزوا بلاد الإسلام ووقع كثير من المسلمين والنصارى في أسرهم ، ثم عادت الغلبة للمسلمين ، ودان ملوكهم بالإسلام ، خاطب شيخ الإسلام أمير التتار بإطلاق الأسرى ، فسمح له الأمير

١- راجع حرية الاعتقاد لناصح علوان ص ٥٥- ٦١ .

التتاري بفك أسرى المسلمين ، وأبى أن يسمح بأهل الذمة ، فقال شيخ الإسلام :
لا بد من فك الأسرى من اليهود والنصارى لأنهم أهل ذمتنا فأطلقهم له .
ومما كتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص عامله على مصر :
« إن معك أهل ذمة وعهد ، وقد أوصى رسول الله ﷺ بهم ، وأوصى بالقبط ،
فقال : « استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً » .

وذكر أبو يوسف في كتابه « الخراج » أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بشيخ
من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد بسبب الجزية ، والحاجة والسن فقال :
« ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شيبتك ، ثم ضيعناك في كبرك ، ثم أجرى
عليه من بيت المال ما يصلحه ، ووضع الجزية عنه وعن ضربائه (أمثاله) .
ومما ذكره التاريخ بملء الإفتخار والإعتزاز أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اقتص من ابن واليه « عمرو بن العاص » لضربه مصرياً قبطياً بدون حق ثم التفت
إلى عمرو وقال له قولته المشهورة :

« يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » وبعض هذا يكفي
وهو بمثابة الرد القاطع على من يقول لك ما نضع باليهود والنصارى إذا قام في
المجتمع حكم الإسلام ؟ نقول : نضع بهم ما أمر به الإسلام ، ونعاملهم بما عاملهم
به سلفنا الصالح حتى قال المنصفون من أهل الملل الأخرى : « ما عرف التاريخ فاتحاً
أرحم من العرب » (١)

مقارنة وموازنة أخلاقهم بدينهم ، وكل إناء بما فيه ينضح

مما أجمع عليه المؤرخون أن الصليبيين ذبحوا في يوم واحد في الحرب الصليبية
الأولى سبعين ألف مسلم تذبيح النعاج حتى أن الدماء كانت تجري أنهاراً في المسجد
الأقصى وشوارع القدس ، فلم يرقبوا في مؤمن إلا ولا ذمة ، ولم يرحموا كبيراً ولا

١ - العرب لاقية لهم بدون الإسلام ، بل سرعان ما يعودون لئل الجاهلية الأولى أو أشر إذا انصرفوا عن كتاب الله
وسنة رسول الله ﷺ .

صغيراً ، ولم يحترموا امرأة ولا طفلاً ، ولم يوقروا عالماً ولا شيخاً على حين عامل السلطان صلاح الدين الصليبيين أحسن معاملة وأكرمهم أسمى إكرام حين حرّر بيت المقدس من اعتدائهم الأثيم ، فما أراق دمأ ولا انتهك حرمة ولا نقض عهداً ... بل ظلت الكنائس والمعابد أمانة في يديه وفي يد مَنْ جاء من بعده يحسنون القيام بها والحفاظ عليها

إلي أن دخل جيوش الحلفاء بيت المقدس في الحرب العالمية الأولى وقال القائد الإنجليزي « اللّنبى » الآن انتهت الحروب الصليبية وقد فعلوا ما فعلوه باسم الصليب وتحت رايته وصدق فيهم قول الله: ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ﴾ (آل عمران : ١١٨) وذكر الدكتور في كتابه « العلاقات السياسية الدولية »

في الأندلس لقي المسلمون أشد العذاب وأبشع الظلم من محاكم التفتيش التي كانت تأمر بتتصير المسلمين كرهاً ثم بحرق الكثير منهم ونصح « كرينال » طليطلة الذي كان رئيساً لمحاكم التفتيش بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب رجالاً ونساءً وشيوخاً وولداناً .

وأراد « شارلمان » أن يستأصل شأفة الإسلام تأييداً لهيبة الكنيسة ، وأن يسحق دولة الأندلس المستقلة احتفاظاً بكبرياء الفتح والظفر ، وعقد مسلموا غرناطة معاهدة التسليم والأمان من الملكين الكاثوليكين : « فرديناند » و« إيزابيلا » اللذين نكثا بالعهود والمواثيق فكبلا ثلاثة ملايين من المسلمين بالأغلال وأعمل الكاثوليك في رقابهم السيف تنكيلاً وانتقاماً » .

ومما ذكره الدكتور « حامد سلطان » في كتابه « القانون الدولي العام » :
(في سنة ١٤٥٤ م وأصدر البابا مرسوماً منح فيه « هنري البحار » البرتغالي الحق في أن يغزو ، وأن يحتل ، ويجوز البحار اللازمة للقضاء على انتشار الإسلام . وكان مما جاء في هذا المرسوم البابوي مايلي : (إن سرورنا العظيم أن نعلم أن

ابننا المحبوب « هنري البحار » أمير البرتغال قد سار في خطى أبيه الملك « جون » بوصفه جندياً قديراً من جنود المسيح ، ليقضي على أعداء الله ، وأعداء المسيح من المسلمين والكفرة أ. هـ .

وجاء في النشيد الإيطالي المشهور مايلي : « أماء صلي ولاتبكي ، بل اضحكي وتأملي ، ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ولأحارب الديانة الإسلامية وسأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن ... إن سألك أحد عن عدم حدّك عليّ فأجيبه : إنه مات في محاربة الإسلام) !! .

وما فعلته الصليبية في فلسطين والأندلس وليبيا في الماضي ، وما تفعله في الفلين والحبشة وقبرص وإريتريا ، وزنجبار ، وكينيا وجنوب إفريقيا والبوسنة والهرسك في الحاضر أكبر دليل على العداة اللثيم والحقد الدفين الذي تأصل في كيانهم ، وخالط شغاف قلوبهم قديماً وحديثاً !!! .

ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى

قال تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴾ (المائدة : ٨٢) .

هذه الآية نزلت في النجاشي وأصحابه لما قدم عليهم المسلمون في الهجرة الأولى حسب ما هو مشهور في سيرة ابن اسحاق وغيره - خوفاً من المشركين وفتنتهم وكانوا ذوي عدد .

ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد ذلك فلم يقدروا على الوصول إليه حالت بينهم وبين رسول الله ﷺ الحرب فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار ، قال كفار قريش : إن نأركم بأرض الحبشة فاهدوا إلى النجاشي وابعثوا إليه رجلين من ذوي رأيكم لعله يعطيكم من عنده فتقتلوهم بمن قُتل منكم ببدر ، فبعث

كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا فسمع النبي ﷺ بذلك ، فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري وكتب معه إلى النجاشي فقدم على النجاشي فقرأ كتاب رسول الله ﷺ ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين وأرسل إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثم أمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فقاموا تفيض أعينهم من الدمع .

فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾ وقرأ ﴿ إلى الشاهدين ﴾ رواه أبو داود وذكر البيهقي عن ابن اسحاق قال : قدم إلى النبي ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة أو قريب من ذلك من النصارى حين ظهر خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد فكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره .

فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا : خبيكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم تترادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تظهر مجالستكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، مانعلم ركباً أحقق منكم أو كما قال لهم - فقالوا سلام عليكم لانجاهلكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لانألوا أنفسنا خيراً ، فيقال : إن نفر النصارى من أهل نجران .

ويقال : إن فيهم نزلت هؤلاء الآيات : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ إلى قوله : ﴿ لا نبتغي الجاهلين ﴾ وقال قتادة : نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى ، فلما بعث الله محمداً ﷺ آمنوا به فأنى الله عليهم .

قال القرطبي : وهذا المدح لمن آمن منهم بمحمد ﷺ دون من أصر على كفره

ولهذا قال: ﴿ وأنهم لا يستكبرون ﴾ أي عن الإنقياد إلى الحق أ. هـ .

ولهذا جاء بعدها قوله تعالى: ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (الآية ٨٣) وبين الله سبحانه في هذه الآيات أن أشد الكفار تمرداً وعتواً وعداوة للمسلمين اليهود ويضاهيهم المشركون وبين أن أقربهم مودة النصارى وقوله تعالى: ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ أي مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون بالحق. وما ذكرنا تعلم أن المدح لا يشمل من أصر على باطله وكفره من النصارى ، فالآية إنما نزلت فيمن آمن من النصارى وصدق بالحق كالنجاشي ومن كان على شاكلته .

إسلام المفكر الفرنسي جارودي

رغم تعرض الإسلام لحروب متتالية من التشهير والتشويه ، الأمر الذي أدى إلى انصراف كثير من المسلمين عن الإلتزام بمعاني دينهم ، وتمكن الأعداء من رقابهم وبحيث صارت العلمانية هي الراية المرفوعة في معظم البلاد الإسلامية .

أقول : رغم هذا الواقع المر ، إلا أنه لا يكاد يمر علينا يوم إلا ونسمع بإسلام الكثيرين والإحصائيات في ذلك أشهر من أن تذكر ، وبعض هؤلاء من جملة المشاهير ومايكاد الواحد من هؤلاء يسلم حتى تنهال عليه الأسئلة من هناك وهناك تطلب منه رأي الإسلام في شتى نواحي الحياة !!! .

وهذا الأمر يذكرني بحالة بعض الفنانات المعتزلات المحجبات اللاتي يطلب منهن الرأي في قضية البوسنة والسياسة والاقتصاد الإسلامي وأمور تحتاج نوعاً من الإجتهد في دين الله ، وباعاً في معرفة الشرع والواقع مما قد لا يتيسر لبعض هؤلاء التائبين أو الذين دخلوا في دين الله .

ولانقول هذا انتقاصاً لقدر أحد فلكل علم عالم والحق يُقبل من كل من جاء به ، وقد يغلب على بعض من أسلم نزعة صوفية ومن المعلوم أنه قد وقع في نظير شرك وكفر اليهود والنصارى ، طوائف من المنتسبين للإسلام ، كعقيدة الحلول والإتحاد

والغلو في الأولياء والصالحين كما هو مشاهد في بعض الصوفية بالإضافة لظهور كثير من البدع كالإحتفال بالموالد على النحو المعروف وترك النظافة وهجر الدنيا والإنزواء في الخرائب وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ في نهى أمته عن متابعة اليهود والنصارى وبين الصادق المصدوق أن ما حذر منه سيقع في بعض طوائف الأمة فقال :

« لتتبعن سنن من كان قبلكم شبر بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى قال فمن » .

وفي بعض الروايات : « قالوا يارسول الله فارس والروم قال فمن » وهذه الأحاديث هي من دلائل نبوة رسول اله ﷺ وهي تنطبق أول ماتنطبق على الصوفية ومن شابههم من هذه الأمة .

وقد قال العلماء من سعادة الحدث إذا نسك أن يوفق إلى صاحب سنة يحمله عليها وبعض من دخل الإسلام قد يتبنى الدعوة لمؤتمرات التقريب بين الأديان ، فيجب الحذر ، ولايسعنا أن نطعن في إسلامه أو أن نتهمه في نواياه ، ولكننا نقول : لا بد من إحسان الظن بهؤلاء وتعليمهم ما جهلوه من دين الله ومحبتهم لإسلامهم ، ونحن نقبل من الناس علانيتهم ونكل سرائرهم لله تعالى ونُحسن الظن بالناس ونسئ الظن بأنفسنا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أيها الناس إن الوحي قد انقطع فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه ، ليس لنا في سريرته ، الله يتولاه في سريرته ، ومن أظهر لنا شراً لم نؤمنه ولم نقربه ، وإن قال : إن نيته حسنة .

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان

المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام علامة من علامات الساعة العشر الكبرى وقد وردت الروايات توضح صفته ورفعه ومكان نزوله والحكم الذي يحكم به ومن جملة ذلك مارواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : ليلة أسري بي لقيت موسى ، فنعتته إلى أن قال: « ولقيت عيسى فنعتته فقال : ربعة (ليس بالطويل ولا بالقصير) أحمر كأنما خرج من ديماس - يعني الحمام - .

« وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت عيسى وموسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر » وقد ورد بأن له لمة (شعر الرأس إذا جاوز شحمة الأذنين) قد رجّلها تملأ ما بين منكبيه وهو سبط الشعر ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق وعليه مهرودتان (أي ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، ولا يحل يجدر ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، ويكون نزوله على الطائفة المنصورة التي تقاتل قاتل على الحق وتكون مجتمعة لقتال الدجال ، فينزل وقت إقامة الصلاة فيصلّي خلف أمير تلك الطائفة .

وفي رواية فيقول له إمام المسلمين : يا روح الله تقدم فيقول : تقدم أنت فإنه اقيمت لك ، وفي رواية مسلم: « بعضكم على بعض أمراء تكرمه هذه الأمة . وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وإانه لعلم للساعة ﴾ أي أن نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة ، وهذا قول ابن عباس وغيره . وقد دلت الآيات على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه ، بل رفعه الله إلى السماء قال تعالى : ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ﴾ (آل عمران : ٥٥) .

كما جاءت الأحاديث المتواترة تدل على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان وذلك عند نزوله وقبل موته ، قال تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ (النساء : ١٥٧-١٥٩) .

قال ابن تيميه : « الحمد لله : عيسى عليه السلام حي ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية » .

وثبت في الصحيح عنه أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، وأنه يقتل الدجال ، ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء وإذا أحيى فإنه يقوم من قبره وأما قوله تعالى :

﴿ إني متوفيك ورافعك إلی ومطهرك من الذين كفروا ﴾ (آل عمران : ٥٥) .

فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء فعلم أن ليس في ذلك خاصية وكذلك قوله : ﴿ ومطهرك من الذين كفروا ﴾ ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبذن سائر الانبياء أو غيره من الأنبياء .

وقد قال تعالى في الآية الاخرى ﴿ وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه ﴾ (النساء : ١٥٧-١٥٨) فقولنا هنا : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ يبين انه رفع بدنه وروحه .

كما ثبت في الصحيح أنه ينزل ببدنه وروحه ، اذ لو اريد موته لقال : ﴿ وماقتلوه وماصلبوه بل مات ﴾ ولهذا قال من قال من العلماء إني متوفيك : أى قابضك ، أى قابض روحك وبدنك .

يقال : توفيت الحساب واستوفيته ، ولفظ التوفي لا يقتضي نفسه توفي الروح دون البدن ولا توفيهما جميعاً إلا بقرينة منفصلة ، قد يراد به توفي النوم كقوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت فى منامها ﴾ (الزمر : ٤٢) .

وقوله : ﴿ هو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ (الأنعام : ٦٠) .

وقوله : ﴿ حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ﴾ (الأنعام : ٦١) أ.هـ .

والنصوص تدل على بطلان مادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فأخبر الله أنه لم يكن الامر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك .

ثم إنه رفعه الله إليه وأنه باق حي وأنه سينزل قبل القيامة كما دلت على ذلك الاحاديث المتواترة وقد ذكر ذلك ابن جرير الطبري وابن كثير ، وأحمد شاكر والألباني وغير واحد من أهل العلم .

والمسيح كان في السماء الثانية مع أنه أفضل من يوسف وإدريس وهارون لانه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة بخلاف غيره وآدم كان في سماء الدنيا لأن نسمة أبنائه تعرض عليه كما بين ابن تيمية .

والمسيح عليه السلام لا ينزل بشرع جديد بل يحكم بالشرعة الإسلامية ويكون من أتباع محمد ﷺ إذ لانبى بعد رسول الله ﷺ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كيف أنتم إذا أنزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم » رواه مسلم .

قال ابن أبي ذئب فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة » .

قال : فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة « فمما يدل على بقاء التكليف بعد نزول عيسى عليه السلام صلواته مع المسلمين ووجهه وجهه للجهاد والكفار ووضع الجزية يدل على أن مشروعية أخذ الجزية مقيد بنزوله بإخبار نبينا ﷺ فهو المبين للنسخ بقوله لنا :

« والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية » رواه مسلم . وفي زمن نزول عيسى عليه السلام ينتشر الأمن وتظهر

البركات وتذهب الشحناء والتباغض والتحاسد .

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « والانبياء اخوة لعلات^(١) ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي نازل فيهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة على الارض حتي ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لاتضرهم » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والله لينزلن عيسى بن مريم حكماً عدلاً وليضعن الجزية ولتتركن القلاص (الناقة الشابة) فلايسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد » رواه مسلم .

وهو يمكث في الأرض سبع سنين بعد نزوله ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون قال تعالى عن عيسى عليه السلام : ﴿والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ وقد جاء في رواية مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « فيبعث الله عيسى بن مريم »

ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضه » .

الحكمة في نزول عيسى عليه السلام دون غيره

ذكر يوسف بن عبد الله الوابل في أشراط الساعة (٣٣٩) مانصه : « تلمس بعض العلماء الحكمة في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان دون غيره من الأنبياء ولهم في ذلك عدة أقوال :

١- الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام فيين الله تعالى

١- أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد أي أن إيمان الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة .

كذبهم وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدجال..... ورجح الحافظ ابن حجر هذا على غيره .

٢- أن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ﴾ (الفتح : ٢٩) فدعا الله أن يجعله منهم فاستجاب الله دعائه وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجدداً لأمر الاسلام .

قال الإمام مالك رحمه الله : « بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون : والله لهؤلاء خير من الحواريين كما بلغنا » .

قال ابن كثير : وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة والأخبار المتداولة ، وقد ترجم الإمام الذهبي لعيسى عليه السلام في كتابه « تجريد أسماء الصحابة فقال « عيسى بن مريم عليه السلام صحابي ونبي فإنه رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء وسلم عليه فهو آخر الصحابة موتاً .

٣- إن نزول عيسى عليه السلام من السماء لدنوا أجله ليدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها ، فيوافق نزوله خروج الدجال فيقتله عيسى عليه السلام .

٤- إنه ينزل مكذباً للنصارى فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل ويهلك الله الملل كلها في زمنه إلا الإسلام فإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية .

٥- إن خصوصيته بهذه الأمور المذكورة لقول النبي ﷺ : «أنا أولى الناس بعيسى

بن مريم ليس بيني وبينه نبي » رواه البخاري .

فرسول الله أخص الناس به وأقربهم إليه فان عيسى بشر بأن رسول الله ﷺ يأتي من بعده ودعا الخلق إلى تصديقه والإيمان به كما في قوله تعالى: ﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد ﴾ (الصف : ٦) .

وفي الحديث : « قالوا يارسول الله أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم ، أنا دعوة
أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى » أ. ه .

النصارى آمنوا بمسيح لا وجود له واليهود ينتظرون المسيح الدجال

قال ابن القيم في كتابه « هداية الحيارى » ١٣٥ : فالمسلمون يؤمنون بالمسيح
الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذي هو عبد الله ورسوله
وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعى إلى عبادة نفسه وأمه وأنه ثالث ثلاثة وأنه
الله وابن الله ، وهذا هو آخر المسيح الكذاب لو كان له وجود ، فإن المسيح
الكذاب يزعم أنه الله ، والنصارى في الحقيقة أتباع هذا المسيح كما أن اليهود إنما
ينتظرون خروجه ، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبي الذي بشروا به ، فعوضهم
الشیطان بعد مجيئه من الإيمان به انتظاراً للمسيح الدجال . وهكذا كل من أعرض عن
الحق يعوض عنه بالباطل

والنصارى لما أنفوا أن يكون المسيح عبداً لله تعوضوا من هذه الأنفة بأن رضوا
بجعله مصفحة لليهود ومصلوبهم الذي يسخرون منه ويهزءون به ، ثم عقدوا له
تاجاً من الشوك بدل تاج الملك وساقوه في جبل إلى خشبة الصلب يصفقون حوله
ويرقصون فلا بتلك الأنفة له من عبودية الله بهذه النسبة له أعظم الذل
والضيق والقهر .

وكذلك أنفوا أن يكون للبتريك والراهب زوجة وولد وجعلوا لله رب العالمين
الولد ، وكذلك أنفوا أن يعبدوا الله وحده لا شريك له ويطيعوا عبده ورسوله ثم
رضوا بعبادة الصليب والصور المصنوعة بالأيدي في الحيطان وطاعة كل من يحرم
عليهم ماشاء ويحلل لهم ماشاء ويشرح لهم من الدين ماشاء من تلقاء نفسه
إلى أن قال رحمه الله : وتأمل قول المسيح : « إني لست أدعكم أيتاماً لأنني

سأتأيكم عن قريب « كيف هو مطابق لقول أخيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهما « ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً ، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، وأوصى أمته بأن : « يقرئه السلام منه من لقيه منهم » .

وفي حديث آخر : « كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها ؟

وقد ذكر ابن تيمية في « الجواب الصحيح » ١٨٦ ح ٢ مانصه : فإنه لا ريب أنه (أي المسيح) ولد من مريم العذراء التي لم يمسه بشر قط وأن الله أظهر على يديه الآيات ، وأنه صعد إلى السماء ، كما أخبر الله بذلك في كتابه ، كما تقدم ذكره ، فإذا كان هذا مما أخبرت به الأنبياء في النبوات التي عند اليهود لم ينكروا ذلك ، وإن كان اليهود يتأولون ذلك على غير المسيح كما في النبوات من البشارة بمحمد ﷺ ، فهو حق ، وإن كان الكافرون به من أهل الكتاب يتأولون ذلك على غيره «

وذكر قول عزرا الكاهن [يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأمم] .

ثم قال ابن تيمية : وهذا مما لا يتنازع فيه المسلمون ، فإنهم يقرون بما أخبر به في كتابه من إتيان المسيح عليه السلام وتخليص الله به كل من آمن به من الشعوب والأمم إلى بعث محمد ﷺ ، فكل من كان مؤمناً بالمسيح ، متبعاً لما نزل عليه من غير تحريف ولا تبديل ، فإن الله خلصه بالمسيح من شر الدنيا والآخرة ، كما خلص الله تعالى بموسى من اتبعه من بني إسرائيل ، ومن حرف وبدل فلم يتبع المسيح ومن كذب محمداً ﷺ فهو كمن كذب المسيح بعد أن كان مقرراً بموسى عليه السلام . ولكن هذا النص وأمثاله حجة على اليهود الذين يتأولون ذلك على أن هذا ليس هو المسيح بن مريم ، وإنما هو مسيح ينتظر ، وإنما ينتظرون المسيح الدجال مسيح الضلالة ، فإن اليهود يتبعونه ويقتلهم المسلمون معه حتى يقول الشجر والحجر :

يامسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله ، وهكذا قال في النبوة الثانية التي ذكروها عن « أرميا » النبي ﷺ أ . ه .

وقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة » .
وفي رواية للإمام أحمد « سبعون ألفاً عليهم التيجان » .

وقد ورد في الأخبار أن المسيح عند نزوله ، يكون الدجال متوجهاً نحو بيت المقدس فيلحق به عيسى عند باب « لد » (بفلسطين) فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح فيقول له عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تفوتني فيتدراكه عيسى فيقتله بحربته وينهزم أتباعه فيتبعهم المؤمنون فيقتلونهم حتى يقول الشجر والحجر يامسلم يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود » .

مآخذ البروتستانت على البابا والكنيسة

اعتبر البروتستانت أن التعاليم والإحتفالات والخرافات الوثنية قد دمجت بالإيمان والعبادة في ديانة أتباع المسيح الإسميين ، فقد وافق المسيحيون على اتحاد الوثنية بالمسيحية ، ودخل عبدة الأصنام الكنيسة متمسكين بأصنامهم ، فغيروا أصنامهم إلى صور المسيح والعذراء والقديسين ولتسهيل عملية دخول الوثنيين إلى الكنيسة أدخل تدريجياً إلى العبادة المسيحية كثيراً من التعاليم الكاذبة والطقوس الخرافية وعبادة الصور والذخائر .

ومرسوم المجلس العام (المجلس الثاني لنيس سنة ٧٨٧ م) أقر نهائياً هذا النظام المسيحي الوثني .

ولكي تكمل عملها المدنس للمقدسات كما يرى البروتستانت ، تجرأت روما على أن تحذف الوصية الثانية من شريعة الله التي تنهى عن عبادة التماثيل ، وقسمت الوصية العاشرة إلى اثنين لكي يبقى العدد كاملاً قالوا : عبث الشيطان أيضاً

بالوصية الرابعة وعمد إلى إغفال يوم السبت القديم الذي باركه الرب و قدسه تكوين (٢٠٢ ، ٣) ومجد وعظم بدلاً منه العبد الذي كان يحفظه الوثنيون يوم الشمس المكرم وذكروا أنه في أوائل القرن الرابع أصدر الإمبراطور قسطنطين مرسوماً صار يوم الأحد بموجبه عيد عام في كل أنحاء الإمبراطورية ، وكان يوم الشمس مقدساً عند رعاياه الوثنيين فصار المسيحيون يكرمونه ، وقد حثه على ذلك أساقفة الكنيسة الذين أدركوا أنه إن حفظ الوثنيين والمسيحيين نفس اليوم يسهل على الوثنيين قبول المسيحية الإسمية ، إلى أن صار يوم الأحد الوثني يكرم كتشريع إلهي في حين اعتبر يوم السبت الكتابي أحد الذخائر اليهودية ، والذين يكرمونه اعتبروا ملعونين ومن أهم هذه المآخذ بالإضافة لذلك :

(١) إدعاء البابا للربوبية والألوهية .

وقد اعترض البروتستانت على الإدعاءات التي نسبها البابا لنفسه فقد صار : « نائب الله على الأرض » ولقب نفسه : « الرب الإله البابا » وادعى العصمة وتسلط على الكنيسة والدولة وطالب الجميع بالولاء ، قالوا : وهكذا تحول الإيمان عن المسيح مؤسس الكنيسة الحقيقي إلى بابا روما ، وعوضاً عن الإيمان بيسوع المسيح من أجل غفران الخطايا والخلاص الأبدي اتجه للبابا وإلى الكهنة والأساقفة الذين فوضهم .

وعلموا أن البابا هو وسيطهم الأرضي ، وبدونه لا يستطيع أحد أن يتقدم إلى الله ، وأكثر من هذا فإنه بالنسبة إليهم هو في مكان الله ، وتتوجب طاعته المطلقة والإنحراف عن طاعته يستوجب أقسى عقاب ، وهكذا انحرفت عقول الناس عن الله إلى إنسان معرض للخطأ أو الضلال وذكروا أن الكتاب المقدس يعارض بصورة مباشرة عقيدة سيادة البابا « للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » (لوقا ٨ : ٤) .

لم يذكر الله في كلمته قط أنه عين أي إنسان عدا المسيح رأساً للكنيسة . الكتاب المقدس يعظم الله ويضع الإنسان الفاني في مكانه المناسب ، فالبابا ليس له سلطان على كنيسة المسيح إلا ما قد ادعاه اغتصاباً .

وأصبحت روما الوثنية في نظر البروتستانت روما الباباوية فزور الرهبان بعض الكتابات القديمة وازداد الإدعاء عندما أعلن البابا غريغوريوس السابع في القرن الحادي عشر عصمة كنيسة روما قالوا : ثم أعلن ذلك البابا المتعجرف أن له السلطان أن يخلع الأباطرة ، وأن أحداً من الناس مهما علا مقامه لا يحق له أن يلغي أحكامه أما هو فمن حقه أن يلغي أحكام الآخرين .

(٢) الإبتهال إلى القديسين وعبادة مريم .

يرى البروتستانت أن تعاليم الفلاسفة الوثنيين لاقت قبولاً من الناس وكان لها تأثير على الكنيسة ومن أبرز تلك الضلالات عندهم الإعتقاد بخلود الإنسان الطبيعي وإحساسه بعد الموت ، قالوا : هذا التعليم بنت عليه روما ضلالة الإبتهال إلى القديسين وتمجيد العذراء مريم وهرطقة العذاب الأبدي لمن يموتون .

(٣) المطهر .

رأوا أن هذا اختراع آخر من ابتكار الوثنية الذي أسمته روما المطهر واستخدمته في إرهاب الجماهير المتمسكة بالخرافات ، حيث يذهب الذين لا يستحقون الهلاك الأبدي لكي ينالوا عقاباً عن خطاياهم ثم بعد أن يتطهروا من نجاستهم يُسمح لهم بالدخول إلى السماء .

(٤) القداس .

قالوا : أستعيض عن فريضة العشاء الرباني بالذبيحة الوثنية المسماه ذبيحة القداس ، فلقد ادعى كهنة الباباوية أنهم بشعائر سخيفة يمكنهم تحويل الخبز والخمر العاديين إلى نفس جسد ودم المسيح وبوقاحة ادعوا علنا أنهم قادرون على أن «يخلقوا الله خالق كل الأشياء» .

(٥) صكوك الغفران .

ذكر البروتستانت أن الحالة كانت تدعو إلى اختلاق دجل آخر يمكن روما من الاستفادة مالياً من مخاوف ورذائل تابعيها ، وقد وجدت ضالتها في عقيدة صكوك

الغفران فقدم البابا للناس الوعد بالغفران لخطاياهم الحاضرة والماضية والمستقبلية والعتق من كل الآلام والعقوبات ، كما علموا الشعب أن دفع أموالهم للكنيسة يحرره من الخطية ويعتق أرواح أصدقائهم الموتى المحبوسة في لهيب النار والعقاب .

(٦) محاكم التفتيش .

في القرن الثالث عشر أقيمت أرهب الأنظمة الباباوية - محاكم التفتيش - وذكر البروتستانت أن سلطان الظلمة كان يعمل مع السلطة الباباوية . ففي مجامعهم السرية سيطر الشيطان وزبانيته على عقول الناس الأشرار الذين اخترعوا وسائل تعذيب أقسى وأرهب من أن تنظرها عين بشر حتى صرخت أجسام الملايين من الشهداء الممزقة إلى الله لينتقم لها من تلك السلطة المرتدة وأصبحت الباباوية طاغية العالم ، فالملوك والأباطرة انحنوا خضوعاً أمام أحكام البابا وبدا وكأن بابا روما يتحكم في مصائر الناس الآن وفي الأبدية . وبكل غيرة ووقار كان الناس يمارسون طقوسها ويحفظون أعيادها ويكرمون رجال الكهنوت ويعولونهم بسخاء .

لوثر ودعوته الإصلاحية

رأى لوثر أن الكتب المقدسة كانت مجهولة ليس فقط للعامة بل للكهنة أيضاً مما سمح للكهنة ممارسة سلطانتهم بحرية غير محدودة فمارسوا الرذيلة بدون رادع كما تفشى الإحتيال والطمع والإسراف .

وفي قصور البابوات والأساقفة تم ارتكاب أخط مشاهد الفجور والنجاسة والجرائم المنفرة جداً مما جعل بعض رؤساء الحكومات يحاولون عزلهم وقد أراد لوثر أن يخرج من ظلمتها ولم يعترف بأساس آخر للإيمان غير الكتاب المقدس ووقف يصرخ لما رأى الكتاب المقدس لأول مرة وقلب صفحاته وقال :

« ليت الله يعطيني هذا الكتاب ليكون ملكي الخاص » . ٧٠ .

ودخل أحد الأديرة وكرس نفسه لحياة الرهبنة ، وتحمل الإذلال بصبر إذ كان يظن أنه لازم له بسبب خطاياها وقال عن نفسه : « لقد كنت راهباً تقياً واتبعت قوانين الرهبنة بالتدقيق أكثر مما أقدر أن أعبر عنه ، ولو أمكن لراهب أن يرث السماء بأعمال النسك التي يمارسها لكان لي الحق في ذلك ولو استمررت على ذلك مدة أطول لأدت بي تلك العذابات إلى الموت » ٨ .

ورُسم لوثر كاهناً ، وأخذ يعظ ثم زار روما فكتب يقول :
« لا يستطيع أحد أن يتصور الخطايا والأعمال الشائنة التي ترتكب في روما ، ولا يصدق وجودها إلا من رآها بنفسه ، وقد صار أمراً عادياً أن يقول الناس : إذا كانت هناك جحيم فإن روما مبنية عليها ، انها بؤرة تخرج منها كل أنواع الخطايا » (١١) .

ولما أراد أن يصعد « سلم بيلاطس » لينال صك الغفران سمع صوتاً يقول له :
البار بالإيمان يحيا (رومية ١ : ١٧) ، وعندما ترك لوثر روما حول قلبه عنها أيضاً
ومن ذلك الوقت إزداد الانفصال إلى أن قطع كل علاقة له بالكنيسة الباباوية .

وحصل على درجة الدكتوراة من جامعة ويتنبرج وقد صرح بثبات أن :
« المسيحيين يجب ألا يقبلوا تعاليم ليس لها سلطان الكتاب المقدس » وامتدت دعوته قال لوثر بعد بدء دعوته بسنين قليلة : « إن الله لا يقودني بل يدفعني إلى الأمام ، إنه يحملني فأنا لست سيد نفسي ، أنا أرغب في أن أعيش في راحة وسكون ولكن قد ألقى بي وسط الإضطرابات والإنقلابات » ١٢ .

واعترض على بناء كاتدرائية القديس بطرس بأموال صكوك الغفران ودخل في معركة مع عرش الباباوية والتاج المثلث^(١) الموضوع على رأس البابا وصفوه بالهرطقة ، وصرخ الباباويون « إنها خيانة عظيمة ضد الكنيسة أن تسمح لهرطوقي شنيع أن يعيش ساعة واحدة بعد الآن لتنصب له المشنقة فوراً » ٢٠ .

١ - ملك السماء والأرض والمناطق السفلى (هذا هو الذي يرمز إليه التاج في اعتقادهم) .

وعقدت محاكمة للوثر وقيل له تراجع وإلا ستُحرم ويُحرم كل الموالين لك وكل من يؤيدونك في المستقبل وسيقذف بكم خارج الكنيسة « ٢٢ .

وألح في دفاعه أن يظهر البابا أو مبعوثه من الكتاب المقدس خطأ تعاليمه وقال :
« لا أستطيع أن أخضع إيماني للبابا أو للمجالس لأنه واضح كوضوح الشمس ،
انهم كثيراً ما أخطأوا ، وعارضوا بعضهم البعض مالم أقتنع من شهادة الكتاب
المقدس والآيات التي اقتبستها ، وبقيد ضميري بكلمة الله فإنني لا أستطيع أن
أراجع ، ولن أراجع لأن المسيحي لا يكون في مأمن عندما يخالف ضميره ، هنا
أقف ولا يمكنني أن أفعل غير ذلك وليساعدني الله » (٢٢) .

وعندما أوصل لوثر البيان الباباوي قال : إنني أحتقره وأهاجمه لأنه غير ورع
وكاذب إن المسيح نفسه هو الذي يُدان في هذا البيان اننى الآن أشعر
بحرية أعظم في قلبي لأنني قد عرفت أن البابا هو ضد المسيح ، وأن عرشه هو عرش
الشیطان نفسه « ٢٨. ثم ظهر منشور يُعلن فصل لوثر النهائي عن الكنيسة ، وشُهر به
كمن هو ملعون من السماء كما شملت هذه الإدانة جميع الذين قبلوا تعاليمه وهكذا
بدأ الصراع بين البروتستانتية والكاثوليكية .

إصلاح لوثر والبروتستانت بحاجة لإصلاح

لقد استند لوثر في حربه على البابا والكنيسة الكاثوليكية إلى الكتاب المقدس وبيّن انحرافهم عن تعاليمه ، وفاته أن يثبت صحة الكتاب المقدس من جهة ، وأن يتابع رسول الله ﷺ الذي بشرت به النبوات ، ويُسلم وجهه لله ويترك العقائد الكفرية من جهة أخرى .

قال ابن تيمية في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ج(١) ٣٧٧ مانصه :
« فإن المسلمين واليهود والنصارى متفقون على أن في الكتب الإلهية الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، وأنه أرسل إلى الخلق رسلاً من البشر ، وأنه أوجب العدل وحرّم الظلم والفواحش والشرك ، أو أمثال ذلك من الشرائع الكلية ، وأن فيها الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب بل هم متفقون على الإيمان باليوم الآخر .

وقد تنازعوا في بعض معانيها واختلفوا في تفسير ذلك كما اختلفت اليهود والنصارى في المسيح المبشر به النبوات هل هو المسيح بن مريم عليه السلام أو مسيح آخر ينتظر ؟ والمسلمون يعلمون أن الصواب في هذا مع النصارى ، لكن لا يوافقونهم على ما أحدثوا فيه من الإفك والشرك .

وذكر ص ٣٨٠ مسألة التبديل فقال : والتوراة هي أصح الكتب وأشهرها عند اليهود والنصارى ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر ، ذكر في نسخة السامرة منها - من أمر استقبال الطور - ما ليس في نسخة اليهود والنصارى ، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب ، فإن عند السامرة نسخاً متعددة وكذلك رأينا في الزبور نسخاً متعددة تخالف بعضها بعضاً مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيراً منها كذب على زبور داود عليه السلام .

وأما الأناجيل فالإضطراب فيها أعظم منه في التوراة « أ . هـ .

وقد سبق أن بينا أسباب هذا الإضطراب وصوره ويبدو أن لوثر كان كحاطب بليبل وكما هو معلوم فإن التفسير فرع التصحيح ، والحكم على شيء فرع عن تصوره والسلوك مرآة الفكر .

فإعتقاد لوثر لكل ماجاء في الإنجيل أو الكتاب المقدس ، وإلزامه خصومه به ، كان يُحسب له ، لو ثبت الأصل الذي يحتج به ويبنى عليه .

قال ابن القيم في «هداية الحيارى» ١٠٢ فما بعدها مانصه :

« النصارى تخالف التوراة التي بأيدي اليهود ، والتي بأيدي السامرة تخالف هذه وهذه ، وهذه نسخ الإنجيل يخالف بعضها بعضاً ويناقضه ، فدعواهم أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقاً وغرباً من البهت والكذب الذي يروجونه على أشباه الأنعام ، وإن هذه التوراة التي بأيدي اليهود فيها من الزيادة والتحريف والتقصان مالا يخفى على الراسخين في العلم .

وهم يعلمون قطعاً أن ذلك ليس في الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح ، وكيف يكون في التوراة قصة موت موسى ودفنه في أرض موآب ؟ وكيف يكون في الإنجيل الذي أنزل على المسيح « قصة صلبه » وما جرى له ، وأنه أصابه كذا وكذا وصلب يوم كذا وكذا ، وأنه قام من القبر بعد ثلاث ، وغير ذلك مما هو من كلام الشيوخ النصارى ، وغايته أن يكون من كلام الحواريين خلطوه بالإنجيل وسموا الجميع إنجيلاً وكذلك كانت « الأناجيل عندهم أربعة » يخالف بعضها بعضاً .

ومن بهتهم وكذبهم قولهم : إن التوراة التي بأيديهم وأيدي اليهود والسامرة سواء والنصارى لا يقرون أن الإنجيل منزل من عند الله على المسيح وأنه كلام الله^(١) بل كل فرقهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة ولا يعرفون عن الإنجيل غير هذا : « إنجيل ألفه متى تلميذ المسيح بعد

١ . النصارى لا يقرون : أن المسيح ترك إنجيلاً مكتوباً ويقولون : أن الروح القدس ألهم كتاب الأناجيل وعصمهم من الخطأ ، والروح القدس هو الله نفسه عند الأرثوذكس (كنيسة الأسكندرية) وهو إله مستقل بنفسه .

تسع سنين من رفع المسيح وكتب بالعبرانية في بلد يهود (يهوذا بالشام أي اورشليم القدس) بالشام ، وإنجيل ألفه مرقس الهاروني تلميذ شمعون (أي بطرس سمعان) بعد ثلاث وعشرين سنة من رفع المسيح ، وكتبه باليونانية في بلاد أنطاكية من بلاد الروم ، ويقولون أن شمعون المذكور هو ألفه ثم محى اسمه من أوله ونسب إلى تلميذه مرقس ، وإنجيل ألفه (لوقا) الطبيب الأنطاكي تلميذ شمعون بعد تأليف مرقس ، وإنجيل ألفه يوحنا تلميذ المسيح بعد مارفع المسيح بوضع وستين سنة ، كتبه باليونانية ، وكل واحد من هذه الأربعة يسمونه الإنجيل ، وبينها من التفاوت والزيادة والنقصان ما يعلمه الواقف عليها ، وبين توراة السامرة واليهود والنصارى من ذلك ما يعلمه من وقف عليها فدعوى الكاذب الباهت أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقاً وغرباً بعداً وقرباً ، من أعظم الفرية والكذب وقد ذكر غير واحد من علماء الإسلام ما بينها من التفاوت والزيادة والنقصان والتناقض لمن أراد الوقوف عليها (انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية ، و(إظهار الحق لرحمة الله الهندي) ولولا الإطالة وقصد ما هو أهم منه لذكرنا منه طرفاً كبيراً . هـ .

إتباع لوثر للمسيح يوجب عليه إتباع رسول الله ﷺ

لقد أظهر لوثر في اعتراضه على البابا والكنيسة الكاثوليك تمسكاً بالكتاب المقدس وعملاً بأقوال المسيح ونحن بإذن الله نلزمه بما تمسك به ، وندعوه للدخول في الإسلام ومتابعة رسول الله ﷺ هو وغيره من أهل الكتاب ، فالعلم بأنه ﷺ مذكور في الكتب المتقدمة يُعرف من وجوه متعددة :

(١) أخبار من قد ثبتت نبوته قطعاً بأنه مذكور عندهم في كتبهم ، فقد أخبر به من قام الدليل القطعي على صدقه فيجب تصديقه فيه ، هذا لولم يعلم ذلك إلا من مجرد خبره فكيف إذا تطابقت الأدلة على صحة ما أخبر به .

(٢) أنه جعل الإخبار به من أعظم أدلة صدقه وصحة نبوته وهذا يستحيل أن يصدر إلا من واثق كل الوثوق بذلك ، وأنه على يقين جازم به .

(٣) أن المؤمنين به من الأخبار والرهبان الذين آثروا الحق على الباطل صدقوه في ذلك وشهدوا له بما قال .

(٤) أن المكذبين والجاحدين لنبوته لم يمكنهم إنكار البشارة والإخبار بنبوة نبي عظيم الشأن صفته كذا وكذا وصفة أمته ومخرجه وشأنه ، لكن جحدوا أن يكون هو الذي وقعت به البشارة وأنه نبي آخر غيره ، وعلموا هم والمؤمنون به من قومهم إنهم ركبوا متن المكابرة وامتطوا غارب البهت .

(٥) أن كثيراً منهم صرح لخاصته وبطانته بأنه هو هو بعينه ، وأنه عازم على عداوته ما بقي .

(٦) أن إخبار النبي ﷺ بأنه مذكور في كتبهم هو فرد من أفراد إخباراته بما عندهم في كتبهم من شأن أنبيائهم وقومهم وما جرى لهم وقصص الأنبياء المتقدمين وأمهم وشأن المبدأ والمعاد وغير ذلك مما أخبرت به الأنبياء وكل ذلك ما يعلمون صدقه فيه ومطابقتها لما عندهم ، وتلك الإخبارات أكثر من أن تحصى ولم يكذبوه يوماً واحداً في شيء منها .

وكانوا أحرص الناس على أن يظفروا منه بكذبة واحدة أو غلطة أو سهو فينادون بها عليه ويجدون بها السبيل إلى تنفير الناس عنه ، فلم يقل أحد منهم يوماً من الدهر أنه أخبر بكذا وكذا في كتبنا وهو كاذب فيه بل كانوا يصدقونه في ذلك وهم مصرون على عدم اتباعه ، وهذا من أعظم الأدلة على صدقه فيما أخبر به لو لم يعلم إلا بمجرد خبره .

(٧) أنه أخبر بهذا لأعدائه من المشركين الذين لا كتاب عندهم ، وأخبر به لأعدائه من أهل الكتاب وأخبر به لأتباعه فلو كان هذا باطلاً لا صحة له لكان ذلك تسليطاً للمشركين أن يسألوا أهل الكتاب فينكرون ذلك هو تسليطاً لأهل الكتاب على

الإنكار وتسليطاً لأتباعه على الرجوع عنه والتكذيب له بعد تصديقه ، وذلك ينقض الغرض المقصود بإخباره من كل وجه وهو بمنزلة رجل يخبر بما يشهد بكذبه ويجعل إخباره دليلاً على صدقه وهذا لا يصدر من عاقل ولا مجنون ، فهذه الوجوه يعلم بها صدق ما أخبر به وإن لم يعلم وجوده من غير جهة إخباره فكيف وقد علم وجود ما أخبر به ؟ .

(٨) أنه لو قدر أنهم لم يعلموا بشاراة الأنبياء به وإخبارهم بنعته وصفته لم يلزم أن لا يكونوا ذكروه وأخبروا به وبشروا بنبوته ؟ إذ ليس كل ما قاله الأنبياء المتقدمون وصل إلى المتأخرين وأحاطوا به علماً ، وهذا مما يعلم بالإضطرار ، فكلم من قول قد قاله موسى وعيسى ولا علم لليهود والنصارى به ، فإذا أخبر به من قام الدليل القطعي على صدقه لم يكن جهلهم به موجباً لردّه وتكذيبه .

(٩) أنه يمكن أن يكون في نسخ غير هذه النسخ التي بأيديهم فأزيل من بعضها ونسخت هذه مما أزيل منه .

(١٠) أنه استشهد على صحة نبوته بعلماء أهل الكتاب وقد شهد له عدو لهم فلا يقدح جحد الكفرة الكاذبين المعاندين بعد ذلك .

قال تعالى : ﴿ ويقول الذين كفروا لست مرسلًا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ (الرعد : ٤٣) .

وقال تعالى : ﴿ قل أرايتم إن كان من عند غير الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (الاحقاف : ١٠) .

وقال تعالى : ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آتنا فآتينا مع الشاهدين ﴾ (المائدة : ٨٢ ، ٨٣) .

وقال تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آتنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما

صبروا ويدعون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴿ (القصص : ٥٢) .

وإذا شهد واحد من هؤلاء لم يوزن به ملء الأرض من الكفرة ، ولا تُعَارَضْ شهادته بجحود ملء الأرض من الكفار ، كيف والشاهد له من علماء أهل الكتاب أضعاف أضعاف المكذبين له منهم .

(١١) أنه لو قُدر أنه لا ذكر لرسول الله ﷺ بنعته ولا صفته ولا علامته في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب اليوم لم يلزم من ذلك أن لا يكون مذكوراً في الكتب التي كانت بأيدي أسلافهم وقت بعثته ولا تكون اتصلت على وجهها إلى هؤلاء بل حرفها أولئك وبدلوا وكتبوا ، وتواصوا وكتبوا ما أرادوا وقالوا هذا من عند الله .

ثم اشتهرت تلك الكتب وتناقلها خلفهم عن سلفهم فصارت المغيرة المبدلة هي المشهورة والصحيحة بينهم خفية جداً ، ولا سبيل إلى العلم بإستحالة ذلك ، بل هو في غاية الإمكان ، فهؤلاء السامرة غيروا مواضع من التوراة .

ثم اشتهرت النسخ المغيرة عند جميعهم فلا يعرفون سواها وهجرت بينهم النسخ الصحيحة بالكلية ، وكذلك التوراة التي بأيدي النصارى .

وهكذا تبدل الأديان والكتب ولولا أن الله سبحانه تولى حفظ القرآن بنفسه وضمن للأمة أن لا تجتمع على ضلالة لأصابه ما أصاب الكتب قبله .

قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر : ٩) .

(١٢) أنه من الممتنع أن تخلو الكتب المتقدمة عن الإخبار بهذا الأمر العظيم الذي لم يطرق العالم من حين خلق إلى قيام الساعة أمر أعظم منه ولا شأن أكبر منه ، فإنه قلب العالم وطبق مشارق الأرض ومغاربها ، واستمر على العالم على تعاقب القرون وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومثل هذا النبأ العظيم لا بد أن تتطابق الرسل على الإخبار به .

وإذا كان الدجال رجل كاذب يخرج في آخر الزمان وبقاؤه في الأرض أربعين يوماً قد تطابقت الرسل على الإخبار به وأنذره به كل نبي قومه من نوح إلى خاتم

الرسول ، فكيف تتطابق الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها على السكوت عن الإخبار بهذا الأمر العظيم الذي لم يطرق العالم أمراً أعظم منه ولا يطرقه أبداً ، هذا مالا يسوغه عقل عاقل وتأباه حكمة أحكم الحاكمين ، بل الأمر بضد ذلك .

ومابعث الله سبحانه نبياً إلا أخذ عليه الميثاق بالإيمان بمحمد وتصديقه .

كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾

قال ابن عباس : مابعث الله من نبي إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتابعنه .

الصراع من أجل إقامة النظام العالمي

مامن صاحب عقيدة ، إلا وهو يحرص على نشر عقيدته ، ويتمنى أن لو الناس كل الناس دخلوا في معتقده ، وبغض النظر عن صحة هذا المعتقد أو خطؤه ، وتجده يحب ويبغض ويوالي ويعادي في سبيل هذه العقيدة ، ولذلك فهو يصطدم بعقائد الآخرين ، ويسعيهم الحثيث من أجل إنفاذ مايعتقدونه ، وهذا ما يطلق عليه اسم صراع المناهج أو الصراع الأيديولوجي .

ولذلك فتساؤل البعض ، لماذا الحروب ، ولماذا الخلاف ، ولماذا لانعيش في

سلام يدل على جهل الواقع ، وغفلة من السنن الشرعية والكونية .

قال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ (البقرة : ١٢٠) .

وقال سبحانه : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء وودوا لو تكفروا ﴾ (المتحنة : ٢) .

وقال : ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ﴾ (الأنفال : ٣٦) .

وقال تعالى : ﴿ ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾

(هود: ١١٨ - ١١٩) وكما هو مشاهد فستن التدافع ماضية في الخلق ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ (البقرة: ٢٥١).

والصراع بين الإيمان والكفر والحق والباطل وبين أولياء الله وأولياء الشيطان قديم ، وقد جاهد النبي ﷺ الكفار بالسيف والسنان وجاهد المنافقين بالحجة واللسان وصاحب هذا السؤال لم يميز بين الحق الذي يجب أن يحيي به وفي سبيله ويزود بنفسه وماله دونه وبين الباطل المر الذي تثن النفوس وتود الخلاص منه ومن أهله .
والإنسان حين يُسلم وجهه لله ويعتقد إعتقاد الحق ، ولا يغفل عن الواقع المحيط به ، وأنه بذلك يكون قد دخل في صراع مع المذاهب والنظم والفلسفات الأرضية ومع الديانات المحرفة والمغيرة والمبدلة ، فليس هو في الساحة وحده .

فالشيوعي يحرص على نشر إلحاده ، وإمتلاك أسباب القوة لغرض الهيمنة على البلاد والعباد كما صنعت روسيا في أفغانستان وغيرها ، بل كانوا ينقلون أبناء الأفغان المسلمين إلى روسيا لتعليمهم مبادئ الإلحاد ، ورفضوا العلوم الليبرالية وصبغوا المناهج بالصبغة الشيوعية

وحرص اليهود على إقامة دولة عالمية عاصمتها القدس أمر لا يخفى على أحد وكلام زعمائهم وساستهم بلغة الدين ، ومن جملة ذلك تصريح موسى ديان عقب حرب سنة ١٩٦٧ بأنه يوم بيوم خبير وذلك في الكنيست الإسرائيلي .

فلو انتقلنا للفتيات كان لوجدنا حرصاً عظيماً من الكنيسة الكاثوليكية والبابا - قديماً وحديثاً - على الهيمنة والسيطرة على أزمة الأمور وإخضاع الحكومات والشعوب لكلمة الرب التي حرفوها وغيروها وبدلوها !!! .

ومحاولات التبشير في أفريقيا وهنا وهناك ، و تقاربهم من الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية لبسط النفوذ ، أمرواضح .

فلو تركنا هؤلاء وانتقلنا إلى الشيعة لوجدناهم لا يقلون حرصاً على نشر المعتقد الشيعي ، وتصدير نموذج الثورة الخومينية الشيعية الإيرانية ، وحرصهم على بسط

النفوذ على الحرم ، وعداوتهم لأهل السنة حتى في بلادهم أمر لا يخفى .
بل لانغالي لو قلنا إن عبَاد البقر والشيطان لهم عقيدة ودعوة وحرص على إنفاذ
مايعتقدونه وعداوة لغيرهم ، وماأحداث الشيخ والهندوس مع المسلمين منا ببعيدة
وأرى قبل أن نتقل لمناقشة من أحق العقائد والدعوات لإقامة النظام العالمي ، أن
نُذكر بمقولة الرئيس الأمريكي السابق بوش في خطابه الرئاسي سنة ١٩٩١ م
حين قال : (١)

إن أمريكا هي الوحيدة التي تملك المكانة الأخلاقية لإقامة النظام العالمي !!!
فساق المقدمة وهي امتلاك أمريكا للمكانة الأخلاقية واستخلص منها النتيجة وهي
الأحقية بإقامة النظام العالمي الواحد . فلا بأس من أن ننطلق من هذه العبارة حتى
ننظر من الذي يمتلك المكانة الأخلاقية بحق وبصدق ، فلا يبقى مجال لمنازعة في
إقامة النظام العالمي ، وقبل أن نبدأ لابد من التنويه بقيمة الأخلاق وماهيتها وارتباطها
بالعقيدة والدين .

المكانة الأخلاقية اللازمة لإقامة النظام العالمي

للأخلاق أهمية بالغة لما لها من تأثير كبير في سلوك الإنسان ومايصدر عنه ، وفي
ذلك يقول الغزالي :

فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على
وفقها لامحالة ومعنى ذلك أن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه .

قال تعالى : ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج
إلا نكدًا ﴾ (الأعراف : ٥٨) .

ولهذا كان لابد من الحرص على تزكية النفوس وغرس معاني الأخلاق الجيدة
فيها ، فوزن الأفعال والتروك سيتم بميزان الأخلاق وصحة هذا الوزن أو فساده إنما

١ - نص عبارته « إنها لفكرة عظيمة : نظام عالمي جديد تتعارن فيه أم مختلفة من أجل قضية مشتركة الولايات المتحدة هي الوحيدة التي تمتلك المكانة الأخلاقية والوسائل اللازمة لدعم هذا النظام » .

يتوقف على نوع المعاني الأخلاقية التي يحملها الإنسان من حيث جودتها أو رداءتها .

وقد بلغ من إهتمام الإسلام بالجانب الأخلاقي ، تعريف النبي ﷺ للدين بحسن الخلق وأنه أكثر ما يرجح كفة الحسنات يوم الحساب ، وأن أفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً ويبيّن أن حسن الخلق أمر لازم وشرطاً لا بد منه للنجاة من النار والفوز بالجنة ، وعلل صلوات الله وسلامه عليه الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة المكارم والفضائل وامتدحه سبحانه بحسن الخلق .
فقال: ﴿وانك لعلی خلق عظیم﴾ (القلم : ٤) .

والنصوص في هذه المعاني كثيرة ، ودعوة الإسلام إلى الأخلاق الكريمة ليست دعوة عامة مجملة فحسب ، بل من تتبع الكتاب والسنة وجد أن التحلي بالأخلاق الجيدة والتخلي عن الأخلاق الرديئة قد أتى مفصلاً لثلاث تختلف الناس فيها وتتدخل الأهواء في تحديد المراد منها ، فمن مظاهر رحمة الله بعباده أن يبيّن لهم ما يتقون وما يأخذون وما يتركون .

ومن خصائص نظام الأخلاق في الإسلام الشمول ، ونعني به أن دائرة الأخلاق الإسلامية واسعة جداً فهي تشمل جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره سواء أكان الغير فرداً أو جماعة أو دولة فلا يخرج شيء عن دائرة الأخلاق ولزوم مراعاة معانيها مما لا نجد له نظيراً في أية شريعة سماوية سابقة ولا في أية شريعة وضعية .

ومن أمثلة ذلك العلاقات الدولية التي صارت تفتقد للمعاني الأخلاقية حتى قال أحدهم : لا مكان للأخلاق في العلاقات الدولية ^(١) ولهذا كان الخداع والتضليل والغدر والكذب من البراعة السياسية .

١- لما صرح وزير الخارجية المصري بأن أمريكا والأمم المتحدة تكتل بمكيايين ، لأنهم سارعوا بضرب العراق بينما لم يحركوا ساكناً تجاه الصرب والكروات في إبادةهم البوسنيين المسلمين ردت عليه أمريكا بقولها : ضربنا العراق لمصلحتنا ولم نتدخل في البوسنة لمصلحتنا أيضاً!!! .

إن الإسلام حين يرفض هذا النظر السقيم يعتبر ماهو قبيح في علاقات الأفراد قبيحاً أيضاً في علاقات الدول فلا يحل في ديننا الغدر ، والله لا يحب الخائنين حتى ولو كانت الخيانة مع قوم كافرين ، وكانوا في نقض العهد بادين .

قال تعالى : ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾ (الأنفال : ٥٨) .

ولا يجوز للمسلم أن يخون أهل دار الحرب إذا دخل ديارهم بأمان
فالأخلاق لازمة في الوسائل والغايات .

قال تعالى : ﴿ وإن استصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ (الأنفال : ٧٢) .

فلا تجوز نصرة المسلمين المظلومين إن استلزمت نقض العهد مع الكفار الظالمين .
إن الأخلاق في الإسلام موصولة بالإيمان وتقوى الله .

قال تعالى : ﴿ فآتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ﴾ (التوبة : ٤) .

ولا إيمان لمن لأمانة له ، ولا عهد له ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال :
« والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من يارسول الله ؟ قال
الذي لا يأمن جاره بوائقه » .

فهل رأت الدنيا مثل هذه الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام ؟ يرسى أصولها ودعائمها !!! .

والآن نتقل لذكر بعض صور الحرص على إقامة النظام العالمي ، والرصيد الأخلاقي لكل ملة في حرصها هذا .

طبيعة اليهود

لقد كان آباء وأسلاف اليهود يشاهدون في كل يوم من الآيات ما لم يره غيرهم من الأمم ، وقد فلق الله لهم البحر وأنجاهم من عدوهم وماجفت أقدامهم من ماء البحر حتى قالوا لموسى ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾ (الأعراف : ١٣٨)

ثم عبدوا العجل من بعده ، لما ذهب لميقات ربه ، ولم يقدر هارون على منعهم وكانوا يهيمون برجم موسى وأخيه هارون في كثير من الأوقات !! ولما ندبهم إلى الجهاد قالوا : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ (المائدة : ٢٤).

وآذوا موسى بأنواع الأذى حتى قالوا : إنه أدر - أي متنفخ الخصية - فلم يكفوا حتى رأوه أحسن خلق الله متجرداً ، ولما مات أخوه هارون قالوا : إن موسى قتله وغيبه حتى عاينوه ميتاً .

وآثروا العود إلى مصر وإلى العبودية ليشبعوا من أكل اللحم والبصل والقشء والعدس ، وآثروا ذلك على المن والسلوى ، وانهماكهم على الزنا وموسى بين أظهرهم حتى ضعفوا عن عدوهم ، وعبادتهم الأصنام بعد عصر يوشع بن نون وتحايلهم على صيد الحيتان في يوم السبت حتى مسخوا قردة خاسئين ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، حتى قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً ، في أول النهار وأقاموا السوق آخره ، وقتلهم يحيى بن زكريا ونشرهم إياه بالمنشار ، وإصرارهم على العظائم ، واتفاقهم على تغيير كثير من أحكام التوراة ، ورميهم لوطاً بأنه وطئ ابنتيه وأولدهما .

فلو بلغت ذنوب المسلمين عدد الحصى والرمال والتراب والأنفاس ما بلغت مبلغ قتل نبي واحد ولا وصلت إلى قول الأمة الغضبية ، إخوان القردة :

﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ (آل عمران : ١٨) .

وقولهم ﴿ عزيز ابن الله ﴾ (التوبة : ٣٠) .

وقولهم ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ (المائدة : ١٨) .

وقولهم: « إن الله بكى على الطوفان حتى رمد من البكاء وجعلت الملائكة تعوده » .

وقولهم : « إنه عض أنامله على ذلك » .

وقولهم : « إنه ندم على خلق البشر وشق عليه لما رأى من معاصيهم وظلمهم » وأعظم من ذلك نسبة هذا كله إلى التوراة التي أنزلها على كلمه !!! .

وهذه الأمة الغضبية وإن كانوا مفترقين إفتراقاً كثيراً فيجمعهم فرقان « القراؤون والربانيون » وكلهم مثل همج رعاع يجمعهم طبل ويفرقهم عصى !! كما هو واضح في قصتهم مع شاول الخارج على داود ، وحيل حاخاماتهم الدنيئة معلومه وذلك لابتزاز الأموال والمكانة بإظهار التشدد والورع .

ومن شريعتهم نكاح امرأة الأخ أو العار وهذه من جملة مسائل شرعهم المبدل أو المنسوخ ، وصلاتهم عبارة عن دعاء على الأم وإفك على الله تعالى وتقدس .

وقد لاقى إخوان القردة من الإذلال والصغار من مختلف الأمم والدول مما كان سبباً في طمس معالم دينهم وآثارهم ، وقد جحدوا نبوة المسيح ورموه وأمه بالعظائم ونعته والبشارة به موجود في كتبهم !! .

واليهود تقرر أن السبعين كاهناً اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة ، وذلك بعد المسيح في عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم وهم يقرون أيضاً أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلاً ظاهراً وزادوا ونقصوا ، والسامرة تدعى ذلك عليهم ، وعلى الرغم من ذلك كله يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وأن شعوب العالم حميراً وعبيد لهم ، مستباحة أموالهم وأعراضهم يخادعون ويسرقون ويغشون ويرتكبون كل الجرائم دون وازع أو رادع .

فاليهود هم اليهود قديماً وحديثاً وامتلاكهم لسلح المال واستخدامهم لعنصر النساء أضر شئ على الدنيا ، وماجاوروا شعباً إلا وعلم خستهم ودناءتهم .
وتكفي القراءة السريعة لبود البروتوكولات لحكماء صهيون لتتعرف على طبيعة العقلية التي تريد أن تحكم الدنيا ، ومن عجيب الأمر أن تجد ساسة وزعماء اليهود يحرصون على التكلم بلغة الدين حتى يومنا هذا ، فهل هذا هو الدين الذي سيقومون له وبه الدولة العالمية !!! .

(١) الدولة اليهودية العالمية

إن التخطيط اليهودي يقوم على أساس تثبيت أقدامهم وتحطيم كل ما هو غير يهودي أو مناوئ لليهود وتمجيد اليهودية في جميع مظاهرها ، وإشاعة العلمانية اللادينية تُعتبر من أخطر الوسائل التي يستخدمها اليهود لإنفاذ مخططاتهم .
ومن أجل إقامة الدولة العالمية حرصوا على جمع اليهود من كل بلاد العالم ويسعون لهدم المسجد الأقصى لإقامة هيكل سليمان على أنقاضه وبحيث تصبح القدس عاصمة لدولة إسرائيل الكبرى .

وقد استطاعوا أن ينتزعوا الإعراف بدولة إسرائيل وأن يقيموا علاقات طبيعية مع المسلمين ، وفرضوا بذلك سياسة الأمر الواقع وساعدهم على ذلك أمور عديدة فهذه الدولة العقائدية - في إسمها وعلمها المرفوع جاءت ثمرة الجهد اليهودي المنظم ، وثمره هيئة الأمم المتحدة المشبوهة وثمره الخيانة لبعض الزعماء العرب ، وهى ثمرة التآمر الماسوني الصهيوني الذي أقصى السلطان عبد الحميد وجاء بأتاتورك والحرب العالمية الأولى وهو ثمرة التآمر البريطاني ووعدهم بلفور ، ثم هي قبل كل شئ وبعده انتقام رباني بسبب نسياننا لديننا ، فالمتبع للأحداث يجد أن مؤتمر بال في سويسرا سنة ١٨٩٧ م بزعامه الصحفي اليهودي هرتزل قد عُقد للمطالبة بالدولة اليهودية ، وتوالت الأحداث لتكتمل المؤامرة في نهاية الحرب العالمية الأولى بإيقاع

١- راجع كتابي « دولة إسرائيل الكبرى و اتفاق غزة وأريحا » .

الصراع بين العرب والترك ، وحلول فرنسا وإنجلترا بدلاً من الدولة العثمانية في هذه المناطق بعد معركة أدارتها إنجلترا بقيادة لورانس (ملك العرب غير المتوج) ، وجلاء إنجلترا عن فلسطين سنة ١٩٤٨ م تمهيداً لأن تقع بما فيها بيت المقدس في أيدي اليهود .

وقد سارعت أمريكا وروسيا (وجهان لعملة يهودية واحدة) - بالإعتراف بالدولة اليهودية - بعد قيامها بدقائق ، ومن عجيب الأمر أن وعد بلفور والثورة الشيوعية قد حدثتا في سنة واحدة ، بل في شهر واحد ، وانتهت حرب الأسلحة الفاسدة والخيانة والعمالة سنة ١٩٤٨ م بالهدنة ، ثم أصبحت قضية فلسطين قضية المتاجرة وكسب الزعامة من جهة البعض ، والشجب والإستنكار من جهة الفريق الآخر ، ومالم يكسبه اليهود بالحرب كسبوه بالسلم .

وإذا كان لابد من مواجهة مع اليهود ، فهذا يدفعنا للتعرف على طبيعتهم وأهدافهم ، من باب عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن باب اعرف عدوك ، لابد من فهم الدين اليهودي الذي يوجه عقل الصهيوني وقلبه مساره متمثلاً في التوراة والتلمود ، كما ينبغي فهم المخططات اليهودية والصهيونية (بروتوكولات صهيون ومذكرات هرتزل) ومعرفة أن الجمعيات اليهودية^(١) ، سرية وعلنية تهدف إلى تدمير البشرية ، فالصهيونية هي اليهودية الحقيقية المتمثلة بالتوراة ، وهي التي وصفها عزرا وبطائته في المنفى في بابل ، ولو نظرنا في البروتوكولات ، سنجد أن البروتوكول الأول يقول : الحق يكمن في القوة ، وعلى باب الكنيست رسموا خريطة دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات ، أي أن العراق ومصر وسورية والأردن ولبنان والحجاز داخله في إطار أرض الميعاد عند اليهود ، وقد استطاع اليهود مؤخراً

١ - الوكالة اليهودية العالمية تمثل قيادة الكيان اليهودي فهي تضم مختلف فرقهم وأحزابهم وهيئاتهم من خلال علماء كبار متخصصين ، ويسخر هؤلاء العلماء جميع إمكاناتهم لخدمة الأهداف والمطامع اليهودية ، وقد تمكنت من إقامة دولة لهم في فلسطين .

أن يحصلوا من بابا الفاتيكان بروما على البراءة من دم المسيح ، واعترف البابا بنوتهم لله وبالمجد لهم ودعا إلى اتحاد الشعب اليهودي مع الكنيسة المسيحية ، علماً بأن اليهود يخاصمون النصارى عقدياً ويتهمونهم بعبادة الصور والصليب كما يتهمون المسيح والعذراء ، وقد استطاع اليهود السيطرة والتغلغل في المنظمات الدولية كالأمم المتحدة ، وامتلاك سلاح الإعلام والمال والإقتصاد ، وتوجيه دفة السياسة في بعض البلدان الأوربية والأمريكية ، نقول ذلك بعيداً عن التهويل والتهوين أيضاً ، ورغم معرفتنا بذلك كله إلا أننا نقول : إنهم ماعادوا مرة للإفساد إلا وعاد عليهم ربنا بالإهلاك وإفسادهم الآن لا يخفى على أحد .

﴿ وإن عدم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ (الإسراء : ٨) .

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ

قال : « لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود » .

واليهود الآن يزرعون الغرقد بكثرة ، وهم يتجمعون الآن بفلسطين من شتى بقاع العالم لتكون هذه البقعة هي مقبرتهم بإذن الله .

وقد دلت الأخبار على أن المسلمين يدخلون بيت المقدس ويصلون فيه بإذن الله

وقل عسى أن يكون قريباً .

أخلاقيات الفاتيكان والكنيسة

جاء في بريد الإسلام العدد الثاني: «أذاعت وكالة C.N.N الأمريكية من « سان فرانسيسكو » الخبر التالي:

« على مدى ست سنوات كاملة من البحث والتمحيص قام فريق يتكون من مائتي باحث يفحص حقيقة نسبة الأقوال المنسوبة إلى المسيح في الإنجيل ، وقد أعلن مؤتمر المسيح Jesus Seminar أخيراً النتيجة التي توصل إليها الفريق وهي : أنه من بين ألف وخمسمائة مقولة منسوبة إلى المسيح في الإنجيل ، لا يصح أن ينسب إليه سوى إحدى وثلاثين مقولة ».

وقد استعان الباحثون بكتب المكتبات المصرية القديمة وكتب الفولكلور ، وكذلك كتب الأنثروبولوجيا ، بالإضافة إلى الإنجيل نفسه ، من أجل الوصول إلى حقيقة الإنجيل .

وقال البروفيسور « روبرت فانك » : إن المسيحيين الأوائل استلهموا تعليمات المسيح شفاهاً فقط ، حيث إنها بقيت غير مدونة لعدة أحقاب بعد المسيح .
وقال المذيع « مانقوله هو : أن عيسى قال العديد من الأشياء ، ولكن لأنه أصبح شخصية مهمة تاريخياً فقد تقول عليه أشخاص آخرون مسيحيون بالدرجة الأولى تقولوا عليه أشياء لم تخرج من فمه ».

وقد وجهت هذه النتيجة باعتراض من القيادات الدينية التقليدية التي لم تُدَلِّ بأي حجة علمية على اعتراضها ، بل اكتفى بعضهم بأن قال: « إن هذه الإكتشافات ستؤدي إلى المشاكل » وقال آخرون: « إننا لو حذفنا هذا القدر الكبير فسوف نذيب العهد الجديد كله » .

وقال فوكس الكاثوليكي: « فليقولوا لي : من أين يستمد صغارنا القوة في المستقبل ؟ ! وقال فريق البحث Jesus Seminar: « إن وظيفتنا هي مجرد بحث تاريخي وإن أعضاء الفريق ينوون أن يتركوا النتائج تفرض نفسها حيث ينبغي لها أن

تكون» وهذا الخبر هو شهادة شاهد من أهلها يتوافق مع ماسبق أن ذكرناه ونقلناه بشئ من التفصيل في مواضع متعددة من الكتاب .

ويبقى السؤال كيف تربي الأجيال على أساس كهذا ؟ وهل تتوافر بعد ذلك عناصر الثقة في الأصول النصرانية ، حتى يندفع الناس بأمان وطمئينة للعمل بمقتضاها؟! والأمر لا يتطلب منا أن نذكر وندلل ببعض الأسفار^(١) وماورد فيها من إثارة الغرائز والشهوات وتشبيه بالنساء مما لا تطيب به نفس .

وأشد من ذلك فساد العقيدة وما يترتب على ذلك من فساد الأخلاق والسلوك ومن ذلك ما ذكره الإمام ابن القيم بعد كلامه على الجامع العشرة المشهورة .

قال رحمه الله : « فإذا كانت هذه حال المتقدمين مع قرب زمنهم من أيام المسيح وبقاء أخبارهم فيهم والدولة دولتهم والكلمة لهم وعلماءهم إذ ذاك أوفر ما كانوا واحتفالهم بأمر دينهم واهتمامهم به كما ترى ثم هم مع ذلك تائهون حائرون بين لاعن وملعون لا يثبت لهم قدم ولا يتحصل لهم قول في معرفة معبودهم ، بل كل منهم قد اتخذ إلهه هواه ، وباح باللعن والبراءة ممن اتبع سواه ، فما الظن بحثالة الماضيين ، ونفاية الغابرين ، وزبالة الحائرين ، وذرية الضالين ، وقد طال عليهم الأمد وبعد العهد وصار دينهم ما يتلقونه عن الرهبان ، وقوم إذا كشفت عنهم وجدتهم أشبه شئ بالأنعام ، وإن كانوا في صور الأنعام .

بل هم كما قال تعالى ومن أصدق من الله قيلاً؟ ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ (الفرقان : ٤٢) .

وهؤلاء هم الذين عناهم الله سبحانه بقوله : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ (المائدة : ٧٧) .

ومن أضل من أمة الضلال بشهادة الله ورسوله عليهم ؟ وأمة اللعن بشهادتهم على نفوسهم بلعن بعضهم بعضاً ؟ وقد لعنهم الله سبحانه على لسان رسوله في

١- ومن ذلك نشيد الأنشاد الأصحاح الأول والسابع والثامن ٩٨٥ - ٩٩١ .

قوله ﷺ : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد - يحذر ما يفعلون - » .

هذا والكتاب واحد والرب واحد والنبي واحد ، والدعوى واحدة ، وكلهم يتمسك بالمسيح وإنجيله وتلاميذه ثم يختلفون فيه هذا الاختلاف المتباين .

فمنهم من يقول : « إنه الإله » (يقصد الأرثوذكس) .

ومنهم من يقول : « ابن الإله » (وهذا قول جميع النصارى لتطبيق المزمور الثاني على المسيح عليه السلام) .

ومنهم من يقول : « ثالث ثلاثة » (الكاثوليك) .

ومنهم من يقول : « إنه عبد » (جميع النصارى لتطبيق نبوءة أشعيا عليه نبوءة

الإصحاح الثاني والأربعين) .

ومنهم من يقول : « إنه أقنوم وطبيعة » (الأرثوذكس) .

ومنهم من يقول : « طبيعتان » (وهذا مذهب الكاثوليك) إلى غير ذلك من

المقالات التي حكوها عن أسلافهم وكل منهم يكفر صاحبه .

فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم إلهاً ثم عرض عليهم دين النصرانية هكذا لتوقفوا عنه

وامتنعوا من قبوله ، فوازن بين هذا وبين ما جاء به خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله

وسلامه عليه تعلم علماً يضارع المحسوسات أو يزيد عليها

﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران : ١٩) أ . هـ .

وذكر الفضائح الأخلاقية المتفشية وسط رجال دينهم كالبابا الذي كانت له ألف

عشيقة والقس سوجارت وما يحدث بسبب الاعتراف والتواطؤ المريب

مع الصرب الصليبيين في وحشيتهم وهمجيتهم وغير ذلك كثير مما يندى له

الجبين ، لاأظن ذلك يخفى من جهة ، ولايستغرب من جهة أخرى ، فما الذي يُتَظَنَّرُ

من وراء خراب ودمار العقيدة ؟ ! .

حوص الكنيسة على إقامة النظام العالمي

البابا يوحنا بولس الثاني يصر على أن: «البشر ليس لهم أمل يعول عليه لخلق نظام سياسي طبيعي يمكن تطبيقه مالم يكن على أساس الديانة الكاثوليكية» وقد اجتمع رؤساء الكنائس البروتستانتية الأمريكية والأرثوذكسية الشرقية مع البابا يوحنا بولس الثاني، ووصفوا اجتماعهم هذا كأول مناقشة جماعية على الطريق إلى الوحدة.

وقد ذكر القسيس دونالد جونز من طائفة الميثودست المتحددين ورئيس قسم الدراسات اللاهوتي في جامعة كارولينا الجنوبية عن هذا الاجتماع أنه: «أهم اجتماع لمجلس الوحدة الكنائسي في هذا القرن».

ووصفه القسيس بول أي كروجونير في أنديانا بوليس وهو موظف في مجلس الوحدة الكنائسية العالمي في كنيسة (تلاميذ المسيح) بأنه: «يوم جديد في حركة الإتحاد الكنائسي العالمي يفتح مستقبلاً حيث الله يجمعنا إلى بعض إن الكاثوليكية تزحف وتتمركز في أماكن كثيرة^(١) وهي بعيدة المدى في خططها وأساليب عملها تستخدم كل وسيلة لنشر نفوذها وزيادة قوتها.

إن الكنيسة الكاثوليكية اليوم تحاول أن تقدم للعالم وجهاً جميلاً، فهي تقدم الاعتذرات عن سجلها القاسي، ولكن الحقيقة أنها لم تتغير إذ لازالت تحتضن نفس المبادئ، والإعتذار بأن الكنيسة قد أسئ إليها جعل العالم البروتستانتى ينظر إلى الكاثوليكية بعين الرضا والقبول، وكثيرون من هؤلاء يقولون: إنه ليس من الإنصاف الحكم على كنيسة اليوم بالرجسات والسخافات التي اتصف بها حكمها في عصور الجهل والظلام وهم يعتذرون عن قسوتها الرهيبة ويظنون أن هذه القسوة كانت نتيجة وحشية تلك العصور ويضيفون أن تأثير المدنية الحديثة قد غير أفكارها.

١- للنصارى دولة تتحدث باسمهم إسمها «الفاتيكان» ورئيس هذه الدولة هو أكبر رجل دين بين النصارى، يختاره رجال الدين عندهم عن طريق الإنتخابات ويلقب «بالبابا» وله سفراء يمثلونه في معظم دول العالم وكلمته مسموعة في أمريكا وأوروبا وخصوصاً فرنسا لأنها تعتبر نفسها حامية خمس النصارى في العالم.

لقد كان البروتستانت يرون أن الكاثوليكية كنظام لا تنسجم مع مبادئ الكتاب المقدس ، ولكن حدث تغيير كبير ، فقد صرحت بعض الدول البروتستانتية بأن الإختلاف بينها وبين الكاثوليكية أقل اليوم مما كان قبلاً والسبب في ذلك عدم التمسك بالعقائد التي فصلت بين البروتستانت والنظام البابوي ، فلم يعد هناك إختلاف كبير في النقاط الجوهرية .

وإذا كانوا قد علموا أولادهم يوماً أن يمتقنوا البابوية لاتهمهم روما وتعاليمها بالخيانة إلا أن ذلك يتباعد كثيراً عما يُنادى به اليوم من أهمية الإقتراب من البابوية ومناصرتها ، وهذا لا ينفي وجود بعض الأصوات المبعثرة هنا وهناك ، تدق نواقيس الخطر وتعلن أن سيادة الكنيسة الكاثوليكية سيهدد الحريات المدنية والدينية وأنها لا يمكنها التنازل عن مبادئها التي حكمت مسيرتها في الأجيال الماضية كادعاء العصمة وتأكيد روما أن الكنيسة لم ولن تخطئ أبداً بغض النظر عن الكنيسة التي ستكون لها الهيمنة والسيادة .

وإن كانت المؤشرات المادية ترجح كفة الكنيسة الكاثوليكية على الأرثوذكسية والبروتستانتية ، إلا أن الأمر يدل على سعى حثيث وحركة دءوب من أجل تسلم زمام الأمور وبسط النفوذ هنا وهناك ، بل المحاولة لرأب الصدع وتوحيد الكلمة واضحة كما مر بك ، ولا يبقى بعد ذلك إلا ردع المخالفين بهذه القوة العالمية ففي يمين الولاء للبابا ترد هذه العبارة :

« إنني سأضطهد وأقاوم بكل قوتي الهراطقة والمنشقين والعصاة على سيدنا البابا أو خلفائه » وهذه اليمين يحلفه كل كاردينال ورئيس أساقفة وأسقف في الكنيسة الكاثوليكية .

وقد وصف ريتشارد لوجر - عضو مجلس الشيوخ - الفاتيكان بأنه: « متتدى سياسي حساس وقوة سياسية بارزة من أجل الحشمة في العالم » وقال: « إنها تمثيلية محرجة لحكومتنا أن ترسل فقط مبعوث شخصي إلى البابا » .

وذكروا أن الفاتيكان أخذ مكانه المناسب في العالم كصوت عالمي وذلك تحت قيادة البابا يوحنا بولس الثاني الشجاعة ، وقالوا عن البابا إنه زعيمنا كلنا وأنه سيكون الزعيم العالمي في وحدة الكنيستين الإنجليكانية والكاثوليكية ، وتلبية لدعوة البابا اجتمع قادة من ديانات الأرض في مدينة ايطالية هادئة من مدن القرون الوسطى تُدعي أسيس

تصريحات كثيرة تُعبر عن واقع العودة أو صبغ الحياة بصبغة نصرانية وبحيث تكون السيادة للبابا والكنيسة الكاثوليكية ...

ولا أغالي لو قلت إنه تجمع لبعث الوثنية من جديد ومحاولة نفخ الروح فيها ، فيا ليتهم رجعوا لدين المسيح الأصل وأسلموا وجوههم لله ، وأفردوا ربهم بالتوحيد والعبادة وآمنوا برسول الله ﷺ الذي بشرهم به موسى وعيسى وسائر الأنبياء وتركوا التبديل والتغيير والغلو في عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ... أقول : لو آمنوا لكان خيراً لهم وهنياً لهم حينئذ صبغ الحياة المادية بالدين والتجمع من أجل إقامة الدولة العالمية وسيجدوننا تبعاً لهم بإذن الله لانافسهم زعامة ولاسيادة :

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ . (آل عمران : ٦٤) .

هل امتلاك الأمريكان المكانة الأخلاقية ؟

لا يمكننا الفصل بين الأخلاقيات والسلوكيات لدى فرد أو أمة وبين العقيدة التي تدين بها ، وهذا من باب رد الفروع إلى أصولها أو النتائج إلى مقدماتها ، إذ كما هو معلوم فإن لكل مقدمة نتيجة ولكل عقيدة تأثير .

قال تعالى : ﴿ إنما المشركون نجس ﴾ (التوبة : ٢٨) .

وليس ذلك لنجاسة أبدانهم بسبب عدم استخدام الماء ، وإنما ذلك بسبب عدم اعترافهم بالحق ، فالإعتراف بالحق فضيلة وجحده رذيلة ، ولذلك كان التوحيد طهارة في الأخلاق والسلوك

والشرك بضد ذلك فإذا علمنا أن الأمريكان يتبعون الكنيسة البروتستانتية ، سهل علينا أن نحدد الملامح الأخلاقية لهم فالسلوك مرآة الفكر ، ينضاف إلى ذلك موجات التحلل والتفلسف من معاني الخير التي لا تكاد تخلو منها دعوة وإلا فالشيطان فقيه في الشر ، ومن فقهه في الشر يرضى الإنسان ببعض أفعال البر والخير حتى يوهمه بأنه ممن يُحسن الصنع .

ولا يخفى حرص الكنيسة الكاثوليكية على احتواء البروتستانت كما بينا وما يترتب على ذلك من إزدياد حدة السوء .

إن قول بوش في خطابه: «نحن الأمريكيون علينا مسؤولية فريدة للقيام بالمهمة الشاقة في نشر الحرية ، وحينما نفعل ذلك تعم الحرية من بين كل أمم العالم ، الولايات المتحدة وحدها ، التي تمتلك المكانة الأخلاقية والوسيلة للقيام بهذه المهمة » يدل على غطرسة وعنجهية أمريكية معتادة ، وعلى مغالطة للحق والواقع مكشوفة ومفضوحة ، وإلا فمتى كانت المكانة الأخلاقية حكراً على الأمريكان !؟

وهل كانت الدنيا خلواً من معاني الأخلاق قبل اكتشاف الأمريكيتين وظهور

أمريكا بهذا المظهر !؟

وهل امتلاك أمريكا لبعض مظاهر القوة هو المقصود بالوسائل اللازمة للقيام

بهذه المهمة !؟

هل المكانة الأخلاقية هي في تحويل فيتنام إلى غابات محروقة ، أو في قتل أكثر من ربع مليون عراقي في ظهورهم أثناء الإنسحاب وتدمير المستشفيات والجسور في بغداد أم هي في صناعة الانقلابات العسكرية.

يقول المعلق السياسي المكسيكي رودولفو أوريب : « إن عدالة النظام العالمي الجديد- أي الذي تنادي به أمريكا تمثلت في نوع من الإجراء الذي يتخذ ضد كل من لا يسمع ويطيع الرئيس الأمريكي ، إنه سيصنف بأنه سخييف وشيطان إن عدو أمريكا لا بد أن يوصف بأنه متعصب وغير عقلاني ومنحرف وتاجر مخدرات وإرهابي إلى غير ذلك من الأوصاف التي تبرر استخدام القوة ضده ».

أين المكانة الأخلاقية في مساندة اليهود وهم يارسون أبشع مظاهر الظلم والإضطهاد للشعب الفلسطيني المسلم وموقفهم لا يقل خزيًا في ترك الصرب الصليبيين يبيدون الشعب البوسني المسلم ، فلما أعترض عليهم بموقفهم تجاه العراق قالوا : تدخلنا في العراق لمصلحتنا ، وامتنعنا عن التدخل في قضية البوسنة أيضاً لمصلحتنا !!!.

إن سعي أمريكا للزعامة والسيطرة على العالم ليس دافعه الغرور والصلف الأمريكي فقط بل الأحقاد الموروثة من جهة والتدهور الإقتصادي الأمريكي من جهة أخرى .

إن القوة إن لم تستند إلى حق وشرعية كانت عريضة وظلماً وطغياناً ووبالاً على صاحبها ولايسعنا ولايسع غيرنا أن نفصل الأرض عن السماء ، فليس القرار النهائي للأمم المتحدة وشرعيتها الجائرة- كغطاء لأمريكا- نحن بحاجة لقراءة واعية للسفن الشرعية والكونية .

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾ (الإسراء : ١٦) .

والنذر والأمثلة في ذلك كثيرة ، راجع ما حدث في فيضان المسيسي وإعصار أندروا ...

﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ (هود: ١٠٢) .

مالذي يتصور لمن يسيحون الشذوذ والإجهاض ، وهل من الممكن أن يدوم

الباطل والظلم !؟

إن الأشياء بحقيقتها وواقعها لا بمجرد الإدعاء ، إننا نرفض هذه الحريات - اللجنة الموعودة - التي يروج لها الأمريكان من وراء نظامهم العالمي الجديد والتي تعني حرية أن يزنّي الإنسان ويزنّي به (وهذه هي الحرية الشخصية) ، وإن يجهر بكفره وإلحاده وإباحيته (وهذه هي حرية الرأي والفكر) وأن يمتلك بالربا وبلا ضابط ولا رابط (حرية تملك) .

إن تملك الأمريكان من إقامة النظام العالمي الجديد يساوي هدم العقيدة

الصحيحة والأخلاق الفاضلة .

النظام العالمي الجديد

لقد كان الجهاد الأفغاني بمثابة مسمار في نعش الشيوعية ، فإذا ما اقتربنا من عقيدة ونظام هذا المعسكر الشيوعي تيقنا أنه يحمل في طياته عوامل هدمه ، فهو معسكر وكّد لكي يموت ومحاولات إنعاشه وإطالة عمره محكومة حتماً بالفشل .

لقد أدى انصراف الدب الروسي إلى أموره الداخلية - في ظاهر الأمر - إلى أن أصبحت أمريكا ذات يد طليقة تبطش بها في أي مكان شاءت من العالم واستخدمت الأمم المتحدة كديكور لتغطية سياسات العريضة .

وجاء جورج بوش وهو رئيس المخابرات السابق والخبير بالإرهاب والدسائس والمؤمرات وفي ذهنه أفكار ويلسون^(١) وروزفلت عن أهمية وجود قوة استعمارية تفرض نظامها على شعوب العالم وقد كان أول شيء فعله بوش حينما دخل البيت

١. فكرة (الامن الجماعي) لويلسون ، و(رجال الشرطة الأربعة) لروزفلت .

الأبيض هو أن علق صورة روزفلت ، إذن فالنظام العالمي الجديد ، سبقته محاولات ومقدمات ، وقد أتى بوش ممثلاً لليمين الأمريكي ، وهو البروتستانتى المتدين ، وراعي مصالح شركات النفط ، ورئيس المخابرات السابق .

يقول بوش في خطاب ترشيحه للرئاسة سنة ١٩٨٨ : «نحن الأمريكيون الذين أنقذنا أوروبا ، وقضينا على داء شلل الأطفال ، وذهبنا إلى القمر ، وأضأنا العالم بشقافتنا ، نحن الآن علي مشارف قرن جديد فأبي بلد سوف يحمل اسمه ذلك القرن؟ أنا أقول إنه سيكون قرن أمريكي آخر» .

وقال وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر في خطاب له يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٩٠ : « أمريكا يجب أن تقود ، إن التدخل الأمريكي وحده هو القادر على أن يضع السلام العالمي الذي يتطلع إليه شعبنا» .

وقال بوش لمجموعة من رجال الأعمال من شيكاغو : « في المستقبل المنظور ليس هناك بلد سينازعنا القيادة ، وبينما ينصرم القرن العشرين ويهل القرن الحادي والعشرون ستبقى أمريكا تمثل آخر أمل للبشرية » .

إذن فالنظام العالمي الجديد يعني الهيمنة الأمريكية المطلقة بغطرستها وعجرفتها أو هو كما يقول أحد السياسيين : (نظام أمريكي يديره رئيس مخابرات سابق) إن التفسير الوحيد^(١) لهذا (النظام الجديد) الذي يبشر به بوش هو مافهمه رئيس وزراء ماليزيا مهاتير محمد حينما قال :

« إن الحملة الأمريكية الحالية تحمل في طياتها ضغوطاً على الدول الأخرى منها ما هو سياسي واجتماعي واقتصادي كذلك ، بل إنني لا أستبعد حملات عسكرية » لقد بدأ الحديث عن النظام العالمي لمواجهة الإرهاب الدولي (اللبنانيون الفلسطينيين) ، ثم انتقل إلى مواجهة تجارة المخدرات (كولمبيا ، بنما) ثم أخيراً بدأ الحديث عن الأصولية والأصوليين .

١راجع مقالة النظام العالمي الجديد (لمحمد عبد الرحمن الحفيف) بمجلة السنة عدد (١٣) .

إن أمريكا لا تقبل من أوروبا فضلاً عن غيرها أن تشكل تهديداً للهيمنة الأمريكية المطلقة في العالم ، وهي الآن تقود ، بل تعربد دون أن يستطيع أحد أن يرفع رأسه حتى وإن أدى بها ذلك إلى تجاوز قرارات مجلس الأمن .
ويقترح البعض الآن فكرة « الشركاء العالميون » بحيث تتحقق سيطرة هؤلاء الشركاء على مصائر شعوب العالم باسم (الشرعية الدولية) بقيادة أمريكا هذا هو النظام العالمي الجديد الذي ملأوا الدنيا ضجيجاً عنه ، لاشئ أكثر من عربدة وتسلط أمريكي بغطاء دولي .

تعسف البروتستانت في تطبيق نبوءة الوحش على أمريكا

في كتاب ماذا وراء النظام العالمي الجديد^(١) يقول : « مؤلفه على نقيض أولئك الذين يحفظون وصايا الله وعندهم إيمان يسوع ، يشير الملاك الثالث إلى فريق آخر ينطق الملاك بإنذار خطير ومخيف ضد أخطاءهم وضلالتهم فيقول : إن كان أحد يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته أو على يده فهو أيضاً سيسرب من خمر غضب الله » رؤيا ١٤ : ٩ ، ١٠ .

إن النبوءة التي تحوي هذه الرموز تبدأ في سفر الرؤيا الاصحاح الثاني عشر بالتنين الذي حاول أن يهلك المسيح عند ولادته ، التنين هو الشيطان (رؤيا ١٢ : ٩) وهو الذي حرك هيرودوس لكي يقتل المخلص ولكن وسيلة الشيطان الرئيسية التي استخدمها ضد المسيح وضد شعبه في غضون القرون الأولى للتاريخ المسيحي كانت الامبراطورية الرومانية .

وهكذا ففي حين أن التنين يرمز إلى الشيطان فإنه بصورة ثانوية يرمز إلى روما الوثنية ، وفي الاصحاح الثالث عشر (الأعداد ١ - ١٠) يأتي وصف لوحش آخر « شبه نمر » وقد أعطاه التنين « قدرته وعرشه وسلطاناً عظيماً » هذا الرمز كما

١- لم يذكر المؤلف اسمه ، ويبدو أنه من طائفة البروتستانت الحانقين على النظام البابوي والكنيسة الكاثوليكية .

اعتقد البروتستانت يرمز إلى البابوية التي ارتقت إلى القوة والعرش والسلطان الذي كان قبلاً للإمبراطورية الرومانية القديمة

هذه النبوة التي هي مطابقة تقريباً للوصف الذي جاء عن القرن الصغير الوارد في سفر دانيال (٧) تشير بلا شك إلى البابوية .

ثم يقول النبي : « ورأيت واحداً من رؤوسه كأنه مذبح للموت » .

ثم يقول أيضاً : « إن كان أحد يجمع سبياً فألى السبي يذهب وإن كان أحد يقتل بالسيف فينبغي أن يقتل بالسيف » .

ففي سنة ١٧٩٨ أخذ البابا أسيراً بواسطة الجيش الفرنسي بأمر من نابليون بونابارت بهذا أصيبت البابوية بجرح مميت وتمت النبوة القائلة : إن كان أحد يجمع سبياً فألى السبي يجب أن يذهب ، ثم يقدم النبي رمزاً آخر فيقول : ثم رأيت وحشاً آخر طالعاً من الأرض وكان له قرنان شبه خروف (رؤيا ١٣ : ١١) .

وتحت عنوان أمريكا في النبوة كتب يقول : كتب كاتب مرموق في وصفه قيام الولايات المتحدة من فراغ قائلاً : كبذار صامت نمونا إلى أن أصبحنا إمبراطورية . وكتبت جريدة أوروبية عن الولايات المتحدة تصفها كإمبراطورية مدهشة « طالعة وسط سكون الأرض وكانت كل يوم تزداد قوة وكبرياء كان له قرنان شبه خروف » هذان القرنان يمثلان بصورة صحيحة الشباب والبراءة والرقعة واللفظ التي تمثلت بهم الولايات المتحدة .

لكن الوحش ذو القرنين شبه الخروف كان يتكلم كثنين ويعمل لكل سلطان الوحش أمامه ويجعل الأرض والساكنين فيها يسجدون للوحش الأول الذي شفى جرحه المميت قائلاً للساكنين على الأرض أن يصنعوا صورة للوحش الذي كان به جرح السيف وعاش « (رؤيا ١٣ : ١١ - ١٤) .

فلكي تصنع الولايات المتحدة صورة للوحش ينبغي أن السلطة الدينية تسيطر على الحكومة المدنية بحيث تستخدم الكنيسة السلطة المدنية في إتمام أغراضها .

إن صورة الوحش تمثل البروتستانتية المرتدة التي ستشكل عندما تطلب الكنائس البروتستانتية معونة السلطة الدينية لغرض إرغام الناس على قبول عقائدها .
وذكر أن البابوية أول ما استخدمت السلطة المدنية كان لغرض فرض يوم الأحد « كيوم الرب » ولكن الكتاب المقدس بين أن اليوم السابع وليس اليوم الأول هو يوم الرب فقد قال المسيح: « إن ابن الإنسان هورب السبت » والوصية الرابعة تعلن :
أما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك وعلى لسان النبي أشعيا يدعو الرب
« يوم قدس » مرقس ٢ : ٢٨ وأشعيا ٥٨ : ١٣ .

إن هذا المؤلف البروتستانتى يلزمه أولاً إثبات النبوءات التي استدلت بها ، وفي حالة ثبوتها يلزمه أن يترك الواقع يفسر له هذه النبوءات دون تعسف أو تكلف ، بحيث ينطبق الخبر على الواقع تمام التطابق ، طالما أنه خبر صادق نطق به النبي يوحى ربه ، فالحيوانات والرموز والإشارات قد تصدق على هذا وعلى غيره ، وقد يتواجد وجه شبه بين الصورة والأصل ولكي تجزم بالتطابق تحتاج لدليل أوضح من شمس النهار .

ولا يسعنا إلا أن نردد مع البروتستانت والكاثوليك وغيرهم قول ربنا
﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون ، وانتظروا إنا منتظرون
ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبدوه وتوكل عليه وما ربك بغافل
عما تعملون ﴾ (هود : ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣) .

بين اليهودية والنصرانية والإسلام

مأحسن ماذكر شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابه « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » فقد ذكر كلاماً مجملاً بليغاً يخضع له كل من تأمله ، فافتح له قلبك وعقلك ، نفعنا الله وإياك به قال مانصه :

« وسيرة الرسول ﷺ وأخلاقه وأقواله وأفعاله من آياته ، أي من دلائل نبوته قال : وشريعته من آياته ، وأمته من آياته ، وعلم أمته من آياته ، ودينهم من آياته ، وكرامات صالحي أمته من آياته .

وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلى أن بُعث ، ومن حين بُعث إلى أن مات ، وتدبرُ نسبه وبلده وأصله وفضله ، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً من صميم سلالة إبراهيم الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب فلم يأت بعد إبراهيم نبي إلا من ذريته ، وجعل الله له ابنين : إسماعيل وإسحاق ، وذكر في التوراة هذا وهذا ، وبشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل ولم يكن من ولد إسماعيل من ظهر فيه ما بشرت به النبوات غيره .

ودعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأن يبعث الله فيهم رسولاً منهم ، ثم الرسول ﷺ من قريش صفوة بني إبراهيم ، ثم من بني هاشم صفوة قريش ، ومن مكة أم القرى وبلد البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إلي حجه ولم يزل محجوجاً من عهد إبراهيم ، مذكوراً في كتب الأنبياء بأحسن وصف .

وكان ﷺ من أكمل الناس تربية ونشأة لم يزل معروفاً بالصدق والبر ومكارم الأخلاق والعدل وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم ، مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ومن آمن به ومن كفر به بعد النبوة ، ولا يعرف له شيء يعاب به لافي أقواله ولا في أفعاله ولا في أخلاقه ، ولا جُرب عليه كذبة قط ، ولا ظلم ولا فاحشة .

وقد كان ﷺ خلقه وصورته من أحسن الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة

على كماله .

وكان أمياً من قوم أميين لا يعرف هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب من التوراة والإنجيل ، ولم يقرأ شيئاً من علوم الناس ولا جالس أهلها .

ولم يدع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة ، فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره .

وأخبر بأمر لم يكن في بلده وقومه من يعرف مثله ثم اتبعه أتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس ، وكذب أهل الرياسة وعادوه وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم .

والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرغبة فإنه لم يكن عنده مال يُعطيهم ، ولا جهات يوليهم إياها ولا كان له سيف بل كان السيف والجاه والمال مع أعدائه وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون لا يرددون عن دينهم ، لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة .

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم فيجتمع في الموسم قبائل العرب فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم إلى الله صابراً على ما يلقاه من تكذيب المكذب وجفاء الجافي وإعراض المعرض إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود ، وقد سمعوا أخباره منهم وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذي يخبرهم به اليهود .

وكانوا سمعوا من أخباره أيضاً ما عرفوا به مكاتته ، فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة فآمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم ، وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة ، وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة ذنوبية ، ولا برغبة إلا قليلاً من الأنصار أسلموا في الظاهر ثم حسن إسلام بعضهم ، ثم أذن له في الجهاد ، ثم أمر به ،

ولم يزل قائماً بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها ، من الصدق والعدل والوفاء

لأُحفظ له كذبة واحدة ولا ظلم لأحد ، ولا غدر بأحد ، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال ، من حرب وسلم وأمن وخوف ، وغني وفقر وقدرة وعجز ، وتمكن وضعف ، وقلة وكثرة ، وظهور على العدو تارة ، وظهور العدو تارة ، وهو على ذلك كله لازمٌ لأكمل الطرق وأتمها ، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ، ومن أخبار الكُهان ، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق وسفك الدماء المحرمة ، وقطيعة الأرحام لا يعرفون آخرة ولا معاداً ، فصاروا أعلم أهل الأرض وأذنبهم وأعدلهم وأفضلهم حتى إن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا : ما كان الذين صحبوا المسيح أفضل من هؤلاء .

وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم ، يعرف العقلاء فرّق ما بين الأمرين وهو ﷺ مع ظهور أمره ، وطاعة الخلق له ، وتقديمهم له على الأنفس والأموال ، مات ولم يخلف درهماً ولا ديناراً ، ولا شاة ولا بعيراً ، إلا بغلته وسلاحه ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقاً من شعير ابتاعها لأهله وكان بيده عقار ينفق منه على أهله والباقي يصرفه في مصالح المسلمين .

فحكّم بأنه لا يورث ولا يأخذ ورثته شيئاً من ذلك وهو في كل وقت يُظهر من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه ، ويخبرهم بما كان وما يكون ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويشرع الشريعة شيئاً بعد شيء .

حتى أكمل الله دينه الذي بعثه به ، وجاءت شريعته أكمل شريعة ، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به ، ولأنه عن شيء فقيل : ليته لم ينه عنه ، وأحل لهم الطيبات لم يحرم منها شيئاً كما حرم في شريعة غيره ، وحرم الخبائث لم يُحل منها شيئاً كما استحلت غيره .

وجمع محاسن ما عليه الأمم ، فلا يُذكر في التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخبر

عن الله وعن الملائكة وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به على أكمل وجه .
وأخبر بأشياء ليست في الكتب ، وليس في الكتب إيجابٌ لعدل وقضاء بفضل
ونذب إلى الفضائل وترغيب في الحسنات إلا وقد جاء به وبما هو أحسن منه .
وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها وعبادات غيره من الأمم ظهر له فضلها
ورُجحانها ، وكذلك في الحدود والأحكام وسائر الشرائع وأمتة على أكمل الأم في
كل فضيلة .

وإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم وإن قيس دينهم وعبادتهم
وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أذنين من غيرهم .
وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله وصبرهم على المكاره في ذات الله
ظهر أنهم أعظم جهاد وأشجع قلوباً .
وإذا قيس سخاؤهم وبرُّهم وسماحة أنفسهم بغيرهم ، ظهر أنهم أسخى وأكرم
من غيرهم .

وهذه الفضائل به نالوها ، ومنه تعلموها ، وهو الذي أمرهم بها ، لم يكونوا قبله
متبعين لكتاب جاء هو بتكميله ، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة ، فكانت
فضائل أتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة وبعضها من الزبور وبعضها من
النبوات وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده كالحواريين ومن بعض الحواريين
وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا - لما غيروا دين المسيح - في دين
المسيح أموراً من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح .

وأما أمة محمد ﷺ فلم يكونوا قبله يقرءون كتاباً ، بل عامتهم ما آمنوا بموسى
وعيسى وداود والتوراة والإنجيل والزبور إلا من جهته .

وهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ويقرؤوا بجميع الكتب المنزلة من عند
الله ، ونهاهم عن أن يفرقوا بين أحد من الرسل فقال تعالى في الكتاب الذي جاء به :
﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب

والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴿ (البقرة : ١٣٦ - ١٣٧) .

وقال تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴿ (الآيه البقرة : ٢٨٥) .

وأتمه عليه السلام لا يستحلون أن يُوجدوا شيئاً من الدين غير ما جاء به ، ولا يتدعون بدعة لما أنزل الله بها من سلطان ، ولا يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله لكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم ، اعتبروا به ، وما حدثهم أهل الكتاب موافقاً لما عندهم صدقوه ، وما لم يُعلم صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه ، وما عرفوا بأنه باطل كذبوه ، ومن أدخل فى الدين ما ليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس واليونان أو غيرهم ، كان عندهم من أهل الإلحاد والإبتداع .

وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وهو الذي عليه أئمة الدين الذين لهم فى الأمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم ومن خرج عن ذلك كان مذموماً مدحوراً عند الجماعة وهو مذهب أهل السنة والجماعة الظاهرين إلى قيام الساعة ، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ :

« لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » وقد يتنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم على هذا الأصل الذي هو دين الرسل عموماً ، ودين محمد ﷺ خصوصاً ، ومن خالف هذا الأصل كان عندهم مُلحداً مذموماً .

ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا ديناً ما قام به أكابر علمائهم وعبادهم ، وقاتل عليه ملوكهم ودان به جمهورهم ، وهو دين مبتدع ليس هو دين المسيح ولا دين

غيره من الأنبياء والله سبحانه أرسل رسله بالعلم النافع والعمل الصالح ، فمن اتبع الرسل حصل له سعادة الدنيا والآخرة وإنما دخل في البدع من قصر في اتباع الأنبياء علماً وعملاً .

ولما بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، تلقى ذلك عنه المسلمون من أمته فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ، أخذوه عن نبيهم ، كما ظهر لكل عاقل أن أمته أكمل الأمم في جميع الفضائل العلمية والعملية ، ومعلوم أن كل كمال في الفرع المتعلم هو في الأصل المعلم ، وهذا يقتضى أنه عليه السلام كان أكمل الناس علماً وديناً .

وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان صادقاً في قوله :

« إني رسول الله إليكم جميعاً » لم يكن كاذباً مفترياً ، فإن هذا القول لا يقوله إلا من هو من خيار الناس وأكملهم ، إن كان صادقاً ، أو من هو من أشر الناس وأخبثهم إن كان كاذباً ، وما ذكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر والخبث والجهل فتعين أنه متصف بغاية الكمال في العلم والدين ، وهذا يستلزم أنه كان صادقاً في قوله : « إني رسول الله إليكم جميعاً » لأن الذي لم يكن صادقاً إما أن يكون متعمداً للكذب أو مخطئاً ، والأول يوجب أنه كان ظالماً غاوباً ، والثاني يقتضي أنه كان جاهلاً ضالاً .

ومحمد ﷺ كان علمه ينافي جهله ، وكمال دينه ينافي تعمد الكذب ، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن يتعمد الكذب ولم يكن جاهلاً بلا علم ، وإذا انتفى هذا وذاك تعين أنه كان صادقاً عالمياً بأنه صادق .. ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين بقوله تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ﴾ (النجم : ١ - ٤) .

وقال تعالى عن الملك الذي جاء به : ﴿ إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ (التكوير : ١٩ ، ٢٠) .

ثم قال عنه: ﴿ وما صاحبكم بمجنون، ولقد رآه بالأفق المبين، وما هو على الغيب بضنين، وما هو بقول شيطان رجيم، فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ (التكوير: ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧).

وقال تعالى: ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ إلى قوله: ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ (الشعراء: ٢٢١-٢٢٣).

بيِّن سبحانه أن الشيطان إنما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه، فإن الشيطان يقصد الشر وهو الكذب والفجور، ولا يقصد الصدق والعدل، فلا يقترن إلا بمن فيه كذب، إما عمداً وإما خطأً وفجوراً أيضاً، فإن الخطأ في الدين هو من الشيطان أيضاً.

كما قال ابن مسعود لما سئل عن مسألة: أفول فيها برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريثان منه، فإن رسول الله ﷺ برئ من تنزل الشياطين عليه في العمد والخطأ.

بخلاف غير الرسول فإنه قد يخطئ ويكون خطؤه مغفوراً له، فإذا لم يُعرف له خبر أخبر به كان فيه مخطئاً ولا أمرٌ أمر به كان فيه فاجراً، عُلِمَ أن الشيطان لم ينزل عليه وإنما ينزل عليه ملك كريم، ولهذا قال في الآية الأخرى عن النبي ﷺ: ﴿ إنه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون، ولا بقول كاهن قليلاً ماتذكرون، تنزيل من رب العالمين ﴾ (الحاقة: ٤٠-٤٣) أ.هـ.

عالمية الدعوة الإسلامية

المسلم حين يرتفع لمستوى إسلامه ودينه ، لا بد وأن يستشعر عالمية هذه الدعوة حتى وإن عاش حياة الإستضعاف وافتقد أسباب التمكين ، فقد أمر رسول الله ﷺ أن يصدع في المشركين بقوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ (الأعراف : ١٥٨) وكانت الآيات المكية تنزل عليه بهذا المعنى ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

، ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ (ص : ٨٧ ، ٨٨) .

، ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ (الفرقان : ١) .

وقد وردت الأخبار والبشارات عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه بفتح قصور كسرى وقصر وقال لخباب بن الأرت :

« والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

وقد حدث ذلك كله ، وانتشرت هذه الدعوة في أرجاء المعمورة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فأعزهم الله بعد ذلة ، وجمعهم بعد فرقة ، وكانت هذه الأمة ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ (آل عمران : ١١٠) .

إن المسلمين أحق الناس بإقامة النظام العالمي الواحد ، فقد أمرهم ربهم بإقامة الخلافة الإسلامية ، التي تنظم المسلمين في شتى بقاع الأرض ، والتي تنبثق عنها الولايات والإمارات هنا وهناك ، وهذه الخلافة موضوعة لإقامة الدين وسيادة الدنيا به .

قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (البقرة : ٣٠) .

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة لم يخالف في ذلك

إلا الأصم حيث أنه كان عن الشريعة أصم ، لقد تم إعلان الوحدة الكبرى للدين .

١- راجع كلام الماوردي وابن تيمية في السياسة الشرعية ، وكلام القرطبي والشنقيطي في تفسير الآية .

قال تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ (البقرة : ١٣٦).

وقال سبحانه : ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ . (البقرة : ١٣٥) .

وقال : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران : ١٩) .

وفي الحديث : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ليس بيني وبينه نبي ، والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » رواه البخاري .
وفي الحديث الذي رواه مسلم قال رسول الله ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » .

وقد بينا أن عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان يحكم بحكم الإسلام ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويصلى مأموماً بإمام المسلمين ، ولما رأى النبي ﷺ صحيفة من التوراة في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له :
« والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم » .

وفي رواية : « لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني » رواه أحمد وحسنه الألباني .

إن المسلم يعلم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، وقد امتلك الدنيا مؤمنان وكافران ، أما المؤمنان فسليمان وذو القرنين ، وأما الكافران فالنمرود وبختنصر .

فالدنيا يعطيها ربنا لمن يحب ومن لا يحب أما الآخرة فلا يعطيها إلا لمن أحب كما يعلم المسلم أيضاً أنه لا بد من إحقاق الحق وإبطال الباطل والسعي في إيصال

الخير للبشر كافة ، وهذا كله يلقي على عاتق المسلمين واجبات عظام ومسؤوليات
كبار ، لا بد من حملها بقوة للقيام بدور القيادة والريادة لهذه البشرية والشهادة على
سائر الأمم .

قال تعالى : ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً
عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ (الحج : ٧٨) .

ولن تتم هذه القيادة وهذه الشهادة إلا بعودة صادقة إلى منابع القوة ^(١) والعز
والتمكين وذلك بالتمسك بهذا الدين عقيدة وعبادة وشريعة كاملة للحياة ، وعندئذ
يتحقق وعد الله سبحانه: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر
بعد ذلك فأولئك هو الفاسقون ﴾ (النور : ٥٥) .

ونحن في سعينا وأخذنا بأسباب إقامة نظامنا العالمي ، لا بد من معرفة أننا لسنا
وحدنا في الساحة ، فهناك طوائف كثيرة ، تسعى هي الأخرى لفرض نظامها
الذي تراه .

١- راجع كتابنا (الضوابط الشرعية لتحقيق الأخوة الإيمانية والوحدة الإسلامية) ، وكتابنا (تحصيل
الزاد لتحقيق الجهاد) .

هل انتشرت دعوة الإسلام بالسيف وسفك الدماء

الملك له مالك والخلق له خالق ، يحكم لا معقب لحكمه ويقضي سبحانه ولاراد لقضائه ، وماعلينا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، آمنا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً .

فليس عندنا مانتواري به ، أو نتكتمه خجلاً إذا صح وثبت ، فلسان حالنا قبل مقالنا يردد حينئذ أن صدقت ربنا وبلغت رسلك ونحن على ذلك من الشاهدين وقد صح عن رسول الله ﷺ فيما رواه أحمد وغيره أنه قال :

« بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له الحديث » وكما هو معلوم فقد واجه النبي ﷺ المشركين بالسيف والسنان كما واجه المنافقين بالحجة والبيان ، فلكل مقام مقال ، وكم من بلد قُتحت بالسيف والسنان وكم من بلد (كالمدينة والهند) قُتحت بالقرآن .

فإن قيل مجئ الأنبياء موضوع لمصالح العالم وهم مأمورون بالرفقة والرحمة ومحمد جاء بالسيف وسفك الدماء وقتل النفوس فصار منافياً لما جاء به موسى وعيسى فزال عن حكمهما في النبوة لمخالفتهما في السيرة فالإجابة عنه كما ذكر الماوردي في كتاب أعلام النبوة (١٣٩) من ثلاثة وجوه :

إحداهما :

أن الله تعالى بعث إلى كل نبي بحسب زمانه فمنهم من بعثه بالسيف لأن السيف أنجع ومنهم من بعثه باللطف لأن اللطف أنفع ، كما خالف بين معجزاتهم بحسب أزمانهم ، فبعث موسى بالعصا في زمان السحر ، وبعث عيسى بإحياء الموتى في زمان الطب ، وبعث محمداً بالقرآن في زمان الفصاحة ، لأن الناس في بدء أمرهم يتعاطفون مع القلة ثم يتنافرون ويتحاسدون مع الكثرة ، ولذلك قال الرسول ﷺ :

« نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخرها بالبخل والأمل . »

والجواب الثاني :

أن السيف إذا كان لطلب الحق كان خيراً، واللفظ إذا كان مع إقرار الباطل كان شراً لأن الشرع موضوع لإقرار الفضائل الإلهية والحقوق الدينية، ولذلك جاء الشرع بالقتل والحدود ليستقر به الخير ويتنقص به الشر، لأن النفوس الأشرة لا يكفيها إلا الرهبة فكان القهر أبلغ في انقيادها من الرغبة، وكانت العرب أكثر الناس شراً وعتواً لكثرة عددهم، وقوة شجاعتهم فلذلك كان السيف فيهم أنفع من اللطف .

الجواب الثالث :

أنه لم يكن في جهاده بالسيف بدعاً من الرسل ولا أول من أنخن في أعداء الله تعالى وقبل هذا إبراهيم عليه السلام جاهد الملوك الأربعة الذين ساروا إلى بلاد الجزيرة للغارة على أهلها، وحاربهم حتى هزمهم بأحزابه وأتباعه . وهذا يوشع بن نون قتل نيماً وثلاثين ملكاً من ملوك الشام وأباد من مدنها مالم يبق له أثر ولا من أهلها كافر من غير أن يدعوهم إلى دين أو يطلب منهم أتاة وساق الغنائم وغزا داود من بلاد الشام مالم يدع فيها رجلاً ولا امرأة إلا قتلهم وهو موجود في كتبهم .

ومحمد ﷺ بدأ بالإستدعاء وحارب بعد الإباء وروى ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظلمها قط مالم ينتهك من محارم الله تعالى شيء فإذا انتهك من محارم الله تعالى شيء كان أشدهم في ذلك غضباً، وماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن مائماً، وقد كان ﷺ أحث الناس على الصفح والتعاطف .

روي أسيد بن عبد الرحمن عن فروة بن مجاهد عن عقبة بن عامر قال :
« لقيت رسول الله ﷺ ، فقال لي يا عقبة : صل من قطعك واعط من حرمك واعف عن ظلمك »، فهل يكون أحن على الخلق مما يأمرهم بمثل هذا ؟ أ. هـ .

واعف عن ظلمك » ، فهل يكون أحسن على الخلق مما يأمرهم بمثل هذا ؟ أ. هـ .
 إن الله تعالى أرحم بعبده المؤمن من الأم بولدها وقد شرع لنا شرعاً محكماً
 (١) والنبي ﷺ صادق مصدق ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾
 (النجم : ٣ ، ٤) وقد جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين فأين جهاد الدفع
 والطلب عند المسلمين من الحملات الصليبية ومذابح الصرب للمسلمين البوسنيين
 وتحريك البابا لأوروبا والأسطول الفرنسي في مشكلة لبنان وتقتيل اليهود للمسلمين
 في دير ياسين ومدرسة بحر البقر وصبرا وشاتيلا
 هذه هي خيانة وفعل اليهود مع المدنيين والعزل ، وهم أحفاد الذين دعاهم نبي
 الله موسى يوماً لقتال العماليق فقالوا له :
 ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ (المائدة : ٢٤)
 وكانوا من قبل يُلحون عليه طلباً لقتالهم ، فما كان منه إلا أن قال :
 ﴿ إني لأملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ . (المائدة : ٢٥) .
 والفارق كبير بين القتال المشروع وغير المشروع وبين الحق والباطل
 وبين الإيمان والكفر .

المستقبل للإسلام

بغلبته وظهوره على الأديان كلها

وردت الأخبار الصادقة تبشر بعودة التمكين لدين الله في الأرض ، مما لا يبقى
 معه مجال لليأس ولا القنوط من رحمة الله ، مهما تردى حال هذه الأمة ، وتمكن
 الأعداء من رقابها ففي الحديث :
 « إن الله زوي (أي جمع وضم) لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن
 أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها » رواه مسلم .

وقال رسول الله ﷺ : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله
 ١ - جهاد الدفع أي دفع الكفار عن ديار المسلمين وهذا فرض عين - وجهاد الطلب أي طلب الكفار
 في ديارهم لإبلاغهم الحق ، وهذا فرض على الكفاية ، راجع كتابنا (تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد)

بيت مدر ولاوبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر » رواه ابن حبان وغيره وصححه الألباني .
وفي الحديث أيضاً : « لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى » فقالت عائشة : يارسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (التوبة : ٣٣) .

أن ذلك تاماً ، قال : « إنه سيكون من ذلك ما شاء الله » رواه مسلم . كما بشرت الأحاديث الصحيحة بعودة الخلافة وأنها ستكون على منهاج النبوة بإذن الله ، كما في الحديث : « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت »
رواه أحمد وغيره وصححه الألباني .

وعن أبي قُبيل قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولاً ، القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق ، قال : فأخرج منه كتاباً ، قال : فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب ، إذا سئل رسول الله ﷺ : أي المدينتين تفتح أولاً أقسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : مدينة هرقل تفتح أولاً « يعني القسطنطينية »
رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

قال الألباني : ورومية هي روما كما في معجم البلدان ، وهي عاصمة إيطاليا اليوم ، وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني كما هو معروف وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي ﷺ ، وسيحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى

ولا بد ﴿ وتعلمن نباه بعد حين ﴾ (ص : ٨٨) .

ولاشك أيضاً أن تحقيق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة أ.هـ .

ومن جملة الأخبار التي تبعث الأمل في النفوس ماورد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

« إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »

أخرجه أبو داود والحاكم والطبراني في الأوسط بإسناد صحيح .

كما وردت المبشرات بوجود طائفة ظاهرة ناجية منصوره فعن أبي معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس » رواه مسلم .

وفي لفظه: « من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ولاتزال عصاة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوهم إلى يوم القيامة » رواه مسلم .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . قال فينزل

عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم : تعال صل بنا ، فيقول لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه هذه الأمة » رواه مسلم .

الأخبار كثيرة تدل على أن المسلمين سيعودون أقوياء في مادياتهم ومعنوياتهم وسلاحهم ، فهيا بنا نعود لديننا ونوحد صفوفنا لتسلم راية قيادة البشرية ، وهذا يتطلب عمل الفريق بداية ونهاية ، مع معرفة كل منا بواجبه ومهمته ، فقد نجد في وسط أمواج عاتية حتى نصل إلى بر الأمان ، وننتقل من هذه الدار بسلام إلى دار السلام .

الإسلام قادم بدلالة الكتب السابقة

في نقل يوحنا عن المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام :
« إن البارقليط لا يجيئكم مالم أذهب فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول
من تلقاء نفسه شيئاً ، ولكنه مما يسمع به يكلمكم ، ويسوسكم بالحق ويخبركم
بالحوادث والغيوب » .

وفي نقل آخر عنه :

« إن البشير ذاهب والبارقليط بعده يحيي لكم الأسرار ويقوم لكم كل شئ وهو
يشهد لي كما شهدت له فإني لأجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل » .
والبارقليط بلغتهم لفظ من الحمد وقد قال النبي ﷺ : « وأنا أحمد وأنا محمود ،
وأنا محمد » .

وألفاظ العبرانية قريبة من ألفاظ العربية فهي أقرب اللغات إلى العربية ، والمتأمل
لهذه النصوص وغيرها يجد أن الذي شهد للمسيح وعلمهم كل شئ وذكرهم بكل
ماقال لهم المسيح ، ووبخ العالم على الخطيئة ، وأرشد الناس إلى جميع الحق ، ولا
ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبرهم بكل ماياتي ، ويعرفهم جميع ما للرب
العالمين ويقدر على ما لا يقدر عليه المسيح ، ويعلم ما لا يعلمه المسيح ،

هو رسول الله ﷺ ، الذي قال عنه المسيح : « إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله
ولكنكم لاتستطيعون حمله ، ولكن إذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم إلى
جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ماياتي
ويعرفكم جميع ما للأب » .

وقال لهم : « إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط ، فإذا انطلقت أرسلته إليكم »
وتأمل قول المسيح : « إن ذلك عجيب في أعيننا » وقوله في هذه البشارة : « إن
ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى » .

فالامر قد صار لرسول الله ﷺ ولم يبق بأيدي النصارى إلا دين باطله أضعاف

أضعاف حقه ، وحقه منسوخ بما بعث الله به محمداً ﷺ ، فالواجب على العالم طاعته والإنقياد لأمره ، وما أشد مطابقة قول المسيح هذا لقوله تعالى :
﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾
(الأنبياء : ١٠٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هو الفاسقون ﴾ (النور : ٥٥) .

وتأمل قوله فى الفارقليط المبشر به: « يفشى لكم الأسرار ويفسر لكم كل شئ فإنى جئتكم بالأمثال وهو يأتىكم بالتأويل » تجده مطابقاً للواقع من كل وجه .
ولقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ ﴾ (النحل : ٨٩) .
ولقوله تعالى : ﴿ ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (آخر يوسف) .

وتأمل قول المسيح: « ألم تر إلى الحجر الذى أخره بناؤون صار رأساً للزاوية » تجده مطابقاً لقول النبي ﷺ :

« مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأتمها إلا موضع لبنة منها فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ، ويقولون هلا وضعت تلك اللبنة ؟ » .
إن المسلمين هم أتباع المرسلين فى الحقيقة وأتباع عيسى حقاً ، أما أعداؤه فهم عباد الصليب الذين رضوا أن يكون إلهاً مصفوعاً مصلوباً مقتولاً ولم يرضوا أن يكون نبياً عبداً لله وجيهاً عنده مقرباً لديه ، ولو تتبعت البشارات لوجدت أن بشارة المسيح بالنبي ﷺ فوق كل بشارة لما كان أقرب الأنبياء إليه وأولاهم به وليس بينه وبين نبي .

سئل النبي ﷺ عن أول أمره فقال : « أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى » .
 فهو الذي ساد العالم بعد المسيح وأطاعه العالم ظاهراً وباطناً وانقادت له القلوب
 والأجساد وأطيع في السر والعلانية في محياه وبعدماته في جميع الأعصار وأفضل
 الأقاليم والأمصار وسارت دعوته مسير الشمس وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار
 وخرت لمجيئته الأمم على الأذقان ، وبطلت به عبادة الأوثان ، وقامت به دعوة
 الرحمن ، واضمحلت به دعوة الشيطان ، وأذل الكافرين والجاحدين وأعز المؤمنين
 وجاء بالحق وصدق المرسلين ، حتى أعلن التوحيد على رؤوس الأشهاد ، وعبد الله
 وحده لا شريك له في كل حاضر وباد ، وأمتلأت به الأرض تحميداً وتكبيراً لله
 وتهليلاً وتسييحاً ، واكتست به بعد الظلم والظلام عدلاً ونوراً .

وفي مزمور من مزامير داود :

« اللهم ابعث جاعل السنة حتى يعلم الناس أنه بشر » أي ابعث نبياً يعلم الناس
 أن المسيح بشر لعلم داود أن قوماً سيدعون في المسيح مادعوه .

وهذا هو محمد ﷺ ومن بشائر ميخاء من أنبياء بني إسرائيل في كتابه :

« فأما الآن فيستسلم إلى الوقت الذي تلد فيه الوالدة ويقوم فيرعاهم »

يعني الرب « وبكرامة اسم الله ربه ويقبلون بهم إلى من سيعظم سلطانه إلى
 أقطار الأرض ويكون على عهده إلا الإسلام » .

ومن بشائر موسى عليه السلام في التوراة ما جاء به في الفصل العشرين من
 السفر الخامس :

« إن الرب جاء من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعه
 عن يمينه ربوات جيش القديسين فمنحهم إلى الشعوب ودعا لجميع قديسيه بالبركة » .
 فمجيئ الله تعالى من طور سيناء هو إنزاله التوراة على موسى ، وإشراقه من
 ساعير إنزاله الإنجيل على عيسى لأنه كان سكن ساعير أرض الخليل في قرية ناصرة
 واستعلاؤه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد ﷺ وفاران هي جبال مكة في

قول الجميع ، فإن ناكروا كان دفعاً لما في التوراة ، ولأنه لم يستعل الدين كإستعلائه منها فاندفع الإنكار بالعيان وهذه البشارة شبيهة ببشارة حبقوق من أنبياء بنى إسرائيل « جاء الله من طور سيناء واستعلن القدوس من جبال فاران وانكسف لبهاء محمد وانخسفت من شعاع المحمود وامتلات الأرض من محامده ، لأن شعاع منظره مثل النور » .

وفي بشائر أرميا بن برخيا من أنبياء بنى إسرائيل في أيام بختنصر « لما قتل أهل الرس نبينهم قال ابن عباس أمر الله تعالى أن يأمر بختنصر أن يغزوا العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم فيقتلهم بما صنعوا بينهم فأمره بذلك ، فدخل بختنصر بلاد العرب فقتل وسبى حتى انتهى إلى تهامة فأتى بمعد بن عدنان فأمر بقتله ، فقال له النبي لاتفعل فإن في صلب هذا نبياً يبعث في آخر الزمان يختم الله به الأنبياء ، فخلى سبيله وحمله معه حتى أتى حصوناً باليمن فهدمها ، وقتل أهلها وزوج معداً بأجل امرأه منهم في زمانها وخلفه بتهامة حتى نسل بها» .

قال ابن عباس وفي ذلك نزل قوله تعالى :

﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشانا بعدها قوماً آخرين ﴾ (الأنبياء : ١١) .

فهذه بعض بشائر الأنبياء عن الكتب الإلهية المتناصرة بصحة نبوته ﷺ المتواترة الأخبار بانتشار دعوته وتأييد شريعته ، ولعل ما لم يصل إلينا منها أكثر ، فمنهم من عينه باسمه ومنهم من ذكره بصفته ومنهم من عزاه إلى قومه ومنهم من أضافه إلى بلده ومنهم من خصه بأفعاله ومنهم من ميزه بظهوره وانتشاره ، وقد حقق الله جميعها فيه فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والحمد لله على نعمة الإسلام وكفي بها نعمة ، رضيينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً .

فتاوى وقرارات هامة

(١) حكم تزوج الكافر بالمسلمة وتزوج المسلم بالكافرة وآثاره

جاء في القرار الثالث لمجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي
ص : ٦٩ مانصه :

أولاً : إن تزوج الكافر بالمسلمة حرام لا يجوز بإتفاق أهل العلم ولا شك في ذلك
لما تقتضيه نصوص الشريعة قال تعالى :

﴿ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ (البقرة : ٢٢١) .

وقال تعالى : ﴿ فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لهن حل لهم
ولا هم يحلون لهن وآتوهن ماأنفقوا﴾ (المتحنة : ١٠) .

والتكرير في قوله تعالى : ﴿ لهن حل لهم ولاهم يحلون لهن﴾ (المتحنة : ١٠)
بالتأكيد والمبالغة بالحرمة وقطع العلاقة بين المؤمنة والمشرك .

وقوله تعالى : ﴿ وآتوهن ماأنفقوا﴾ (المتحنة : ١٠) أمر أن يُعطى الزوج الكافر
ماأنفق على زوجته إذا أسلمت فلا يجمع عليه خسران الزوجية والمالية فإذا كانت
المرأة المشتركة تحت الزوج الكافر تحرم بإسلامها ولا تحل له بعد ذلك

ككيف يقال بإباحة ابتداء عقد النكاح الكافر على المسلمة ، بل أباح الله نكاح
المرأة المشتركة بعد ماتسلم وهي تحت رجل كافر لعدم إباحتها له بإسلامها فحيث
يجوز للمسلم تزوجها بعد انقضاء عدتها كما نص عليه قوله تعالى :

﴿ ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتهن أجورهن﴾

ثانياً : وكذلك المسلم لا يحل له نكاح المشتركة لقوله تعالى :

﴿ ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ (البقرة : ٢٢١) .

ولقوله تعالى : ﴿ ولاتمسكوا بعصم الكوافر﴾ (المتحنة : ١٠) .

وقد طلق عمر رضي الله عنه امرأتين له كانتا مشركتين لما نزلت هذه الآية وحكى
ابن قدامة الحنبلي أنه لاخلاف في تحريم نساء الكفار غير أهل الكتاب على المسلم ،

أما النساء المحصنات من أهل الكتاب فيجوز للمسلم أن ينكحهن لم يختلف العلماء في ذلك إلا أن الإمامية قالوا بالتحريم .

والأولى للمسلم عدم تزوجه من الكتابية مع وجود الحرة المسلمة قال شيخ الإسلام ابن تيمية : يكره تزوجهن مع وجود الحرائر المسلمات ، قال في الإختيارات وقاله القاضي وأكثر العلماء لقول عمر رضي الله عنه للذين تزوجوا من نساء أهل الكتاب:طلقوهن إلا حذيفة امتنع عن طلاقها ثم طلقها بعد لأن المسلم متى تزوج كتابية ربما مال إليها قلبه ففتته وربما كان بينهما ولد فيميل إليها والله أعلم .

وقد جاء في مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية تحت عنوان : زواج المسلم من كتابية^(١) ص (٥٢) المبادئ الآتية :

- (١) يجوز للمسلم التزوج من كتابية مطلقاً .
 - (٢) يكره تنزيهاً زواج الكتابية التابعة لدار الإسلام .
 - (٣) يكره تحريمياً زواج الكتابية التابعة لغير دار الإسلام وهي الحربية دفعاً لباب الفتنة وخشية قيامه معها بدار الحرب وتعريض الولد لتخلق بأخلاق أهل الكفر وخشية على الولد من الرق بأن تسمى وهي حبلى فيكون رقيقاً وإن كان مسلماً .
- وتحت عنوان « زواج المسيحي بمسلمة وأثاره »^(٢) ص ٥٦ وردت المبادئ التالية :
- (١) زواج المسيحي بمسلمة ودخوله بها وإنجابها منها ولد باطل ولا يثبت به نسبه شرعاً .
 - (٢) يكون الولد مسلماً تبعاً لأمه .
 - (٣) بوفاة الوالد معتقاً الدين المسيحي يكون قد مات مرتدأ من وقت اعتناقه الدين المسيحي سواء اعتنقه وهو صبي مميز على رأي الإمام محمد أو اعتنقه وهو بالغ على رأي أبي يوسف .

١- المفتي فضيلة الشيخ محمد بخيت .

٢- المفتي فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم .

(٤) أولاد الزوج المسيحي لا يرثون من هذا الولد أما إذا كان له أخ لأمه مسلماً فإنه يرثه بالنسبة لما اكتسبه في حال إسلامه فقط وما اكتسبه بعد رده يكون لبيت المال .

(٢) زواج المسلم من مسيحية بالكنيسة (١)

جاء في مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية ص ٦١ المبادئ التالية :

(١) ذهاب المسلم إلى الكنيسة وتزوجه بمسيحية مغيراً اسمه المسلم ارتداد عن الدين الإسلامي ولا بد في توبته وعودته إلى الإسلام من تبرئته من الدين الذي انتقل إليه .

(٢) عند العودة إلى الإسلام لا بد من الإتيان بالشهادتين والتبرؤ من الدين الذي انتقل إليه .

(٣) إذا اشهر إسلامه بعد ذلك فإنه إذا اعتبر تبرؤاً من الدين الذي انتقل إليه فليس بظاهر أنه يعتبر إتياناً بالشهادتين ولا بد من عمل إشهار جديد يتضمن إتيانه بالشهادتين وتبرؤه من كل دين يخالف دين الإسلام وخصوصاً الدين الذي انتقل إليه .

(٤) لا بد من تجديد عقد زواجه بالمسلمة بعد الإتيان بالشهادتين إن لم يكن حصل منه ذلك قبل الزواج وأن تصادق الزوجة في إشهار الإسلام أنه عقد عليها أو جدد العقد عليها بعد التبرؤ والإتيان بالشهادتين .

(٥) عقد زواج المرتد بمسلمة فاسد لا باطل بخلاف الكافر الأصلي غير المرتد ويثبت به النسب وأولاده مسلمون إما تبعاً لهما أو تبعاً لأمه .

(٦) إذا توفي والده في المدة بين زواجه بالمسيحية وإشهار إسلامه لا يرث منه لأنه بما صدر منه صار مرتدأً والمرتد لا يرث أحداً مادام مرتدأً، وما جاء في إشهار إسلامه على فرض أنه إسلام وتوبة لا يجعله مسلماً حين وفاة والده وإنما يجعله كذلك من يوم صدروه .

١- المفتي فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم .

(٣) حكم وضع اليد على التوراة أو الإنجيل أو كليهما حين أداء اليمين أمام القضاء

جاء في القرار الأول لمجلس المجمع الفقهي بمكة المكرمة ص ٨٤ مانصه :
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ونبينا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد :

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي قد اطلع على السؤال الوارد حول حكم
وضع المسلم يده على التوراة أو الإنجيل أو كليهما عند أداء اليمين القضائية أمام
المحاكم في البلاد غير الإسلامية إذا كان النظام القضائي فيها يوجب ذلك على
الحالف ، واستعرض المجلس آراء فقهاء المذاهب حول مايجوز الحلف به ، وما لا
يجوز في القسم بوجه عام وفي اليمين القضائية أمام القاضي وانتهى المجلس إلى
القرار التالي :

(١) لايجوز الحلف إلا بالله تعالى دون شئ آخر لقول رسول الله ﷺ :
« من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » .

(٢) وضع الحالف يده عند القسم على المصحف أو التوراة أو الإنجيل أو غيرها
ليس بلازم لصحة القسم لكن يجوز إذا رآه الحاكم لتغليظ اليمين ليتهايب الحالف من
الكذب .

(٣) لايجوز لمسلم أن يضع يده عند الحلف على التوراة أو الإنجيل لأن النسخ
المتداولة منها الآن محرفة ، وليست الأصل المنزل على موسى وعيسى عليهما
السلام ولأن الشريعة التي بعث الله تعالى بها نبيه محمداً ﷺ قد نسخت ما قبلها من
الشرائع .

(٤) إذا كان القضاء في بلد ما حكمه غير إسلامي يوجب على من توجهت عليه
اليمين وضع يده على التوراة أو الإنجيل أو كليهما فعلى المسلم أن يطلب من
المحكمة وضع يده على القرآن ، فإن لم يستجيب لطلبه يُعتبر مكرهاً ، ولا بأس عليه

في أن يضع يده عليهما أو على أحدهما دون أن ينوي ذلك تعظيماً .
والله ولي التوفيق وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .

(٤) حكم التسمية بعبد النبي وعبد المسيح (١)

المبادئ

(١) لا يجوز التسمية شرعاً بعبد النبي خشية اعتقاد العبودية بالنبي ﷺ ،
كما لا تجوز التسمية بعبد المسيح على ما ذهب إليه الجمهور .

(٥) حكم شهادة المسيحي على عقد زواج مسلم (٢)

الموضوع

شهادة المسيحي على عقد زواج المسلم مبطله له .

المبدأ

إذا كان أحد الشاهدين على عقد زواج المسلم مسيحياً بطل العقد .

(٦) مسيحي أسلم وكتب بالإكراه إقراراً بالكفر

جاء في مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية هذه الفتوى لفضيلة الشيخ علام السيد
نصار ص ٣١٦ :

- (١) من أجرى كلمة الكفر على لسانه أو كتبها تحت إكراه وقلبه مطمئن بالإيمان
لا يكون بذلك كافراً ، وعلى هذا إجماع الأئمة الأربعة .
- (٢) متى زال الإكراه أمر بإظهار إسلامه ، فإن أظهره فهو باق على إسلامه .

١- المفتي فضيلة الشيخ حسين محمد مخلوف - مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية ص (٦٥) .
٢- المفتي فضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة - مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية ص (١٣٤) .

(٧) اعتناق الإسلام (١)

المبادئ

- (١) الإقرار باعتناق الدين الإسلامي في الطلب المقدم إلى المحكمة الشرعية يعتد به ، ويكون المقر مسلماً من تاريخ تقديم الطلب أمام الكافة .
- (٢) عند عدم إقراره في الطلب بذلك يعتد بإسلامه من تاريخ الإشهار به .
- (٣) لا يعتد بإسلامه في المدة السابقة على تقديم الطلب بذلك .

(٨) إسلام زوجة الكتابي

- جاء في فتاوى دار الإفتاء المصرية فتوى فضيلة الشيخ أحمد هريدي ص ٣٢٠ والتي تضمنت المبادئ الآتية :
- (١) بإسلام زوجة الكتابي يُعرض الإسلام على زوجها ، فإن أسلم فهي امرأته وإلا فرق القاضي بينهما بتطليقة بائنة قبل الدخول كان ذلك أم بعده .
 - (٢) ينقص هذا التفريق من عدد طلقاته عليها بمعنى أنه إذا أسلم بعد ذلك وتزوجها قبل زواجها من آخر لا يكون عليها سوى طلقتين فقط .
 - (٣) تجب عليها العدة من تاريخ صدور حكم التفريق وتجب نفقتها عليه مادامت في العدة .
 - (٤) الولد يتبع خير الأبوين ديناً (أي يكون مسلماً) .

(٩) حكم تحويل الكنيسة إلى مسجد

- أفتى فضيلة الشيخ حسن مأمون بجواز تحويل الكنيسة إلى مسجد إذا كانت معطلة ولا ينتفع بها فيما أنشئت من أجله بسبب عدم وجود مصليين بها (المصدر السابق ص ٣٢٦) .

١ - المفتي فضيلة الشيخ حسن مأمون - المصدر السابق ص ٣١٨ . هذا الكلام المذكور للحكم قضاءً بإسلام المسيحي وإلا فلو نطق بالشهادتين وأن عسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه حكم بإسلامه .

(١٠) هل يجوز دفن النصارى فى مقابر المسلمين ؟

أفتى فضيلة الشيخ أحمد هريدي بأن جبانة المسلمين وقف لايحوز التصرف في جزء منها وأنه متى خصصت أرض المقبرة لدفن موتى المسلمين صارت وقفاً على ما خصصت له على التأييد ولايحوز شرعاً إخراج جزء منها عما أعدت له لدفن موتى الأقباط به (المصدر السابق ص ٣٥٢) .

(١١) عدم جواز دفن المسلمين فى مقابر الكافرين

سُئِلَ فضيلة الشيخ ابن باز مفتي الديار السعودية : (١)

هل يجوز دفن المسلمين في مقابر غير المسلمين حيث أن المسلمين يسكنون في بلاد بعيدة عن مقابرهم ويحتاج دفنهم فيها أن يسافروا بالميت أكثر من أسبوع علماً بأن من السنة التعجيل بدفن الميت ؟ .

فأجاب : لايحوز للمسلمين أن يدفنوا مسلماً في مقابر الكافرين لأن عمل أهل الإسلام من عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين وعدم دفن مسلم مع مشرك فكان هذا إجماعاً عملياً على أفراد المسلمين عن مقابر الكافرين .

ولما رواه النسائي عن بشير بن سعيد السدوسي قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فمر على قبور المسلمين فقال : لقد سبق هؤلاء شراً كثيراً ثم مر على قبور المشركين فقال لقد سبق هؤلاء خيراً كثيراً .

فدل هذا على التفريق بين قبور المسلمين وقبور المشركين ، وعلى كل مسلم ألا يستوطن بلداً غير إسلامي وألا يقيم بين أظهر الكافرين بل عليه أن يتنقل إلى بلد إسلامي فراراً بدينه من الفتن ليتمكن من إقامة شعائر دينه ويتعاون مع إخوانه المسلمين على البر والتقوى ويكثر سواد المسلمين ، إلا من أقام بينهم لنشر الإسلام وكان أهلاً لذلك قادراً عليه وكان ممن يعهد فيه أن يؤثر في غيره ولا يغلب على أمره فله ذلك وكذا من اضطر إلى الإقامة بين أظهرهم ، وعلى هؤلاء أن يتعاونوا ويتناصروا وأن يتخذوا لأنفسهم مقابر خاصة يدفنون فيها موتاهم .

١- فتاوى إسلامية ص ٧١ .

(١٢) حكم حضور جنازة الكفار (١)

سُئل الشيخ ابن باز - حفظه الله - ما الحكم في حضور جنازة الكفار ، الذي أصبح تقليداً سياسياً و عرفاً متفقاً عليه :

فأجاب : إذا وجد من الكفار من يقوم بدفن موتاهم فليس للمسلمين أن يتولوا دفنهم ولا أن يشاركوا الكفار ويعاونوهم في دفنهم أو يجاملوهم في تشييع جنازتهم فإن ذلك لم يعرف عن رسول الله ﷺ ولا عن الخلفاء الراشدين .
بل نهى رسول الله ﷺ أن يقوم على قبر عبد الله بن أبي سلول وعلل ذلك بكفره ،

قال تعالى : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ (التوبة : ٨٤) .

وأما إذا لم يوجد منهم من يدفنه ، دفنه المسلمون كما فعل النبي ﷺ بقتلى بدر .

(١٣) الطريقة المثلى في معاملة الذمي (٢)

سُئل الشيخ ابن باز عن الطريقة المثلى في معاملة الذمي ، وهل يعامل معاملة عادية ؟

فأجاب : الطريقة المثلى في معاملة المسلمين للذمي الوفاء له بدمته ، للآيات والأحاديث التي أمرت بالوفاء بالعهد وبره ومعاملته بالعدل لقوله تعالى :

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ﴾ ولين القول معه والإحسان إليه عموماً إلا فيما منعه الشرع كبذره بالسلام وتزويجه المسلمة وتوريثه من المسلم ونحو ذلك مما ورد النص بمنعه ، وارجع في تفصيل الموضوع إلى كتاب « أحكام أهل الذمة » للعلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله وكلام غيره من أهل العلم .

١ - المصدر السابق ص ٧٣ .

٢ - المصدر السابق ص ١٠ .

(١٤) عدم جواز مشاركة الكفار في أعيادهم (١)

سُئِلَ الشيخ ابن باز عن حكم تعطيل المدارس الإسلامية في غانا في أعياد اليهود والنصارى وعدم فعل ذلك في الأعياد الإسلامية ؟
فأجاب :

أولاً : السنة إظهار الشعائر الدينية الإسلامية بين المسلمين وترك إظهارها مخالف لهدي رسول الله ﷺ وقد ثبت عنه أنه قال : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين» الحديث .

ثانياً : لا يجوز للمسلم أن يشارك الكفار في أعيادهم ويظهر الفرح والسرور بهذه المناسبة ويعطل الأعمال سواء كانت دينية أو دنيوية لأن هذا مشابهة لأعداء الله المحرمة وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من تشبه بقوم فهو منهم» .
ونصحك بالرجوع إلى كتاب «إقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإنه مفيد جداً في هذا الباب .

(١٥) معنى الولاية (٢)

سُئِلَ : ما معنى قوله تعالى : ﴿ لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ﴾ وما معنى الولاية معهم وهل تكون الولاية أن تذهب إليهم وتحديثهم وتكلمهم وتضحك معهم ؟
فأجاب : نهى الله تعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود وأشبهاهم من الكفار ولا بمودة ومحبة وأخاء ونصرة وأن يتخذوهم بطانة ولو كانوا غير محاربين للمسلمين
قال تعالى : ﴿ لا تجدد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ (المجادلة : ٢٢) .

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم

٢٠١ - المصدر السابق ص ٢٢ .

تعقلون ، هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴿ (آل عمران : ١١٨) .

ومافي معناها من نصوص الكتاب والسنة ، ولم ينه الله تعالى المؤمنين عن مقابلة معروف غير الحرييين بالمعروف أو تبادل المنافع المباحة معهم من بيع وشراء وقبول الهدايا والهبات .

قال تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ (المتحنة : ٨ ، ٩) .

(١٦) حكم سكن المسلم مع عائلات أمريكية (١)

سئل الشيخ ابن باز : هل يجوز السكن مع عائلات أمريكية للإستفادة منهم في اللغة ؟

فأجاب : خير للمسلم أن يسكن مع المسلمين ، فإن الإختلاط بالكفار يُخشى منه الفتنة وتبلد النفس في النواحي الدينية والفتور أو الكسل عن أداء الواجب الإسلامي ونوافل الخير ، فتحري المسلم العزلة عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً حفظ لدينه وأسلم لأخلاقه ، فإن اضطر أن يسكن مع عائلات فليكن مع عائلات إسلامية ، وليحذر من الخلوة بنساء أجنبيات منه ، ولا يجوز أن يسكن مع عائلات كافرة فيها رجال ونساء فإن المعروف فيهم عري النساء وعدم المحافظة على الأعراض وفي ذلك فتنة عظيمة وذريعة إلى الفاحشة وفساد الأخلاق ، وليست حاجته إلى الإستفادة في اللغة من العائلات الكافرة أمريكية أو غيرها بمرر له أن يختلط بهذه العائلات فإن لديه مندوحة للإستفادة في اللغة من الدراسة الخاصة والمحادثة مع الزملاء بها دون السكن مع العائلات الكافرة وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

١ - المصدر السابق ص ٢٣ .

تشبه المسلم بالكافر (١) المبادئ

- (١) الكفر شيء عظيم فلا يُحكم به على مؤمن متى وجدت رواية أنه لا يكفر ، ولا يكفر مسلم إلا إذا اتفق العلماء على أن ما أتى به يوجب الردة .
- (٢) لا يكفر المسلم متى كان لكلامه أو فعله احتمال ولو بعيداً يوجب عدم تكفيره .
- (٣) لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه .
- (٤) ما يتيقن بأنه ردة يحكم بها عليه ، وما يشك في أنه ردة لا يحكم به ، لأن الإسلام الثابت لا يزول بالشك .
- (٥) مناط التكفير هو التكذيب أو الإستخفاف بالدين .
- (٦) مجرد لبس البرنيطة ليس كفراً ، لأنه لا دلالة فيه على الإستخفاف بالدين ، ولا على التكذيب بشيء مما علم من الدين بالضرورة حتى يكون ذلك ردة إلا إذا وجد من لابسها شيء يدل دلالة قطعية على الإستخفاف أو التكذيب بشيء مما علم من الدين بالضرورة بأن ذلك يكون ردة .
- (٧) كل من مجد واستحسن ما هو كفر إذا وجد منه ما يدل على ذلك دلالة قطعية يحكم بكفره .
- (٨) لابس البرنيطة قصد التشبه بغير المسلمين مع عدم ما يدل على الإستخفاف أو التكذيب بشيء مما علم من الدين بالضرورة يكون أثماً ولا يحكم بكفره .
- (٩) قول الرسول ﷺ: « من تشبه بقوم فهو منهم » يحمل على أنه يكون كافراً مثلهم إن تشبه بهم فيما هو كفر كتعظيم يوم عيدهم تبجيلاً لدينهم ، أو لبس شعارهم قاصداً الإستخفاف بالدين وإلا فإنه يكون أثماً مثلهم فقط .
- (١٠) يحرم التشبه بأهل الكتاب فيما كان مذموماً بقصد التشبه بهم .

١- المفتي فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم - مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية ص ٢٢١ .

(١١) لبس القبعة وغيرها بدون قصد التشبه بالكفار بل قصداً لدفع برد أو حر فلا إثم في ذلك أبداً مادام لم يوجد منهم استخفاف أو تكذيب .

(١٨) حكم الماسونية والإنتماء إليها

نظر المجمع الفقهي الإسلامي - المنعقد بمكة المكرمة - في قضية الماسونية والمتسبين إليها وحكم الشريعة الإسلامية في ذلك ، وقد قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة ، وطالع ماكتب عنها من قديم وجديد ، ومانشر عن وثائقها نفسها فيما كتبه ونشره أعضاؤها وبعض أقطابها من مؤلفات ، ومن مقالات في المجالات التي تنطق باسمها ، وقد تبين للمجمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع مااطلع عليه من كتابات ونصوص مايلي :

(١) إن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة بحسب ظروف الزمان والمكان ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى على أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها .

(٢) إنها تبنى صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري للتمويه على المغفلين وهو الإخاء الإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب .

(٣) إنها تجتذب الأشخاص إليها ممن يهملها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية على أساس أن كل أخ ماسوني مجند في عون كل أخ ماسوني آخر في أي بقعة من بقاع الأرض ، يعينه في حاجته وأهدافه ومشكلاته ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوي الطموح السياسي ويعينه إذا وقع في مأزق من المأزق أياً كان على أساس معاونته في الحق والباطل ظالماً أو مظلوماً . وإن كانت تستر ذلك ظاهرياً بأنها تعينه على الحق لا الباطل ، وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الإجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال .

(٤) إن الدخول فيها يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعاليمها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل في الرتبة .

(٥) إن الأعضاء المغفلين يتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد فترتقي مراتبهم تدريجياً في ضوء التجارب والإمتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة .

(٦) إنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة أو خفية .

(٧) إنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الإدارة العليا العالمية السرية وصهيونية النشاط .

(٨) إنها في أهدافها الحقيقية السرية ضد الأديان جميعها لتهديمها بصورة عامة وتهديم الإسلام في نفوس أبنائه بصورة خاصة .

(٩) إنها تحرص على اختيار المتسبين إليها من ذوي المكانة المالية أو السياسية أو الاجتماعية أو العلمية أو أية مكانة يمكن أن تستغل لها ولذلك تحرص كل الحرص علي ضم الملوك والرؤساء والوزراء وكبار موظفي الدولة ونحوهم .

(١٠) إنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت مختلف الأسماء إذا لقيت مقاومة لإسم الماسونية في محيط ما وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الأسود (الليونز) والروتاري - إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التي تتنافى كلياً مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية .

وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية

الصهيونية العالمية وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثير من المسئولين في البلاد العربية وغيرها في موضوع قضية فلسطين ، وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية .
لذلك وكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة يقرر المجمع الفقهي إعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام بجانب لأهله .

لكن الأستاذ الزرقاء أصر على إضافة جملة (معتقداً جواز ذلك) فيما بين جملة (على علم بحقيقتها وأهدافها) وبين جملة (فهو كافر) وذلك كيما ينسجم الكلام مع حكم الشرع في التمييز بين من يرتكب الكبيرة من المعاصي مستباحاً لها وبين من يرتكبها غير مستباح فالأول كافر والثاني عاص فاسق والله ولي التوفيق ، ،

وقد وقع على القرار عبد الله بن حميد ومحمد علي الحرکان وعبد العزيز بن باز ومحمد محمود الصواف وصالح بن عثيمين ومحمد بن عبد الله السبيل ومحمد رشيد قباني ومصطفى الزرقاء ومحمد رشيدى وعبد القدوس الهاشمي الندوي .

(١٩) الصلح مع اليهود في فلسطين هل يجوز ؟ (١)

المبادئ

- (١) هجوم العدو على بلد إسلامي يوجب على أهلها الجهاد ضده بالقوة ، وهو في هذه الحالة فرض عين .
- (٢) يتعين الجهاد في ثلاثة أحوال : عند التقاء الزحفين ، وعند نزول الكفار ببلد ، وعند استنفار الإمام لقوم للجهاد حيث يلزمهم النفير .
- (٣) الإستعداد للحروب الدفاعية واجب على كل حكومة إسلامية .
- (٤) ما فعله اليهود بفلسطين اعتداء على بلد إسلامي يوجب على أهله أولاً رده بالقوة كما يوجبه ذلك ثانياً على كل مسلم في البلاد الإسلامية .
- (٥) الصلح مع العدو على أساس رد ما اعتدى عليه إلى المسلمين جائز ، أما إن كان على أساس تثبيت الإعتداء فهو باطل شرعاً .
- (٦) موادة أهل الحرب أو جماعة منهم جائزة شرعاً ، ولكن بشرط أن تكون لمدة معينة ، وأن تكون فيها مصلحة للمسلمين ، فإن لم تكن فيها مصلحة فهي غير جائزة بالإجماع .
- (٧) قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (الأنفال : ٦١) . وإن كانت مطلقة لكن إجماع الفقهاء على تقييدها برؤية مصلحة للمسلمين في ذلك أخذاً من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ ﴾ (محمد : ٣٥) .
- (٨) المعاهدات التي يعقدها المسلمون مع دول أخرى غير إسلامية جائزة شرعاً إذا كانت فيها مصلحة للمسلمين ، أما إذا كانت لتأييد دولة معتدية على بلد إسلامي فإنها تكون تقوية لمن اعتدى ، وذلك غير جائز شرعاً .
- (٩) لليهود في فلسطين موقف خاص ، فهم موجودون بها بحكم سياسي هو الهدنة التي فرضتها الدول على الفريقين ، ونزلت الحكومات الإسلامية على

١ - المفتي فضيلة الشيخ حسن مأمون - مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .

حكمتها إلى حين وجود حل عادل للمسألة .

(١٠) مافعله المسلمون من منع السلاح والذخيرة عن اليهود بعدم السماح بمرور ناقلاتها في بلادهم جائز ولا شئ فيه ، وإن كان اليهود يعتبرون ذلك اعتداء عليهم .

(٢٠) نداء للعالم الإسلامي حكومات وشعوباً حول فلسطين

القرار الثاني عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، ،

وبعد ، ، ، ، ، ،

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في دورته العاشرة في ٢٤ صفر سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ١٧/١٠/١٩٨٧ يحى الشعب الفلسطيني في جهاده المتواصل ضد الغاصبين المعتدين ، وصموده ضد المحتلين ، ويحى شجاعة هذا الشعب وبطولته .

وفي نفس الوقت الذي يتوجه فيه المجلس بالتحية الإسلامية للمجاهدين الفلسطينيين والدعوة الصادقة إلى الله العلي الكبير أن يكتب لهم النصر المؤزر ويؤيدهم بتوفيقه وحفظه .

وبهذه المناسبة قرر المجلس بالإجماع التوجه إلى العالم الإسلامي حكومات وشعوباً بوجوب القيام بدعم الجهاد الفلسطيني بكل وسائل الدعم المادية والمعنوية والسياسية والإقتصادية .

كما قرر المجلس جواز صرف بعض أموال الزكاة لهذا الجهاد الإسلامي ، والمهم في هذا النداء من المجلس أن يبادر المسلمون خفافاً وثقلاً للإستنفار لتأييدهم في هذا الجهاد في هذه المعركة التي هي معركة الإسلام في هذا العصر .

قال الله تعالى : ﴿انفروا خفافاً وثقلاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (التوبة : ٤١) .

ووصية المجلس للشعب الفلسطيني المؤمن المجاهد أن يتمسكوا بحبل الله المتين

ويواصلوا جهادهم الإسلامي المبارك لإعلاء كلمة الله وحماية المسجد الأقصى المبارك ويعتصموا بالله هو مولاهم نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على إمام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(٢١) ما حكم من قال : إن عيسى قد مات ؟

أجابت لجنة الفتوى بالسعودية بقولها : ثبت بالأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة أن عيسى بن مريم عليهما السلام لم يقتل ولم يميت ، بل رفعه الله إليه حياً وأنه سينزل آخر الزمان حكماً عادلاً في هذه الأمة ، فمن قال إن عيسى بن مريم قد مات وأنه لا ينزل آخر الزمان فقد خالف كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، وأخطأ خطأ فاحشاً ، ويحكم بكفره بعد البلاغ وإقامة الحجة عليه لتكذيبه لله ورسوله .

(٢٢) لماذا اختص عيسى بالرفع ؟

وجه هذا السؤال إلى لجنة الفتوى بالسعودية ونصه : بما أن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء لما لم يرفع إلى السماء بدلاً من عيسى إذا كان عيسى رُفِع إليها حقيقة ، ولماذا اختص عيسى بالرفع دون سائر الأنبياء ، علل ودلل ؟

فأجابت : إن الله تعالى وسع كل شيء رحمة وعلماً وأحاط بكل شيء قوة وقهراً سبحانه له الحكمة البالغة والإرادة والقدرة الشاملة ، اصطفى من شاء من الناس أنبياء ورسلاً مبشرين ومنذرين ورفع بعضهم فوق بعض درجات .

وخص كلاً منهم بما شاء من المزايا فضلاً منه ورحمة ، بالخلة خليلاً إبراهيم ومحمداً عليهما الصلاة والسلام وخص كل نبي بما أراد من الآيات والمعجزات التي تتناسب مع زمنه وبها تقوم الحجة على قومه حكمة منه وعدلاً لامعقب لحكمه وهو العزيز الحكيم اللطيف الخبير .

وليس كل مزية بمفردها بموجبة للأفضلية ، فاختصاص عيسى برفعه إلى السماء

حياً جار على مقتضى إرادة الله وحكمه ، وليس ذلك لكونه أفضل من إخوانه المرسلين كإبراهيم ومحمد وموسى ونوح عليهم الصلاة والسلام فإنهم أعطوا من المزايا والآيات ما يقتضي تفضيلهم عليه .

وبالجملته فمرجع الأمر في ذلك إلى الله يدبره كما يشاء ولا يُسئل عما يفعل لكمال علمه ورحمته ، ثم إنه لا يترتب على السؤال عن ذلك عمل أو تثبيت عقيدة بل ربما أصيب بالحيرة من حام حول ذلك واستولت عليه الريب والشكوك وعلى المؤمن التسليم فيما هو من شؤون الله وليجتهد فيما هو من شؤون العباد عقيدة وعملاً وهذا هو منهج الأنبياء والمرسلين وطريق الخلفاء الراشدين وسلف الأمة المهديين .

(٢٣) ما حكم الإسلام في اليهود والنصارى

ما حكم الإسلام في اليهود والنصارى - مثلاً - ممن وصلتهم رسالة محمد ﷺ وعلموا بها لكنهم لم يتبعوه واتبعوا دينهم ؟
أجابت لجنة الفتوى بالسعودية بقولها : يعتبرون كفاراً ويعاملون معاملة الكفار في أحكام الدنيا والآخرة ، ولا ينفعهم تمسكهم بدينهم مع كفرهم بما جاء به نبينا محمد ﷺ .

(٢٤) هل يجوز الشراء وقبول الهدية وسفور الوجه أمام النصرانية

إذا كان لنا جيران كفار (نصارى) فكيف نعاملهم إن قدموا لنا هدايا أنقبلها منهم وهل يجوز لنا أن نظهر لهم سافرات الوجوه أو أن يروا منا أكثر من الوجه ؟ وهل يجوز لنا أن نشترى من البائعين النصارى ؟

أجابت لجنة الفتوى بالسعودية برئاسة الشيخ ابن باز على السؤال بقولها : الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على رسوله ، وآله وصحبه وبعد ، أحسنوا إلى من أحسن إليكم منهم ، وإن كانوا نصارى فإذا أهدوا إليكم هدية

مباحة فكافئوهم عليها ، وقد قبل النبي ﷺ الهدية من عظيم الروم وهو نصراني
وقبل الهدية من اليهود .

وقال تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من
دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن
يتولهم منهم فأولئك هو الظالمون ﴾ (المتحنة : ٨ ، ٩) .

ويجوز لك أن تظهرى أمام نسائهم بما يجوز أن تظهرى به أمام النساء المسلمات
مما يكشف وما يترزين به من الملابس ونحوها فى أصح قولى العلماء ، وأن تشتري
منهن ما تحتاجين من المتاع المباح وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله
وصحبه وسلم .

(٢٥) الحكم من لعن دين كارتر

ما الحكم فيمن يقول : يلعن دين كارتر يقصد به الرئيس الأمريكى السابق ؟
أوليس فى هذا اللفظ سب لدين سماوي أنزل قبل نبينا محمد ﷺ ؟
أجابت لجنة الفتوى بالسعودية بقولها : الحمد لله وحده والصلاة والسلام على
رسوله وآله وصحبه وبعد :

اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، ولعن دين من الأديان السماوية كفر ،
ويجب نصح من صدر منه ذلك وبيان أنه كفر فإن أصر على السب بعد بيان الحكم
فهو كافر إلا أن يكون قصد بدين كارتر ما عليه النصرارى اليوم من اعتقادهم أن
عيسى هو ابن الله وأنه لا يلزمهم اتباع محمد ﷺ فهذا دين باطل وليس ديناً سماوياً
بل هو دين محدث لا يكفر من سبه أو لعنه .

ونصحك بقراءة كتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » ففیه من العلم فى
هذا الموضوع ما لا تكاد تجده فى غيره . وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد
وآله صحبه وسلم .

(٢٦) هل إرتداء البدلة والبنطلون فيه تشبيه بأهل الكتاب ؟ (١)

المراد بمشابهة الكفار المنهي عنها مشابهتهم فيما اختصوا به من العادات وما ابتدعوه في الدين من عقائد وعبادات كمشابهتهم في حلق اللحية وشد الزنار ، وما اتخذوه من المواسم والأعياد والغلو في الصالحين بالإستغائة بهم والطواف حول قبورهم والذبح لهم ودق الناقوس وتعليق الصليب في العنق أو البيوت أو اتخاذه وشماً باليد مثلاً ، تعظيماً له واعتقاداً لما يعتقد به النصارى .

ويختلف حكم مشابهتهم ، فقد يكون كفراً : كالتشبه بهم في الإستغائة بأصحاب القبور والتبرك بالصليب واتخاذه شعاراً .

وقد يكون محرماً فقط كحلق اللحية وتهنتهم بأعيادهم وربما أفضى التساهل في مشابهتهم المحرمة إلى الكفر والعياذ بالله .

أما لبس البنطلون والبدلة وأمثالها من اللباس فالأصل في أنواع اللباس الإباحة إلا أنه من أمور العادات .

قال تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ (الأعراف : ٣٢) ويستثنى من ذلك ما دل الدليل الشرعي على تحريمه أو كراهته كالحرير للرجل والذي يصف العورة لكونه شفافاً يرى من ورائه لون الجلد ، أو ككونه ضيقاً يحدد العورة ، لأنه حيثئذ في حكم كشفها وكشفها لايجوز .

وكالملايس التي هي من سيما الكفار ، فلا يجوز لبسها لا للرجال ولا للنساء لنهي رسول الله ﷺ عن تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وليس اللباس المسمى بالبنطلون والقميص مما يختص لبسه الكفار ، بل هو لباس عام في المسلمين والكافرين في كثير من البلاد والدول وإنما تنفر النفوس من لبس ذلك في بعض البلاد لعدم الإلف ومخالفة عادة سكانها في اللباس ، وإن كان ذلك موافقاً لعادة غيرهم من المسلمين لكن الأولى بالمسلم إذا كان في بلد لم يعتد أهلها ذلك اللباس

(١)الإجابة للجنة الفتوي بالسعودية .

ألا يلبسه في الصلاة ولا في المجامع العامة ولا في الطرقات .
وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

(٢٧) هل نحلح اللحي إذا أطلقوها ؟

جاء تعليل إعفاء اللحية والصلاة في النعال وغير ذلك بمخالفة اليهود والنصارى
والمجوس فهل تترك مثل هذه الأحكام إذا فعلها أولئك المذكورون ؟
أجابت لجنة الفتوى بالسعودية بقولها : خير الهدى هدي محمد ﷺ ومن هديه
ﷺ أنه يعفي لحيته ، وأمر بإعفائها وهو بذلك ممتثل لأمر الله بالإقتداء بإخوانه
المرسلين قبله ومنهم هارون على نبينا وعليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين الصلاة
والسلام ، وكان ذا لحية .

قال تعالى : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (الأنعام : ٩٠) .

وأما التعليل الذي ذكره ﷺ فهو ينهى عن الإقتداء بهم في مخالفتهم وليس
المراد ترتيب الحكم على العلة وجوداً أو عدماً ، فهم إذا وفروا لحاهم فهم متبعون في
هذه الجزئية لهدى من قبلهم من الرسل وآخرهم محمد ﷺ الذي أرسله الله إلى
الإنس والجن .

وأما الصلاة في النعال فهم لا يصلون في نعالهم بناء على قوله تعالى خطاباً

لموسى: ﴿ فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾ (طه : ١٢) .

وقد تقرر أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم ترد في شرعنا نسخه ، وفي هذه الجزئية

النسخ حاصل بفعل رسول الله ﷺ من الصلاة في النعلين إذا كانتا طاهرتين وأمره

بذلك وكونهم لا يصلون في نعالهم وهو مخالف لهدى الرسول ﷺ .

فلا يصح أن نهجر هذه السنة بناء على موافقتهم لنا فيما سنه لنا رسولنا ﷺ .

(٢٨) ما حكم قراءة الإنجيل (١)

الكتب السماوية السابقة وقع فيها كثير من التحريف والزيادة والنقص كما ذكر الله ذلك فلا يجوز للمسلم أن يُقدم على قراءتها والإطلاع عليها إلا إذا كان من الراسخين في العلم ويريد بيان ماورد فيها من التحريفات والتضارب بينها .

(٢٩) بدء النصراني بغير قول السلام عليكم (٢)

نهانا رسول الله ﷺ عن بدء الكفار بالسلام ، فهل هذا النهي يقتصر على قول « السلام عليكم ورحمة الله » لهم ، أم هو نهى يشمل كل مبادأة بالتحية ؟ وهل يجوز لي أن أبدأ جاري النصراني بغير قول السلام عليكم ورحمة الله كأن أقول « صباح الخير » أو « كيف حالك » أو « صباح الخير بالإنجليزية » وجزاكم الله عنا وعن المسلمين خيراً ؟

الإجابة : لايجوز بداءة الكفار بالسلام ، لما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه » رواه مسلم .

ومن حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم » رواه البخاري ومسلم .

فيرد عليهم بما دل عليه الحديث وهو أن يقال : وعليكم ولا بأس أن يقول لكافر ابتداء « كيف حالك » و« كيف أصبحت » و« وكيف أمسيت » ونحو ذلك إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، صرح بذلك جمع من أهل العلم منهم أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله .

(٣٠) حكم الصليبان على السجاد والفرش (١)

صنع الصليب حرام سواء كان مجسماً أم نقشاً أو رسماً أو غير ذلك على جدار أو فرش أو غير ذلك ، ولا يجوز إدخاله مسجداً ولا بيتاً ولا دور تعليم من مدارس ومعاهد ونحو ذلك ، ولا يجوز الإبقاء عليه ، بل يجب القضاء عليه وإزالتها بما يذهب بمعاله من كسر ومحو وطمس وغير ذلك ، ولا يجوز بيعه ولا الصلاة عليه .

(٣١) حكم تبادل التهنة في الأفراح والأعياد (٢)

ما حكم الإسلام في تهنة النصارى في أعيادهم ؟ لأنه عندى خالي جاره نصراني يهنته في الأفراح وفي الأعياد وهو أيضاً يهنئ خالي في فرح أو عيد وكل مناسبة ، هل هذا جائز تهنة المسلم النصراني والنصراني للمسلم في أعيادهم وأفراحهم ؟ أفتوني جزاكم الله خيراً .

الإجابة :

لايجوز للمسلم تهنة النصارى بأعيادهم ، لأن في ذلك تعاوناً على الإثم وقد نهينا عنه .

قال تعالى : ﴿ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (المائدة : ٢) .

كما أن فيه تودداً إليهم وطلباً لمحبتهم وإشعاراً بالرضى عنهم وعن شعائرهم وهذا لايجوز بل الواجب إظهار العداوة لهم وتبيين بغضهم ، لأنهم يحادون الله جل وعلا ويشركون معه غيره ، ويجعلون له صاحبة وولداً .

قال تعالى : ﴿ لا تجدد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيديهم بروح منه ﴾

(المجادلة : ٢٢) .

وقال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا
لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ وبالله التوفيق ،
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

أحكام فقهية

(١) غسل الإسلام

إذا أسلم الكافر يجب عليه الغسل لحديث أبو هريرة رضي الله عنه : أن ثمامة الحنفي أسر وكان النبي ﷺ يغدو إليه فيقول : ما عندك يا ثمامة ؟ فيقول : إن تقتل تقتل ذا دم وإن تمنن تمنن على شاكر ، وإن ترد المال نعطك منه ماشئت ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يحبون الفداء ويقولون : ما نضع بقتل هذا ؟ فمر عليه رسول الله ﷺ فأسلم ، فحلّه وبعث به إلى حائط (بستان) أبي طلحة ، وأمره أن يغتسل ، فاغتسل وصلى ركعتين ، فقال النبي ﷺ : « لقد حسن إسلام أخيكم » رواه أحمد وأصله عند الشيخين .

(٢) الولاية في الزواج

ذهب جمهور العلماء إلى أن المرأة لا تزوج نفسها سواء أكانت بكرًا أو ثيبًا ، كما أن المرأة لا تزوج المرأة ، وإنما يزوجها الولي لحديث : « لانكاح إلا بولي » ولحديث : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فإن دخل بها فلها المهر بما استحلت من فرجها ، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له » رواه أحمد وغيره وحسنه الترمذي .
ومن شروط الولي أن يكون مسلماً ، الولاية في العصبية ، فإن أسلمت المرأة ولا ولي لها مسلم ، وتقدم إليها الكفو ، وكانت بحيث لا تستطيع أن تصل إلى القاضي ليزوجها ، فلا حرج في أن يتولى ذلك بعض الصالحين .
قال القرطبي : وإذا كانت المرأة بموضع لاسلطان فيه ولا ولي لها - فإنها تُصير أمرها إلى من يوثق به من جيرانها فيزوجها ويكون هو وليها في هذه الحالة ، لأن الناس لا بد لهم من الزوج ، وإنما يعملون فيه بأحسن ما يمكن .

(٣) إقرار ما يوافق الشرع من أنكحة الكفار إذا أسلموا

لم يتعرض رسول الله ﷺ لزواج غير المسلمين ، وهل وقعت أنحكمتهم موافقة للشروط المعتبرة في الإسلام فتصح أم مخالفة لها فتبطل ؟
وإنما اعتبر حالها وقت إسلام الزوج ، فإن كان ممن يجوز له المقام مع امرأته أقرهما ولو كان في الجاهلية وقد وقع على غير شرطه من الولي والشهود وغير ذلك وإن لم يكن ممن يجوز له الإستمرار لم يقر عليه ، كما لو أسلم وتحتته ذات رحم محرم ، أو أختان أو أكثر فهذا هو الأصل الذي أصلته سنة رسول الله ﷺ وماخالفه فلا يلتفت (أفاده ابن تيميه وابن القيم) .

(٤) الطبيب الكافر وعبادة الكافر

في كتاب « الآداب الشرعية » لابن مفلح : وقال الشيخ تقي الدين : إذا كان اليهودي أو النصراني خبيراً بالطب ثقة عند الإنسان جاز له أن يستطب (يكون طبيباً) كما يجوز له أن يودعه المال وأن يعامله .

كما قال تعالى : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ﴾ (آل عمران : ٧٥) .

وفي الصحيح أن النبي ﷺ لما هاجر استأجر رجلاً مشركاً هادياً خريئاً (ماهرأ) واثمنه على نفسه وماله ، وكانت خزاعة عيناً لرسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم .

وقد روى أن النبي ﷺ أمر أن يستطب الحارث بن كلدة ، وكان كافراً وإذا أمكنه أن يستطب مسلماً ، فهو كما لو أمكنه أن يودعه أو يعامله ، فلا ينبغي أن يعدل عنه .

وأما إذا احتاج إلى ائتمان الكتابي ، أو استطابه فله ذلك ، ولم يكن من ولاية اليهود والنصارى المنهي عنها ، وإذا خاطبه بالتي هي أحسن كان حسناً ، فإن الله

تعالى يقول : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ (العنكبوت : ٤٦) . أ. هـ
ولا بأس بعبادة المسلم الكافر .

قال البخاري : « باب عبادة المشرك » وروى عن أنس رضي الله عنه أن غلاماً

ليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض فاتاه النبي ﷺ بعوده فقال : أسلم ، فأسلم .

(٥) الكتابية تموت وهي حامل من مسلم

إذا ماتت المرأة وفي بطنها جنين حي وجب شق بطنها لإخراج الجنين إذا كانت حياته مرجوة ، ويعرف ذلك بواسطة الأطباء الثقات فإذا كانت الزوجة كتابية (يهودية أو نصرانية) وماتت وهي حامل من مسلم فتدفن وحدها .

روى البيهقي عن وائلة بن الأسقع : أنه دفن امرأة نصرانية في بطنها ولد مسلم في مقبرة ليست بمقبرة النصارى ولا المسلمين .

واختار هذا الإمام أحمد لأنها كافرة لاتدفن في مقبرة المسلمين فيتأذوا بعذابها ولا في مقبرة الكفار لأن ولدها مسلم فيتأذى بعذابهم .

(٦) أولاد المشركين إذا ماتوا قبل البلوغ

من مات من أولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم فهو في الجنة لقول النبي ﷺ : « لما توفي إبراهيم ابنه : إن له مرضعاً في الجنة » رواه البخاري .

وأما أولاد المشركين فقد رأى بعض أهل العلم أنهم مثل أولاد المسلم في دخولهم الجنة قال النووي : وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ (الإسراء : ١٥) .

وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من باب أولى ولما رواه أحمد عن خنساء بنت معاوية بن صريم عن عمته قالت : « قلت يارسول الله : من في الجنة ؟ قال : النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة » قال الحافظ : إسناده حسن أ . ه .

وقد رأى النبي ﷺ إبراهيم وحوله أولاد الناس في الجنة .

(٧) المسلم والكافر فى إقامة الحد سواء

كما يجب الحد على المسلم إذا ثبت منه الزنا فإنه يجب على الذمي والمرتد ، لأن الذمي قد التزم الأحكام التي تجري على المسلمين ، وقد ثبت أن النبي ﷺ رجم يهوديين زنيا وكانا محصنين (المحصن : البالغ العاقل الحر وكان أصاب نكاحاً صحيحاً فى اعتقاده ، ذكره الشافعي وغيره)

فعن ابن عمر : أن اليهود أتوا النبي ﷺ برجل وامرأة منهم قد زنيا ، فقال : ماتجدون فى كتابكم ؟ فقالوا : تسخّم وجوههما ويخزيان ، قال : كذبتن إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين .

وجاءوا بقارئ لهم فقرأ حتى إذا انتهى إلى موضع منها وضع يده عليه ، فقيل له : ارفع يدك فرفع يده فإذا هي تلوح فقال - أو قالوا - يا محمد : إن فيها الرجم ، ولكننا كنا نتكاته بيننا ، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما قال : فلقد رأيت يجنأ عليها يقبها الحجارة بنفسه « رواه البخاري ومسلم

(٨) تحريم الخمر فى المسيحية

ذكر بعض علماء النصارى ، أن المسكرات إجمالاً محرمة فى كل كتاب سواء كانت من العنب أم من سائر المواد كالشعير والتمر والعسل والتفاح وغيرها ، ومن شواهد العهد الجديد فى ذلك قول بولس فى رسالته إلى أهل إفسس « ٥ : ٨ » : « ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة » ونهيه عن مخالطة السكّير « إكوه : ١١ » .

وجزّمه بأن السكيرين لا يرثون ملكوت السموات (غلايه : ٢١)
(إكوه : ٩ : ١٠) .

(٩) دية أهل الكتاب

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ « قضى بأن عقل أهل الكتاب نصف عقل المسلم » فذهب مالك وغيره إلى أن دية أهل الكتاب ^(١) إذا قُتلوا

١ - سواء كانوا ذميين أو معاهدين مستأمنين .

خطأ نصف دية المسلم ، فدية الذكر منهم نصف دية المسلم ، ودية المرأة من نسائهم نصف دية المرأة المسلمة ، وكذلك دية الجراح تكون على النصف ، وتجب الكفارة مع الدية في قتل الذمي والمعاهد على قول ابن عباس والشعبي والنخعي والشافعي واختاره الطبري .

وقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أن دية أهل الكتاب مثل دية المسلمين .

(١٠) هل يجوز دفع الصدقات للكتابي ؟

أجاز الزهري وأبو حنيفة ومحمد وابن شبرمة إعطاء الذمي من زكاة الفطر لقول الله تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ (المتحنة : ٨) . وتجوز صدقات التطوع على الذمي والحربي .

لقوله تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ (الإنسان : ٨) . والأسير الحربي ، وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : قدمت عليّ أمي وهي مشركة ، فقلت : يا رسول الله ، إن أمي قدمت عليّ وهي راغبة أفأصلها؟ قال : نعم صلي أمك « وفي كل ذي كبد رطبة أجر .

وقد ذكر الخطابي : أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه ، أما بالنسبة لزكاة المال فلا تدفع لكافر ، وقد جوز البعض تأليفاً لقلبه على الإسلام - إذا دعت الحاجة - ترجيحاً لأخف الضررين وخير المصلحتين .

(١١) ذبائح أهل الكتاب

قال تعالى : ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ﴾ (المائدة : ٥) . وهي ذبائحهم بإتفاق المفسرين ، وقد دُعي النبي ﷺ لطعام يهود المدينة وقدمت له الشاة وأكل منها ، والأصل فيهم أنهم يسمون الله ، واليهود أكثر حيطة في الذبح من النصراني فإذا علمنا أنهم لم يذبحوا ذبيحاً شرعياً (بمحدد في منحر بحيث تُنهر

الدم وتفري الأوداج) لم يجز الأكل ، كأن صعقوها صعقاً كهربياً ، أو أطلقوا عليها الرصاص ، فإذا شككنا في التسمية ، سمينان نحن وأكلنا لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

ولا يجوز أكل ذبائح الملاحدة الشيوعيين ، حتى وإن ذبحوا ذبحاً شرعياً ، ويجوز الإصطياد بكلب اليهودي والنصراني وبازه وصقره إذا كان الصائد مسلماً وذلك مثل سفرتة ، ولا إلتفات لتعميم البعض القول عن أهل الكتاب بأنهم ارتدوا عن البقية الباقية من دينهم .

(١٢) إذا تزوج كتابية فانتقلت إلى دين آخر

لاخلاف في أن الكتابي إذا انتقل إلى غير دين أهل الكتاب لم يقر عليه ، فأما إن انتقل إلى دين آخر من أهل الكتاب ، كاليهودي ينتصر أو النصراني يتهود ، فيقر عليه نص عليه الإمام أحمد .

وقد نص أيضاً على أن المنتقل إلى غير دين أهل الكتاب لا يُقبل منه إلا الإسلام ، فإذا تزوج المسلم كتابية فانتقلت إلى دين آخر من الكفر (كعبادة الأوثان) غير دين أهل الكتاب ، أجبرت على الإسلام فإن لم تسلم حتى انقضت عدتها انفسخ نكاحها .

(١٣) قول الإمام أحمد في الرجل له المرأة النصرانية

نقل ابن قدامة في المغني ج (٨) ص ٥٣٧ - قول الإمام أحمد في الرجل له المرأة النصرانية : لا يأذن لها أن تخرج إلى عيد أو تذهب إلى بيعة وله أن يمنعها ذلك وكذلك في الأمة .

قيل له أله أن يمنعها شرب الخمر ؟

قال يأمرها فإن لم تقبل فليس له منعها ، قيل له فإن طلبت منه أن يشتري لها زناراً ؟ قال لا يشتري لها زناراً ، تخرج هي تشتري لنفسها .

وسئل عن الذمي يعامل بالربا ويبيع الخمر والخنزير ثم يسلم وذلك المال في يده فقال لا يلزمه أن يخرج منه شيئاً لأن ذلك مضى في حال كفره ، وأشبهه نكاحهم في الكفر إذا أسلم .

وسئل عن المجوسيين يجعلان ولدهما مسلماً فيموت وهو ابن خمس سنين فقال يدفن في مقابر المسلمين لقول النبي ﷺ: « فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » يعني أن هذين لم يجسانه فيبقى على الفطرة .

(١٤) لا يُمكّن الذمي من شراء المصحف

لا يجوز تمكينه من شراء المصحف ولا حديث رسول الله ﷺ ولا فقهه فإن فعل فالشراء باطل لأن ذلك يتضمن ابتذاله ، وكره أحمد بيعهم الثياب المكتوب عليها ذكر الله تعالى .

قال مهنا سألت أحمد أبا عبد الله ، هل تكره للرجل المسلم أن يعلم غلاماً مجوسياً شيئاً من القرآن ؟

قال : إن أسلم فنعم وإلا فأكره أن يضع القرآن في غير موضعه ، قلت فيعلمه أن يصلي على النبي ﷺ ؟ قال : نعم .

وقال الفضل بن زياد سألت أبا عبد الله (يعني الإمام أحمد) عن الرجل يرهن المصحف عند أهل الذمة ؟ قال : لا . نهى النبي ﷺ أن نساقر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو .

(١٥) لا يجوز لأحد منهم سكنى الحجاز ولادخول الحرم

وذلك لقول النبي ﷺ: « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب »
وروى أبو داود بإسناده عن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :
« لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها إلا مسلماً »
قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

فأما الحرم فليس لهم دخوله بحال كما ذكر ابن قدامة وهو قول الشافعي وغيره
لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾
(التوبة : ٢٨) والمراد به الحرم .

(١٦) الارتضاع بلبن الفجور والمشركات

قال ابن قدامة في المغني ج (٧) ص ٥٦٢ مانصه :
كره أبو عبد الله (الإمام أحمد) الإرتضاع بلبن الفجور والمشركات .
وقال عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما :
« اللب ينسب إليه فلا تستق من يهودية ولا نصرانية ولا زانية ولا يقبل أهل الذمة
المسلمة (أي لا تقوم الكتابية على ولادة المسلمة) ولا يرى شعورهن .
ولأن لبن الفاجرة ربما أفضي إلى شبه المرضعة في الفجور ويجعلها أمأ لولده
فيتعير بها ويتضرر طبعاً وتعيراً ، والإرتضاع من المشركة يجعلها أمأ لها حرمة الأم
مع شركها وربما مال إليها في محبة دينها ، ويكره الإرتضاع بلبن الحمقاء كيلا يشبهها
الولد في الحمق فإنه يقال إن الرضاع يغير الطباع ، والله أعلم .

(١٧) حكم من لم تبغ دعوة الإسلام

البعض قد لا تبغ دعوة الإسلام ، أو تبغ الدعوة مشوهة ، كدعوة للقتل
والعنف والتخريب ، وفي ذلك يقول ابن حزم في الأحكام ج (١١) ص ٦٠ :
ذلك أن الله تعالى لم يأمرنا قط بشئ من الدين إلا بعد بلوغ الأمر إلى المأمور
وكذلك النهي ولا فرق وأما قبل انتهاء الأمر والنهي إليه فإنه غير مأمور ولا منهي
لقوله تعالى : ﴿ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (الأنعام : ١٩) .
ولقوله تعالى : ﴿ لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة : ٢٨٦) .
ولإخبار رسول الله ﷺ أنه : « لا يسمع به يهودي أو نصراني فلم يؤمن به إلا
وجبت له النار » .

ولحديث قتادة عن عبد الأسود بن سريع عن النبي ﷺ أنه قال :

« يُعرض على الله سبحانه وتعالى الأصم ، الذي لا يسمع شيئاً ، والأحمق والهرم ، ورجل مات في الفترة ، فيقول الأصم رب جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ويقول الأحمق رب جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ويقول الذي مات في الفترة رب ما أتاني لك من رسول الله فيأخذ موثيقهم ليطيعه فيرسل الله تعالى إليهم : ادخلوا النار فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً » .

وعن أبي هريرة مثله وزاد في آخره: « ومن لم يدخلها دخل النار » .

فصح أنه لاندازة إلا بعد بلوغ الشريعة إلى المنذر ، وأنه لا يكلف أحد بما ليس في وسعه وليس في وسع أحد علم الغيب ، في أن يعرف شريعة قبل أن تبلغ إليه فصح يقيناً أن من لم تبلغه الشريعة لم يكلفها » .

وقال أيضاً : « وهكذا القول في الشريعة كلها كالقتل ووطء الفرج الحرام وأكل الحرام واستباحة العرض الحرام وغير ذلك ، كل هذا من فعله مخطئاً غير عالم بأنه خالف ما جاء من عند الله تعالى على لسان نبيه ﷺ فلا يكفر ولا يفسق ولا يعصى ، ومن فعله عامداً غير معتقد لإباحة ما حرم الله تعالى من ذلك فهو فاسق ، ومن فعله عامداً مستحلاً خلاف الله تعالى فهو كافر » الأحكام لابن حزم ج (٨) ص ١٤٠

فلحوق الوعيد لمن فعله المحرم مشروط بعلمه بالتحريم كما بين ابن تيمية وعلى الإنسان أن يسعى في رفع الجهالة عن نفسه وألا يقصر في معرفة الحق ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

(١٨) الدخول في الإسلام لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » رواه البخاري ومسلم .

فعلى العبد أن يُخلص أمره لله ، ويتغني ما عند الله ، ويعلم أن الدنيا لاتصلح عوضاً عن معنى من معاني الآخرة وأن من طلب الله والدار الآخرة أتته الدنيا وهي راغمة ، فعليه أن يصدق في إسلامه .

وقد كانت المرأة إذا أتت النبي ﷺ حلفها بالله ماخرجت من بغض زوج ، وبالله ماخرجت رغبة بأرض عن أرض ، وبالله ماخرجت التماس دنيا ، وبالله ماخرجت إلا حباً لله ورسوله .

وعن ابن مسعود قال : كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس ، فأبت أن تزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها ، وكنا نسميه مهاجر أم قيس . قال ابن مسعود : من هاجر لشيء فهو له .

وسائر الأعمال كالهجرة في هذا المعنى ، فصلاحتها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها ، وليس لأحد أن يؤخر إسلامه لشيء كما لا يجوز لأحد تأخيره فقد يموت .

(١٩) هل يجوز الإستعانة بالكفار فى الغزو ؟ (١)

يجوز الإستعانة بالكافر فى تعليم المسلم ما لعلق له بالدين كالصناعة والهندسة والطب وفنون القتال ونحو ذلك .

وقد استعان النبي ﷺ بخبرة عبد الله بن أريقط يوم الهجرة كما استعان بأسرى بدر فى تعليم أبناء المسلمين الكتابة كفداء .

، وذكر ابن القيم جواز الإستعانة بالمشرك المأمون فى الجهاد كجاسوس عند الحاجة لأن عينة الخزاعي كان كافراً وقت استخدمه عيناً للمسلمين .

وقد ذهب جمهور الشافعية والحنابلة والأحناف إلى جواز الإستعانة بالكفار عند الحاجة لحديث :

« ستصالحون الروم صلحاً وتغزون أنتم وهم عدوآ من ورائكم »

رواه أحمد وأبو داود .

ويشترط فى هذه الإستعانة أن تكون الحاجة داعية ، ويوثق بهم ويغلب على الظن أمانتهم وعدم مكرهم ، وأن يكونوا مغلوبين مقهورين واشترط ابن حزم ألا يتعدى أذاهم لمسلم ولا ذمي وإلا وجب الصبر .

وذهب فريق آخر إلى عدم جواز الإستعانة بالكفار فى الحرب مطلقاً ، وعلى كل حال فلا يجوز التحالف مع الكفار لقتال المسلمين .

١ - راجع كتابنا تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد ص ١٧٣ - ١٧٦ .

الخانمة

« اللهم أحيينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين »

لقد شهد المنصفون من الغربيين وغيرهم بعظمة الإسلام الحضارية ، ومن جملة هؤلاء « سيديلون » في كتابه « تاريخ العرب » إذ يقول :

كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم إلى أوربا ، فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها ».

وبعد أن عدد « دويبر » في كتابه « المنازعة بين العلم والدين » - مآثر المسلمين في العلوم والطبيعة قال :

فإنهم قد رفقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً ، وأوجدوا علوماً جديدة لم تكن معروفة قبلهم إن جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوربيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم ، وكان ملوك أوربا وأمراؤها يغدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها » .

ويقول « بريفولت » في كتابه « تكوين الإنسانية » :

« العلم هو أعظم ما قدمت الحضارة العربية إلى العالم الحديث ومع أنه لا توجد ناحية واحدة من نواحي النمو الأوربي إلا ويلحظ فيها أثر الثقافة الإسلامية النافذة إلا وإن أعظم أثر وأخطره هو ذلك الذي أوجد القوة التي تؤلف العامل البارز الدائم في العالم الحديث والمصدر الأعلى لانتصاره أعني العالم الطبيعي والروح العلمية » وهذه الحقائق مؤداها أن الإسلام دين بناء حضاري »

ويقول « لين بول » في كتابه « العرب في أسبانيا » :

« فكانت أوربا الأمية تزخر بالجهل والحرمان ، بينما كانت الأندلس تحمل

إمامة العلم ، وراية الثقافة في العالم »

ويقول « غوستاف لوبون » في كتابه « حضارة العرب » :

« ولانرى في التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب فجميع الأمم التي كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضاراتهم ولو حيناً من الزمن ولم يتجل تأثير العرب في الشرق في الديانة واللغة والفنون وحدها ، بل كان لهم الأثر البالغ في ثقافتهم العلمية أيضاً » .

ونقل عن « ليبري » قوله :

« لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون » إنها شهادة إنصاف نعتز بها ، ونحتسب ما أسدينا عند الله ، ونرى أن أعظم هدية وأجل منفعة وأكبر فائدة هي أن نؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ، وإلا فما قيمة التقدم المادي والعلم والفنون بلا إيمان !! .

إن الدنيا لاتصلح عوضاً عن الآخرة والعرب ذاتهم لاقيمة لهم بلا إسلام ، ولا يلقى بعاقل أن يبيع الآخرة بدنيا لابقاء لها ولا وفاء ، أو أن يتاجر بأخرته بدنيا غيره .

لقد كان من رحمة الله أن يظهر فشل وعطب الشيوعية ، وتنادى الناس هنا وهناك بأهمية الرجوع إلى الدين ، فهيا بنا نُسلم وجوهنا لخالق الأرض والسماوات من قبل أن يأتي يوم لامرده من الله فما الحق إلا واحد ، وعلى الحق نور ، وهو وافق الفطر السليمة والعقول المستقيمة .

أما دعوى البعض إلغاء العقل لكي يكون مؤمناً ، فهذا لا يكون إلا بعد التيقن من الدين الذي أنت عليه ، ومعرفة مادلت عليه النصوص ، ولا يمكن إلغاء العقل قبل ذلك ، ولا بعد ذلك .

ولا يُظن وجود تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح ولكن كن عاقلاً في التسليم والإذعان لأمر الله ، واترك العادات والأعراف والتقاليد إذا صادمت كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ

قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في
أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (النساء : ٦٥) .

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من
أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ (الأحزاب : ٣٦) .

فهيا بنا نصيغ الدنيا بدين الله ، ونبليغ الحق للخلق ، ورتفع لمستوى إسلامنا
، ونقيم حضارة على منهاج النبوة ، نرضي بها ربنا ، ونتشغل بها البشرية من وحل
الرزيلة والقلق والطغيان المادي المعاصر .

﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة ﴾ (الأنفال : ٤٢) .

﴿ فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾ (غافر : ٤٤) .
فإن أصر الباطل على باطله والكافر على كفره فحسبنا أن نردد :

﴿ وأنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ، قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما
تعملون ، قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم ﴾
(سبأ : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦)

﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون ولله
غيب السماوات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ومارك بغافل عما
تعملون ﴾ (هود : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣) .

إن الإنحراف مع وضوح الحق ودواعيه كثيرة . فالهوى والنفس الأمارة بالسوء
وشياطين الإنس والجن وإلف العادة وتقليد الآباء والأجداد والحرص على المال
والرئاسة كلها أسباب لطمس البصر وعمى البصيرة .

والعجب ممن استقام وأطاع وأخلص الأمر كله لله ، لقد قال قوم شعيب له :

﴿ مانفقه كثيراً مما تقول وأنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وماأنت علينا

بعزيز ﴾ (هود : ٩١) وهو خطيب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه .

وحسبي أن أكون قد وضحت بعض المسائل وربطت الماضي بالحاضر ، وبينت

ماهو الدين الذي يجب على البشرية بصفة عامة واليهود والنصارى بصفة خاصة أن يعودوا إليه ويحتكموا له فإن قبلوا كانت لهم الحسنى وزيادة ، وإن أبوا ورفضوا فقد سلكوا سبيل من كفر برب العالمين ، وساروا على درب من انحرف عن منهج الأنبياء والمرسلين ، لا يشفع لهم ولا ينفعهم الإدعاء الكاذب باتباع موسى أو عيسى عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام .

فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين قال تعالى : ﴿ ومن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (فصلت : ٤٦) .

وغداً ينكشف الغطاء قال تعالى : ﴿ أفجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ﴾ (القلم : ٣٥ ، ٣٦) ..

وختاماً :

فهذه نصيحتي ، إبراء للذمة وإسداء للنصح وإبلاغاً للحق وأداء للأمانة وغيره لدين الله الذي ارتضاه للعالمين ، وشفعة ورحمة ورأفة ﴿ أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ﴾ (الزمر : ٥٦) .

أو تقول أخرى ﴿ هل إلى خروج من سبيل ﴾ (غافر : ١١) .
وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

سعيد عبد العظيم

وكان الفراغ منه يوم الأحد ١٧ من ذي الحجة سنة ١٤١٦ هـ

الموافق ٥ مايو سنة ١٩٩٦ م .

الفهرس

٣ المقدمة
٩ تعالوا إلى كلمة سواء
١٠ رضينا بالله رباً
١٢ يضاهئون قول الذين كفروا من قبل
١٥ النصارى يعتقدون فى المسيح ما يعتقد الهنود فى كرشنه
١٥ مقارنة بين أقوال الهنود الوثنيين فى كرشنه ابن الله ، وأقوال النصارى المسيحيين فى يسوع ابن الله
٢٨ تطابق إعتقاد النصارى على إعتقاد الهنود فى بوذا
٢٨ مقارنة بين أقوال الهنود الوثنيين فى بوذا ابن الله ، وأقوال النصارى المسيحيين فى المسيح ابن الله
٤١ ويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم
٤١ حال الأناجيل الموجودة
٤٢ إنجيل برنابا
٤٤ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله
٤٥ مجمع قسطنطين وقانون الإيمان
٤٧ المسيح لم يفوضهم فى التشريع
٤٨ صناديق الغفران
٤٩ أول من ابتدع اللاهوت والناسوت فى شأن المسيح هو بولس وأول من ابتدع شارة الصليب هو قسطنطين
٥٠ تعليق على إتخاذ النصارى للصليب
٥١ النصارى أشد الأمم إختلافاً فى معبودها ونبياها ودينها
٥٣ الفاتيكان يبرىء اليهود من دم المسيح
٥٥ لاتغلو فى دينكم غير الحق
٥٨ إن مثل عيس عند الله كممثل آدم
٥٩ بل هو واحد ، وواحد ، وواحد
٦٠ كيف تواجد فى القرن العشرين من يعتقد مثل هذا ؟
٦٢ سبحانك سبحانك ما أعظم شأنك
٦٣ إستدلالمهم بكلمة الأب والرب والإله والسيد على إلهية المسيح
٦٥ الكتاب المقدس

٦٨	مجتمع القديسين
٧١	قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى
٧٢	الأصول الخمس التي إتفقت عليها الشرائع
٧٣	ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً
٧٤	اللهم لك أسلمنا وبك آمنة
٧٦	دين الأنبياء واحد
٧٩	التوراة ودعوتها إلى التوحيد
٨١	الدعوة إلى التوحيد في الأنجيل
٨٤	أصول متفق عليه بين جميع النبوات تتعلق بالله جل وعلا
٨٦	الله محبة
٨٨	عبادة الرهبان والقديسين
٩٠	الغلو في الصالحين واتخاذ القبور مساجد
٩٢	قاعدة في المعجزات والكرامات
٩٤	بعض خوارق العادات للأنبياء وغيرهم
٩٤	التقدم المادى ليس عنواناً للتقى والهدى دائماً
٩٦	علمناهم وتعلمنا منهم فلم الإنحراف بالقضية؟
٩٩	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح
١٠٠	الدعوى الأولى والرد عليها
١٠٢	الدعوى الثانية والرد عليها
١٠٣	الدعوى الثالثة والرابعة والرد عليهما
١٠٨	الدعوى الخامسة والرد عليها
١١٠	الدعوى السادسة والرد عليها
١١٢	إظهار الحق - مناظرة أحمد ديدات وسواجارت
١١٧	قصة لها مدلولها

١٢٠	الجزء الثانى : دلائل النبوة وشمائل الرسول ﷺ
١٢٢	كلام الماوردى فى إثبات النبوات عامة ونبوة الرسول ﷺ خاصة
١٢٣	ماذا حول أمية الرسول ﷺ
١٢٦	معجزة القرآن الكريم
١٣٢	إعجاز القرآن العلمى
١٣٤	إشارات علمية سيقى مساق الهداية
١٣٧	إشارات كيميائية وفيزيائية وذرية
١٣٨	إشارات تتعلق بالسماء
١٤٠	إشارات تتعلق بالأرض

١٤١	إشارات تتعلق بالإنسان
١٤٧	إشارات تتعلق بالحيوان
١٥٢	الإعجاز التشريعي
١٦٢	جوابه ﷺ قبل أن يسأله عن شيء منه
١٦٣	مسائل سأل عنها فأجاب عنها بما يطابق الحق
١٦٦	دلائل النبوة الخلقية والخلقية
١٧١	معجزات عصمته ﷺ
١٧٣	معجزة الإخبار بغيوب ماضية ومستقبله
	الأحاديث الدالة على إخباره بما وقع كما وقع
١٨٩	دلائل النبوة الحسية السماوية منها والأرضية
	(١) إنشقاق القمر - (٢) استسقاء النبي ﷺ
١٩٠	(٣) تكثير الماء في غير ما موطن
١٩١	(٤) تكثير الأطعمة في غير ما موطن
١٩٢	(٥) إنقياد الشجر لرسول الله ﷺ
١٩٣	(٦) حنين الجذع شوقاً إلى رسول الله ﷺ
١٩٤	(٧) تسبيح الحصى في كفه ﷺ
١٩٥	(٨) ما يتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة
١٩٧	كرامات معدودة من المعجزات
١٩٩	معجزات دعوات النبي ﷺ
	معجزات لرسول الله ماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء قبله
٢٠٢	وأعلى منها
٢١٦	ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم
٢١٨	ظهور النبي ﷺ أثبت نبوة سائر الأنبياء
٢٢٣	هذا هو الدين الذي دعا إليه النبي الأمي
٢٢٥	سلامح الإيمان الذي ندين به
٢٢٦	تعريفات هامة :
٢٢٦	السلف - الفرقة الناجية - الطائفة المنصورة - القرآن الكريم
٢٢٩	السنة - أهل السنة والجماعة - أهل الحديث
٢٢٩	التوحيد وأصول الإيمان
٢٣٠	توحيد الأسماء والصفات - توحيد الربوبية
٢٣٣	توحيد الألوهية
٢٣٧	الإيمان بالملائكة - الإيمان بالكتب
	الإيمان بالرسول والأنبياء
٢٤٠	الإيمان باليوم الآخر - الإيمان بالقدر

٢٤٣	الولاء والبراء - مسائل الإيمان والكفر
٢٤٨	الصحابة والخلافة والإمامة
٢٥٠	الإتباع - الأجتهد والتقليد - أهل السنة والجماعة
٢٥٥	إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم
٢٥٦	(١) من هديه جعل الطلاق بيد الرجل
٢٥٦	(٢) تعدد الزوجات إلى أربع
٢٥٩	(٣) تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث
٢٦٢	(٤) الرقة - (٥) القصاص - (٦) قطع يد السارق
٢٦٦	(٧) رجم الزانى المحصن وجلد البكر
٢٦٨	(٨) التقدم لا ينافى التمسك بالدين
٢٦٩	(٩) إتباع التشريع المخالف كفر بواح
٢٧٠	(١٠) الروابط بين أفراد المجتمع هي الأسلام
٢٧١	روابط مشبوهة
٢٧٢	القومية - الوطنية - الإنسانية - زمالة الأديان
٢٧٩	هدى القرآن إلى حل المشاكل العالمية
٢٨٣	حكم معاملة أهل الكتاب
٢٨٣	أولاً: عقد الذمة
٢٨٨	ثانياً: المستأمن
٢٩٠	ثالثاً: الولاء والبراء فى الأسلام
٢٩٥	متى تشرع مخالفة أهل الكتاب ومتى تجوز موافقتهم
٢٩٩	شهادة بعض المنصفين
٣٠٠	مقارنة وموازنة أخلاقهم بدينهم
٣٠٤	إسلام المفكر الفرنسى جارودى
٣٠٥	نزول عيس عليه السلام دون غيره فى آخر الزمان
٣٠٩	والحكمة فى ذلك
٣١٣	مآخذ البروتستانت على البابا والكنيسة
٣١٦	لوثر ودعوته الإصلاحية
٣١٩	إصلاح لوثر والبروتستانت بحاجة إلى إصلاح
٣٢١	إتباع لوثر للمسيح يوجب عليه إتباع النبى ﷺ
٣٢٥	الصراع من أجل إقامة النظام العالمى
٣٢٧	المكانة الأخلاقية اللازمة لإقامة النظام العالمى
٣٣٠	طبيعة اليهود - الدولة اليهودية العالمية
٣٣٥	أخلاقيات الفاتيكان والكنيسة
٣٣٨	حرص الكنيسة على إقامة النظام العالمى

٣٤١	هل إمتلك الأمريكان المكانة الأخلاقية
٣٤٣	النظام العالمى الجديد
٣٤٥	تعسف البروتستانت فى تطبيق نبوءة الوحش على أمريكا
٣٤٨	بين اليهودية والنصرانية والإسلام
٣٥٥	عالمية الدعوة الإسلامية
٣٥٨	هل إنتشر الإسلام بالسيف - المستقبل للإسلام
٣٦٧	الجزء الثالث : فتاوى وقرارات هامة
٣٦٧	حكم تزوج الكافر بالمسلمة والمسلم بالكافرة وآثاره
٣٦٩	زواج المسلم بالمسيحية بالكنيسة
٣٧٠	حكم الحلف بالتوراة والإنجيل أمام القضاء
٣٧١	حكم التسمية بعبد المسيح
	حكم شهادة المسيحي على عقد زواج المسلم
	مسيحي أسلم وكتب بالإكراه إقراراً بالكفر
٣٧٢	إعتناق الإسلام - إسلام زوجة الكتابى
	حكم تحويل الكنيسة إلى مسجد
٣٧٣	هل يجوز دفن النصرى فى مقابر المسلمين
	عدم جواز دفن المسلمين فى مقابر الكافرين
٣٧٤	حكم حضور جناز الكفار
	الطريقة المثلى فى معاملة الذمى
٣٧٥	عدم جواز مشاركة الكفار فى أعيادهم - معنى الولاية
٣٧٦	حكم سكن المسلم مع عائلة أمريكية
٣٧٧	تشبه المسلم بالكافر
٣٧٨	حكم الماسونية والإنتماء إليها
٣٨٢	نداء للعالم الإسلامى حول فلسطين
٣٨٣	ما حكم من قال أن عيسى قد مات
٣٨٥	حكم من لعن دين كارتتر
٣٨٧	هل نحلّق اللحى إذا أطلقوها
٣٨٨	حكم قراءة الإنجيل
٣٨٩	إلقاء السلام على النصرى - حكم الصليبان على الفرش
٣٩١	الجزء الرابع : أحكام فقهية
٣٩١	غسل الإسلام - الولاية فى الزواج
٣٩٢	إقرار ما يوافق الشرع فى أنكحة الكفار إذا أسلموا
٣٩٢	الطيب الكافر
٣٩٣	الكتايب تموت وهى حامل من مسلم

٣٩٣ أولاد المشركين إذا ماتوا قبل البلوغ
٣٩٤ المسلم والكافر في إقامة الحد سواء
٣٩٤ تحريم الخمر في المسيحية
 دية أهل الكتاب - دفع الصدقات لأهل الكتاب
٣٩٥ ذبائح أهل الكتاب
 إذا تزوج كتابية فانتقلت إلى دين آخر
٣٩٦ قول الإمام أحمد في الرجل له الكتابية
٣٩٧ لا يمكن الكتابي من شراء المصحف
 دخول أهل الكتاب الحرم
٣٩٨ الإرتضاع بلبن المشركات
 من لم يبلغه الإسلام
٣٩٩ الدخول في الإسلام ل دنیا أو امرأة يتزوجها
٤٠١ الإستعانة بالكفار في الغزو
٤٠٢ الخاتمة